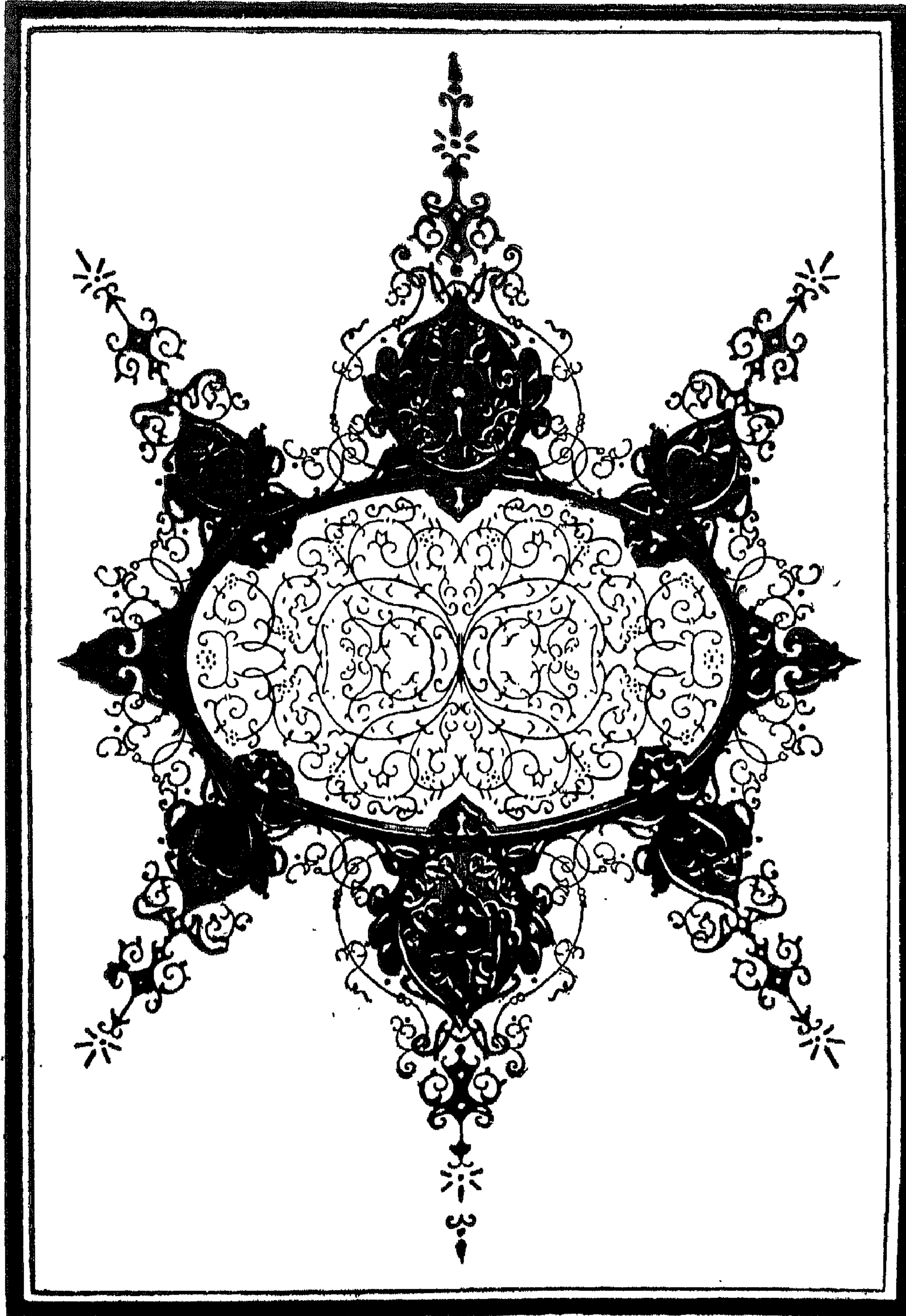


# مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثامن والثلاثون  
ذو القعدة ١٣٩٦ هـ  
نوفمبر ١٩٧٦ هـ



مجمع اللغة العربية

مجمع اللغة العربية بالقاهرة  
٢٦ شارع مراد - الجيزة

# مجلة مجمع اللغة العربية

( تصدر مرتين في السنة )

العدد الثامن والثلاثون  
ذو القعدة ١٣٦٦هـ - نوفمبر ١٩٤٧م

المشرف على المجلد:

د. إبراهيم الطيبر

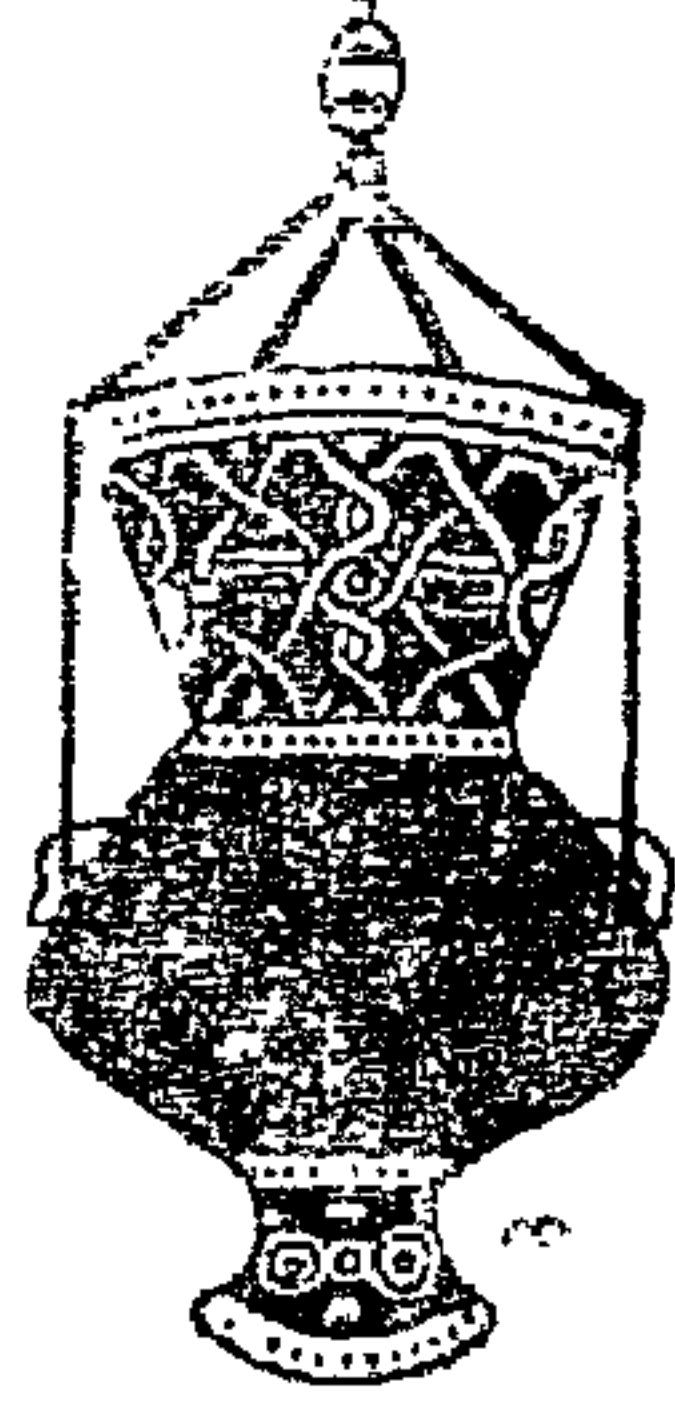
رئيس التحرير:

د. إبراهيم التري

## المشرف

### بحوث ومقالات:

- شعراؤنا القدامى والجن  
للدكتور أحمد الحوفي  
ص ٤٢
- الملاحم  
بين اللغة والأدب والتاريخ  
للأستاذ محمد شوقي أمين  
ص ٥٥
- تحقيق لسان العرب (٨)  
للأستاذ عبد السلام هارون  
ص ٥٥
- تطويع التكنولوجيا  
لاسترداد جمال الكتابة العربية  
للأستاذ المهندس صلاح عامر  
ص ٦٨
- أحياء التراث (١)  
للدكتور إبراهيم مدكور  
ص ٧
- من الدراسات القرآنية  
للأستاذ علي النجدي ناصف  
ص ١١
- الجناس وأنواعه  
في منظومة ابن طاهر الهواري  
قاضي فاس  
للأستاذ عبد الله كنون  
ص ١٦
- سجل شعري تاريخي فريد  
للدكتور شوقي ضيف  
ص ٢٤



- 
- كتاب السحر والشعر  
للدكتور مصطفى الشكعة  
ص ٧٦
  - علم الأرض وفقه اللغة  
للدكتور علي السكري  
ص ١٣٦
  - في القرآن والعربية :  
الصراع بين القراء والنحاة (٦)  
للدكتور أحمد علم الدين الجندى  
ص ٩٠
  - الرجز بين قديم وحديث  
للدكتور يوسف نوفل  
ص ١٤٠
  - مادة فى القاموس  
سقط شرحها من تاج العروس  
للأستاذ مصطفى حجازى  
ص ١٠٣
  - موقف الشعر من الاعلام  
للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف  
ص ١٢١
  - تعريف ونقد :  
نشوار المحاضرة  
واخبار المذاكرة  
للقاضى أبى على الحسن التنوخى  
تحقيق : الأستاذ عبود الشالحى  
تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الفنى  
حسن  
ص ١٥٠
  - ملاحظات  
على تطور التأليف المعجمى عند العرب  
للأستاذ ريجيس بلاشير  
ترجمة الأستاذ أحمد درويش  
ص ١٣٠

تتميز بـ: أنت موجهة :

نائب رئيس المجمع الراحل  
الرحوم الأستاذ زكي المهندس

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور في حفل تأبينه

ص ١٥٨

● كلمة الدكتور مهدي دلام

ص ١٦٢

● كلمة الشعر

للدكتور ابراهيم ادهم المرشد

ص ١٧٠

● كلمة الأسرة

للأستاذ كامل المهندس

ص ١٧٢

● زكي المهندس

أمام الاشكالية العظمى

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ص ١٧٤

من أنباء المجمع :

● وفاة نائب رئيس المجمع

ص ١٧٨

● خبراء جدد

ص ١٧٨

● صلاة المجمع الثقافية

ص ١٧٨

● مسابقة المجمع الأدبية

ص ١٨٠

# بحوث و مقالات

# إحياء التراث للدكتور إبراهيم بكور

( ١ )

علينا بأن نحرم من مؤلفات لا يعرف منها إلا الاسم ، أو بعض ما نقل عنها من مؤلفات أخرى معاصرة أو لاحقة . ومع هذا لا يزال ما وصل منها إلينا عظيماً ، تعمر به المكتبات العامة في الشرق والغرب . ومن حسن الحظ أن الولاة والأمراء والباحثين والعلماء كانوا يتنافسون في جمع الكتب واقتناء نفائسها . وكان ينسخ من المؤلف الواحد عشرات المخطوطات لسد حاجة الطالبين ، وقد يعاد النسخ في عصور متلاحقة ، فتتوفر للنص الواحد عدة نسخ ، بل عدة روايات .

وللوضع السياسي والخلاف المذهبي شأن في تخير الكتب واقتنائها ، فكان الفاطميون والبيهيون مثلاً حراساً على جمع كتب الشيعة ، حرص السلاجقة على جمع كتب أهل السنة . وأضحى لكل نوع من الكتب مكان يبحث عنه فيها ، ففقه المالكية مدين في مدارسته وحفظ أصوله لشمال أفريقيا ، في حين يرجع إلى الشام ومصر في البحث عن كتب الشافعية ، وبعد اليمن اليوم أكبر مصدر لما بقي من مؤلفات المعتزلة ، وبخاصة المتأخرون منهم . . . ولما كان النفوذ السياسي في الإسلام قد آل في القرون الأخيرة إلى

## تتوالى

الحضارات الإنسانية

وتتعاقب ، يأخذ بعضها عن بعض ، ويرث لاحقها سابقها ، وللحضارات الكبرى آثار ومخلفات شتى : والحضارة الإسلامية من أعمق الحضارات القديمة أثراً ، وأوسعها ثقافة . انتشرت ثقافتها شرقاً وغرباً ، وامتدت إلى العالم القديم في قاراته الثلاثة ، وأسهم فيها عدة شعوب ، وتتابع إنتاجها نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكتبت بلغات مختلفة ، بين عربية وعبرية وسريانية ، أو فارسية وتركية وكردية : تعددت ألوان هذه الثقافة وتنوعت أبوابها ، فيها منقول أو معقول ، أدب ولغة ، علم وفن ، سياسة وعمران . وتحت كل شعبة من هذه أقسام متعددة ، وفي كل قسم بحوث ودراسات مختصرة ومطولة : متون وأصول ، شروح وحواش . وقد وضعت في عصور متتابعة ، وعلى أيدي باحثين متلاحقين ، ونمت على مر الزمن نمواً كبيراً .

بيد أنها لم تسلم من عدوان هذا الزمن نفسه فقضت الحرائق والحروب ، زالعسف والظلم على قسط كبير من أصولها ، ومن أوضح مظاهر هذا العدوان غزو التتار في القرن السابع الهجري الذي أباد الحرث والنسل ، وقضى



الدولة العثمانية ، فإن مكتبات استامبول تعد الذخيرة الكبرى للتراث الإسلامى ، وفيها مؤلفات قد لا توجد فى مكان آخر ، وفى حصرها حصراً دقيقاً ما يمكن من استكمال حلقات مفقودة . وقد بذلت فى ذلك جهود ملحوظة فى الثالث الأول من هذا القرن ، وما أحوجنا إلى استكمالها . وحبذا لو أنشئ فى استامبول معهد للدراسات العربية يعد طائفة من الباحثين لجميع هذه المخطوطات وحصرها ، ويقينى أن الحكومة التركية سترحب بذلك .

ولسنا فى حاجة أن نشير إلى ما للتراث العربى من شأن فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، فهو عنوان حضارة سادت العالم عدة قرون ، وهزمة وصل بين القديم والحديث . أخذ عن الحضارات القديمة ، وأثر فى الحضارات الحديثة . أحيا معالم التراث اليونانى ، واحتفظ بأجزاء منه ضاعت أصولها الأولى ووجه نظر الغرب إليه ، فبدأ يأخذ عنه ويتبع خطاه . ونشأ من ذلك تراث القرون الوسطى اللاتينى . وللتراث العربى شأن أيضاً فى الحضارة الغربية الحديثة ، أثر فى عملها وفلسفتها فى فنها ، صناعتها . وهو اليوم للعرب والمسلمين جميعاً مجد الماضى ، ونبراس الحاضر ، وهدى المستقبل .

\* \* \*

وقد عنى المسلمون من قديم يحفظ تراثهم المكتوب ، فاقتنوا فى نسخه ، وآجادوا فى

تغليفه ، وأودعوه أماكن أمينة . وأنشئت منذ عهد مبكر مكتبات لجمعه وحفظه ، وأعدت فى المساجد خزائن خاصة به . وتعددت مخطوطاته - ويكاد يصل ما بقى منها إلى بضعة ملايين ، موزعة بين الشرق والغرب فى العالم القديم والجديد . وقد تسابق الغربيون منذ القرون الوسطى إلى جمع المخطوطات العربية ، وتنافسوا فى شرائها ، ولم يرضوا عليها بمال . واشتد تنافسهم فى التاريخ الحديث وجدوا فى اقتنائها منذ القرن الثامن عشر ، ولها أقسام خاصة مسجلة ومفهرسة فى المكتبات الأوربية الكبرى ، وبخاصة المتحف البريطانى ، ومكتبة باريس الأهلية ، والأسكوريال ، والأمبروزيانا ، ومكتبات بعض الجامعات الأمريكية نصيب منها . وعلى دعائها قامت حركة الاستشراق منذ أوائل القرن الماضى .

ولا يزال فى العالم الإسلامى والعربى تروية كبيرة منها ، وما أجددنا أن نرعاها ونتمهدها وقد أشرنا من قبل إلى التروية الهائلة التى تحتفظ بها مكتبات استامبول . ودعونا إلى متابعة كشفها وفهرستها والتعريف بها . وفى إيران قدر ما أحوجنا أن نقف عليه ، وأن نفيد منه . وسبق لحيدر آباد المدكن أن إعرفت ببعض مخطوطاتها .

والتبادل الثقافى ضرورى ونافع ، فى المطبوع والمخطوط على السواء ، وعن

إلى مئات الألوف وقد لا تكون ثمة  
مجموعة تعادلها في بلد عربي آخر . إلا أن  
منها ما فهرس وعرف به ، ومنها ما لم يفهرس  
بعد ، وأغلبه تنقصه الأحرار الملائمة والأماكن  
الصالحة .

\* \* \*

وأول خطوة في سبيل إحياء التراث العربي  
المكتوب أن يحصر ، وأن تجمع مخطوطاته  
وتفهرس ويعرف بها ، تمهيداً لنشرها ، وهذا  
ما سنعرض له فيما يلي .

أبراهيم مدكور  
رئيس الجمع

طريق الفيلم والتصوير يمكن تبادل المخطوطات  
على اختلافها . وفي العالم العربي ثروات يعجز  
بها ، وهي موزعة بين المكتبات العامة  
والخاصة ، وندعو مخلصين أصحاب المكتبات  
الخاصة أن يكشفوا عن كنوزهم ، وأن  
يمكنوا الباحثين والدارسين منها . ويكفي على  
سبيل المثال أن أشير إلى « كتاب المغني »  
للقاضى عبد الجبار الذى أخرجنا بعض  
أجزائه ، واحتفظت مكتبات اليمن الخاصة  
بالأجزاء الباقية .

ومخطوطات العالم العربي موزعة بين  
عواصمه ومدنه ، وربما كانت القاهرة  
والرباط من أعظمها حظاً . وفي مكتبات  
مصر العامة والخاصة مخطوطات تكاد تصل



# مِنَ الدَّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

## للأستاذ علي النجدي ناصف

ثم أحاول أن أكشف السر الذي هديت إليه في كل من المثالين :

فأما المفرد الذي - بل محل الجمع فهو لفظ « العبد » ، ونحن إذ نتبعه بالإحصاء - جمعاً ومفرداً في القرآن الكريم - نجد أنه مذكوراً بلفظ الجمع مرتين ومائة مرة : كان لفظه مطابقاً لمعناه فيها كلها . ونجد أنه مذكوراً بلفظ الأفراد - والمراد به الجمع - مرة واحدة ، وذلك إذ يقول الله تعالى : ( إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا <sup>(١)</sup> ) .

وذكر « العبد » بلفظ الجمع إذن - لا يسترعى انبساطاً ، ولا يشير ، أولاً ، لأنه من قبيل وضع اللفظ موضعاً ، والمطابقة بينه وبين معناه ، لكن الذي يسترعى الانتباه حقاً ، ويشير السؤال إلحاحاً -

القرآن الكريم

الأخذ بمقتضى الظاهر

في كثير من آياته ، فهو حينما يضع المفرد مكان الجمع ، وحينما آخر يخالف بين الضمير ومرجعه ، وهكذا .

ومعاذ الله أن يكون شيء من ذلك - إلا لأمر يراد : من حكمة بالغة وسر مكنون . والمرء إذ يتدبر هذه الآيات ، ويحجبل في أعطافها الفكر ، فيفتح الله عليه ، ويكشف له عن وجه الرأي فيها ، ويذهب عنه الحيرة - يشعر ببرد اليقين ، ويدوق حلاوة الإيمان ، ويزيد اقتناعاً بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ، وأنه الكلام يعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، وكان بعضهم لبعض ظهيراً .

وسأقتصر في هذه الكلمة على مثال واحد مما حل فيه المفرد محل الجمع ، وآخر ما لا يطابق فيه الضمير مرجعه ،

(١) سورة مريم : ٩٣-٩٥

هو من التعبير بلفظ « العبد » وكان « العباد » ، أو « العبيد » في الآيات المذكورة ، مع أن المقام - بحسب مقتضى الظاهر - لأحد الجمعين ، لا المفردة .

فذن - إذ ننظر في الآيات - نراها - كما لا يخفى - تتظاهر على تصوير حال الناس يوم يعرضون على ربهم ، أي على تصوير حال البشر كافة ، منذ خلقهم الله إلى يوم يبعثون . هم إذن الكثرة التي لا أكثر منها ، والعدد الذي لا يحصيه إلا الله تعالى . فإذا هم لم يذكروا هنا بلفظ الجمع فمن يذكر ؟ ومتى يذكرون به إذا هم ذكروا ؟

خواطر تحوُّك - لأول وهلة في نفس القارئ إذ يقرأ الآيات ، أو السامع حين يسمعها تتلى عليه ، ثم يبدو له أن ينظر في معناها ويكتنه سرها . وهو - حينئذ لا يملك أن يقر عليها ، ولا أن يضرب صفحاً عنها ، فتظل تراوده ، ويظل في حيرة من أمرها حتى يبلغ منها أرباباً ، أو يسلو عنها يأساً .

على أنه إذ يروى فيها ، ويلقى باله إلى الحال التي تومئ إليها ، والمقام الذي تتحدث عنه - لم يمتنع عليه أن يتبين

بتوفيق الله أن المقام فيها للحساب والجزاء . لا للعد والإحصاء وأن الأمر قد شبه عليه ، فوهم أن حياة الآخرة كحياة الدنيا وأن حال الناس هناك كحالهم هنا حين يعرضون على ربهم ، فإذا هم أجناس وأمم ، وطوائف وفرق ، تتخالف على العهد بها ، أصولاً وأنساباً ، وتتفاضل درجاته ومنازل وتتميز مواهب وسماوات ، تى ما تكاد تجددهم جامعة ، أو تؤلف بينهم آصرة إلا أنهم لا دم وحواء .

والحقيقة أن الأمر مختلف جداً . فالآخرة غير الأولى ، وحال الناس في هذه غير حالهم في تلك . ويومئ لفظ « العبد » في الآيات إيماءً خفياً إلى مشهد مهيب من مشاهد الآخرة ، مشهد لا كالمشاهد ، ولا الناس فيه كالناس . الملك يومئذ لله الواحد القهار ، وكل من في السموات والأرض خاضع مقهور ، والناس بين يدي ربهم أشباه متساوون ، كأنهم فرد واحد ، تتكرر ذاته ، وتتوحد صفاته . ذهب من بينهم الفوارق فلا علية ولا سوقة ، ورفعت من دونهم الحجب فالتقى الأحمر والأسود ، ومحيت الحجب فالتقى الماضي والحاضر ، ورد الأول على الآخر .

تقطعت الأسباب فانفض الأنصار والأعوان، تناكر الخالصان فلا يسأل حميم حمياً، قطعت الأرحام فلا يجرى والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً. انحلت عرا الأنساب فكل يعزى لآدم وحده، ولا يعزى بيه منه ولا لأحد من جدوده الأقربين أو الأبعدين. خرست الألسنة، وخشعت الأبصار، ووجلت القلوب، وذهبت النفوس ضياعاً بين القلق والاطمئنان، وبين اليأس والرجاء، لا تدري ما الله صانع بها، ولا المصير الذي هي صائرة إليه، فتشابهت الملامح والسمات، وتوافقت المشاعر والخلجات: المنظر واحد، والمخبر واحد، حتى ليتمثل الجمع في سميت الواحد، ويتراءى الغائب في شخص الحاضر، ويعنى القريب عن البعيد. وما كان لذلك كله أو لشيء منه أن يكون لولا وضع « العبد » هنا بلفظه المفرد مكان « العباد » أو « العبيد »، لكي يؤدي المعنى الذي ذكرنا أداءً إشاراً وتلميحاً، لا حديث بسيط. وتفصيل.

وأما المثال الذي لم يطابق فيه الضمير بـرجعه - فقوله تعالى: ( ثم إنكم أيها

الضالون المكذبون لا تكونون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون، قشاريون عليه من الحميم ) .

طعام الزقوم - كما تدل الآيات عليه - نوع من العقاب الذي أعده الله للعصاة من عباده. ويختلف العلماء في تفسير الزقوم، فمن قائل: إنه اسم يطلقه أهل اليمن على كل ما يتقيأ به، وهو ع هذا - لا يخص نوعاً من الشجر، بل يحتم كل ما تقلس له النفس، ويهيج به الجوف فيقذف ما عسى أن يكون فيه. ويكون عقاب العصاة بالأكل منه حينئذ أنهم يحملون عليه، وإنهم ليعلمون ما هو صانع بهم من التهوع وإثارة الجوف.

ومن قائل: إنها شجر باليمن لا ورق لها، وفروعها أشبه شئ برؤوس الحيات، فيكون عقاب العصاة بها أنهم يحملون على الأكل منها مع بشاعة منظرها، وتقزز النفس منها، وسوء ما تخيله لهم حين يطعمونها، حتى ليحسبون أنهم لا يأكلون من شجر بل من رؤوس حيات.

ويفسر أبو جهل الزوم ساخرًا مستهزئاً حين ذكر له، فيقول: « إن هذد كلمة

لم تكن من لينة قريش ، وإن رجلاً أشبهره  
 أن أهل يشرب يقولون : تزقمت ، إذ  
 أكلت التمر بالزبد<sup>(١)</sup> ، فالزقوم في  
 تفسيره مأخوذ من هذا الأصل ، وطعامه  
 إذن نعمة رضا لانقمة غضب وسخط .

ويذكر القرآن الكريم شجرة الزقوم  
 في قوله تعالى : ( أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ  
 الزُّقُومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّمَا  
 شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا  
 كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ<sup>(٢)</sup> ) ووصفها -  
 باللعن ولم يسمها في قوله ، سبحانه  
 ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ  
 وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً  
 لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ  
 فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا<sup>(٣)</sup> ) .

ونخلص من وصف القرآن لها بأنها  
 شجرة لا كشجر الدنيا ، فهي تنبت في  
 قرار الجحيم ، وتنمو على السعير ، خبيثة  
 المطعم ، بشعة المنظر ، تعافها النفس ،  
 وتنفر منها العين . تضرم العطش في جوف  
 آكلها ، فلا يجد غير الحميم ، فيشرب  
 منه ضارياً به ، مشتفاً له .

هذه كلمة عن الزقوم ، بدالي أن أقدها  
 بين يدي الحديث عن تصريف الضمير  
 في الآيات التي ذكرتها في مستهل الكلام .  
 ونحن إذ نرجع إلى هذه الآيات نرى  
 أن شجر الزقوم فيها قد عاهد عليه ضميران  
 أولهما هو المتصل « بمن » قوله : ( فمالئون  
 منها البطون ) ، واخر هو المتصل « بعلى »  
 في قوله : ( فشاربون عليه ) . والأول  
 كما لا يخفى - مؤنث ، فهو مطابق للشجر  
 بحسب منناه ، والآخر لمذكر ، فهو مطابق  
 للشجر بحسب لفظه . ولا يمكن أن يكون  
 تصريف الضمير على هذه الصورة إلا الناشئة  
 من البلاغة واطائف الإشارات .

ويقول أبو حيان في ذلك : ( فمالئون  
 منها ) ، الضمير في « منها » عائد على  
 « شجر » ، إذ هو اسم جنس يؤنث  
 ويذكر . ( فشاربون عليه ) ، قال  
 الزمخشري : ذُكِرَ على لفظ الشجر ،  
 كما أنث على المعنى في « منها » .  
 وقال ابن عطية : الضمير في « عليه »  
 عائد على المأكول أو الأكل<sup>(٤)</sup> .

(١) الروض الانف : ١ : ٢٨ (٢) سورة الصافات : ٥١-٥٤ (٣) سورة الإسراء : ٦٠

(٤) البحر المحيط : ٨ : ١٠ .

ولا خلاف أن اسم الجنس يجوز تذكير ضميره مراعاة لتذكير لفظه ، ويجوز تأنيثه مراعاة لدلالته على متعدد .  
 أما قول ابن عطية : « إن الضمير في « عليه » عائد على المأكول ، أو على الأكل - فليس بذلك ، لأنه يجعل لكل من الضميرين مرجعا ، قضمير « منها » للشجر ، وهو الوجه ، لأنهما متجاوران ، والمعنى عابه . وضمير « عليه » للمأكول أو الأكل الذي تشير إليه كلمة « لاكلون » . وهي مذكورة قبل « الشجر » ، وإذا يكون على ضمير « عليه » أن يتخطى كلمة « شجر » . وضميرها لكي يعود إلى المرجع الأول . ولا يخفى ما في هذا من مبالغة وتفريوة لغير حكمة ولا فائدة .

بقي أن القول بتأنيث الضمير الأول مراعاة لمعنى الشجر ، وتذكير الآخر - مراعاة للفظه لا يخفى من التساؤل عن سر هذا التخالف أولا ، وعن وجه تقديم المقدم وتأخير المؤخر من الضميرين دون العكس بعد ذلك .

ويبدو - والله أعلم - أن هذا التخالف في صورته السابقة - إنما يراد به حكاية حال الآثمين حين يأكلون من شجر الزقوم وحين يقرفى بطونهم ما يأكلون منه ، فهم حين الأكل لا يأكلون من شجرة واحدة ، بل من عدة من شجره ، كأن لكل شجرة مذاقا متميزا ، فبعض الشجر أخبث من بعض ، وفي تعدد ما يأكلون من ، إذن مزيد من العذاب وتنوع فيه . والضمير الذي يطابق ذلك ويمثل معناه هو ضمير الجمع لا ضمير المفرد .

وهم إذ تمتلئ بطونهم مما يأكلون ، وإذا تستقر فيها أصنافه المتعددة - لا تظال على حالها من التميز والتنوع ، بل يمتزج بعضها ببعض حتى تصير في رأى العين شيئا واحدا ، على نحو ما يصير إليه الطعام في الحياة الدنيا ، حين يكون مؤلفا من أصناف متنوعة ، بعد أن تعمل المعدة عملها فيه . والضمير الذي يصلح لذلك ويمثل معناه هو ضمير المفرد لا ضمير الجمع . والله تعالى أعلم :

على النجدي ناصف

عضو المجمع

# الجناس وأنواعه

## في منظومة ابن طاهر الهوارى قاضى قاسى

### للأستاذ عبد الكون

الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً، إنيها، ولأن اللفظة المشتركة إذا حملت على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه « نفاه السبكي في شرح التلخيص . والاستهانة به والقول بعدم جدواه مما لا يصح قبوله ، كيف وهو واقع في الكتاب العزيز والحديث الشريف ؟ قال تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » وقال « فأقم وجهك للدين القيم » وقال : « قال إني لعاملكم من القالين » وقال : « والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ، وقال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : « غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله » و ال : « نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والكزم والقزم » . وهو في كلام العرب كثير ، كما قال في العمدة

ضرب من البديع ، والبيديع لم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ، ووضوح دلالة على المراد ، اللذين يبيحث عنهما في علمى المعانى والبيان ، والثلاثة يعبر عنها بعلوم البلاغة . وكان ابن المعتز هو أول من جمع البيديع ، وألف فيه كتاباً ، إلا أنه لم يتوسع فيه توسع من أتى بعده ، وإنما ذكر بعض ضروريه ، ومنها الجناس ويسمى أيضاً النجنيس ؛ لتجانس كلماته إن تشابه في الحروف كلاً أو بعضاً ، ومن ثم يعلم أنه من المحسنات اللفظية لا المعنوية وهذا ما حمل بعضهم على الاستهانة به حتى قال في كنز البلاغة : « أم أر من ذكر فائدته » لكنه عاد فقال : « ونخطر لى أنها الميل إلى الاصغاء إليه فإن مناسبة



ونحن نعلم أن البلاغة تتعلق باللفظ كما تتعلق بالمعنى، والديباجة الجميلة يستحسنها كل أحد، ولصناعة البديع فيها دخل كبير. نعم ينبغي عدم التكلف في ذلك وعدم الإكثار منه؛ فهو كالمح في الطعام قليله صالح، وكثيره لاخير فيه. ولعل هذا أمثل ما يقال في الجناس وسائر المحسنات البديعية. وقد أحسن الهوارى صاحب المنظومة التي نحن بصدددها حين شبهه بالخال يكون في الخد الجميل فيزيده جمالاً، لكن الخيلان إذا كثرت في الوجه كانت شيناً وعيباً.

#### المنظومة

هذه المنظومة هي رجزية من ٤٤ بيتاً، منها ٩ أبيات للخطبة وبيتان للنخم، وفيما يبقى للكلام على الجناس وأنواعه هو ٣٣ بيتاً، وقد سماها صاحبها بتحفة الجلاس، وصدورها بسابقة ترض فيها لدم ابن حجة الحموي للجناس وغض ابن رشيق القيرواني منه، ورجح عليهما مذهب الصفدي في استحسانه واستبداعه، ثم عقب برأيه هو الذي أشرنا إليه آنفاً والمتلخص في أنه على حسنه لاينبغي الإكثار منه.

#### ذم ابن حجة للجناس

للأديب أبي بكر على بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ قصيدة بديعية عارض بها بديعية عز الدين المرصلي. رالبديعيات قصائد عنى بنظمها المتأخرون، يضمونها أنواع البديع على سبيل التورية والرهز، ويجعلون موضوعها الغزل والمديح وما إليها. ولعل أول من ابتكر هذا اللون من النظم هو الصفي الحلبي.

والمهم أن ابن حجة شرح بديعته بشرح سماه «خزانة الأدب وغاية الأرف» وشخصه بالكثير الطيب بن اللطائف الأدبية والمختارات الشعرية، وهو مطبوع في مجلد ضخيم يحتوي على ٥٧٠ ص. ولما تكلم على الجناس في شرحه هذا قال ما يلي: «أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ فإن كلاً منها يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة». وبعد أن أتى بأمثلة مستكرمة ومستثقلة منه، عاد فقال: «والجناس من صور الألفاظ».

ومن وافق على ذلك علامة عصره الفهاب محمود (الخفاجي) قال

: «إنما يحسن الجناس إذا قلَّ وأتى في الكلام عفوًا من غير كد ولا استكراه، ولا بديلاً ولا ميل إلى جانب الركة» .

وهذا هو ما يراه صاحب المنظومة، فهو وابن حجة إذن متوافقان في الرأي .

### كلام ابن رشيق

عقد ابن رشيق في عمدته باباً للجناس وهو يسميه التجنيس، أطال الكلام فيه على أنواعه، وذكر ما ورد منه في التران والجديث والشعر المطبوع منوهاً به، منبهاً على وجبه حسنه، ثم مثل ببعض ما أتى على سبيل الصنعة المجردة، فقال: «وهذا أسهل معنى ابن داو له، وأقرب شيء ممن تناوله، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة، بنو بلال يشاك في تكلفه، وقد أذن سنة فتولاه الساقية المتة بون في نهم ونظمتهم حتى بردوا، بل ندر كذا» .

وهو كلام لا غبار عليه، ولا يستحق ما قاله صاحب المنظومة في الغض منه .

### مذهب الصفدي

أما الصلاح الصفدي فإنه كان معجباً بالجناس كثيراً منه، وألف فيه كتاباً سماه «جنان الجناس» ضمنه الكثير من نظمه فيه، وهو في الغالب من المتكالف المتهافت،

وقد انتقده عصره جمال الدين بن نباتة لما وقف عليه بكلمة استعمل فيها جناس التصحييف فقال: «بل هر جناس الخناس»، والغريب أن صاحب المنظومة مع استحضانه لمذهب الصفدي، وترجيحه له، لم يأخذ به، وإنما مال في الأخير لرأي ابن رشيق وابن حجة الذين انتقدهما .

### أنواع الجناس في المنظومة

جملة ما ذكره الهوارى في منظومته من أنواع الجناس خمسة، تصل باعتباراً منها إلى ستة عشر نوعاً :

الأول: التام؛ ونحوه ستة أقسام، فإن كان من نوع كاسمين سعى متماثلاً نحو: «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة، وإن كان من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفى، كقول الشاعر .

مادات من كرم الزمان فإنه

يجي لى يحيى بن عبد الله

ومنه المركب فإن اتفق في اللفظ سمي

المتشابه، كقوله:

إذا ملك لم يكن ذاهبه

فأدعه فادولته ذاهبه

والاسمى بالفروق كقوله :

كلُّكم قد أخذ الجا

مَ ولا جا م لنا

ما الذى ضرَّ مُديرَ الجا

م لـ و جا م لنا

وهذا إذا اختلف اللفظان في الرسم فقط  
وكانا مستقلين ، أما إذا تركب أحدهما  
من كلمة وبعض أخرى ، فسمى بالمرقوف  
وقد مثل له الناظم .

والثاني المُحرَّف ؛ وهو ما تختلف

هيئة حروفه نحو جبة البرد جنة البرد  
وتشديد الحرف هنا ملغى كما في قولهم :  
الجاهل إما مُفْرِط أو مُفْرِط .

الثالث الناقص ؛ وهو ما نقص

منه حرف سواء كان في الأول مثل : « والتفتت  
الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ، أو في  
الوسط . نحو : جدى جهدى ، أو في الآخر  
كقوله :

\* يمدون من أيدي عواصم عواصم \*

وهذا له اسم خاص وهو المُطَّرَّف ، فإن  
كان النقص بأكثر من حرف سمي  
مُذَيِّلاً كقوله :

إن الهكاء هو الشفاء

من الجسوى بين الجسوانح

الرابع المضارع ؛ وهو ما اختلف

حرف من حروفه مع تقارب المخرج سواء  
كان ذلك أولاً أو وسطاً أو آخراً ، نحو ليل  
دامس وطريق طامس ، وقوله تعالى : « وهم

ينهون عنه وينأون عنه » ، وقوله عليه  
السلام : « الخيل معقود في نواصيها الخير »  
وقد مثل الناظم لمُختلف الحرف الأول

ومنه اللاحق ، وهو ما كان الاختلاف

في حروفه غير متقارب المخرج ، نحو « ويل  
لكل همزة لَمزة » ونحو : « إنه على ذلك لشهيد ،

وإنه لحب الخير لشديد » ، ونحو « وإذا  
جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به » .

وقد مثل الناظم لمُختلف الوسط ، ومنه جناس  
القلب وهو ما اختلف ترتيب حروفه ، فإذا

كان الاختلاف كلياً مثل فَتَحَ وَحَتَفَ سمي  
قَلْبَ كُلِّ ، وإذا كان في بعض الحروف

فقط نحو : اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا  
سُمِّي قَلْبَ بعض . وإذا وقع أحدهما

في أول البيت والآخر في تمامه سمي مقلوباً  
مُجَنِّحاً كقوله :

ساق يُسريني قلبه قسوة

وكل ساقٍ قلبه قاس

وإذا اقترن المتجانسان سمي مُزْدَوِجاً

ومُكْرَراً ومُرْدِّداً ، وقد مثله الناظم بقول

الله تعالى : « جئتك من سد ابنيبا يقين » .  
الخامس جناس الخط ، كما سماه  
الناظم ، ويسمى الجناس المطلق ؛ وهو  
ما توافق فيه اللفظان نخطاً من غير توافق  
في الحروف نحو قوله عز وجل : « قال  
إني لعمليكم من القالين » وما توافقا  
اشتقاقاً وإن لم يتوافقا لفظاً كقوله سبحانه :  
« فاقم وجهك للدين القيم » ، ويسمى  
جناس الاشتقاق كما أن الأول يسمى  
جناس شبه الاشتقاق ، والناظم ضمن هذا  
النوع في لاشقة جعلها ختام المنظومة ،  
وذلك لعدم دخوله تحت تعريف الجناس ،  
وكذلك فعل صاحب التلخيص ؛ إذ جعله  
من الملحق بالجناس .

#### صاحب المنظومة

هو أبو عبد الله محمد بن طاهر  
النهواري الفاسي ، أحد الأعلام في الفقه  
والعربية والأدب ، أخذ عن جلة علماء  
عصره ، وأخذ عنه السلطان سليمان العلوي  
فمن دونه ، وولى قضاء فاس فحمدت سيرته  
وألف عدة تآليف أكثرها نظم ، منها أرجوزة  
فيما انفرد بن ابن عاصم عن المختصر  
الخليلي من المسائل الفقهية ، وأرجوزة في  
علم الكلام ، وأرجوزة في علم المنطق

وأرجوزة الجناس التي بين أيدينا ، وكتب  
حاشية على شرح الشيخ سعيد قدورة على  
السلم سماها « اليواقيت المنشورة » ، وله شعر  
جيد ، وتوفي سنة ١٢٢٠ هـ

ومن شعره هذا الموشح الذي ارتكب  
فيه من الجناس ما جاء على خلاف مذهبه  
في عدم الإكثار منه ، ولكنه مع ذلك أحسن  
فيه وأجاد وأبان عن براعته التامة في هذه  
الصناعة :

شادن بالغرام

يستفز الغريم

وصلت لا بـرام

والهوى لا يريم

أغيد لا يُقيل

مهجتي بالمقل

وبطرف كحيل

حل فيه الكحل

وبغد أسيل

فوق غصن الأسل

بُخله بالسلام

أضنى قلبي السليم

ليته بالكلام

أحيا صببا كليم

وَحْشَةُ الْهَاشِمِيِّ

صَيَّرْتَنِي هَشِيمٌ

مَنْ عَدَا لَائِمِي

فِي هَوَاهُ لَيْمٌ

أَيْهَا الْفَاطِمِي

صَلِّ مُحِبًّا فَطِيمٌ

لِحَفْظِهِ كَمَا لِحَسَامِ

لِفُؤَادِ حَسِيمِ

مُظْهِرٌ بِابْتِسَامِ

دُرِّ ثَغْرِ بَسِيمِ

### نص المنظومة

رَأَجَلْتُ مَا اعْتَنَى بِهِ الْإِنْسَانُ

وَحَيْرٌ مَا فَاهُ بِهِ اللُّسَانُ

بَدَأْتُ الْكَلَامَ بِالثَّنَا وَالْحَمْدِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْفَرْدِ

ثُمَّ عَلَى مَنْ شَرَّفَ الْبَيَانَ بِهِ

وَتَمَّ النَّعْمَى لَنَا بِسَبَبِهِ

مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا الْمُخْتَارِ

وَأَلِيهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ

أَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ وَالسَّلَامِ

مَا أَحْسَنَ الْجِنَاسَ فِي الْكَلَامِ

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِهَذَا الرَّجْمِ

نُظِمَ الْجِنَاسُ بِكَلَامٍ مُوجِزِ

مُنْمَقٌ مُرُونَقٌ عَجِيبٌ

يَرُوقُ لَيْلٌ حَازِقٌ أَرِيبٌ

سَمِيئُهُ بِنَحْفَةِ الْجُلَاسِ

فِي جَمْعٍ مَا جَاءَ مِنَ الْجِنَاسِ

وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا سُبْحَانَهُ

أَرْجُوهُ فِي التَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ

### سابقة

مَا إِنْ بَدَتْ فِي قَوْلِهِ ابْنِ حِجَّةٍ

فِي ذَمِّ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ حِجَّةٌ

وَلَا أَتَى أَبُو عَلِيٍّ بِنِ رَشِيْقٍ

فِي الْغَضِّ مِنْ ذَا النُّوعِ بِالفِهْمِ الرَّشِيْقِ

وَمَذْهَبُ الشَّيْخِ الشَّهِيرِ الصَّفَدِيِّ

وَقَدْ مَضَى عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٍ

أَنَّ الْجِنَاسَ خَيْرٌ مَا يُرْتَكَبُ

وَهُوَ بَدِيعُ الْحَسَنِ لَا يُجْتَنَبُ

وَالرَّأْيُ فِيهِ أَنَّهُ مُسْتَحْسَنٌ

لَكِنَّمَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُ أَحْسَنُ

بَلْ قِيلَ كَالْخَالِ فَمَا قَلَّ يَزِينُ

وَكَثْرَةُ الْخِيَلَانِ فِي الْعُخْدِ تَشِينُ

### ذكر الجناس التام واقسامه

إِنْ حَصَلَ الطَّبَاقُ فِي اللَّفْظَيْنِ

فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ دُونَ مَيَّنِ

وَاتَّفَقَتْ فِي النُّوعِ وَالْمُرْتَبِيبِ

وَاتَّحَدَتْ فِي هَيْئَةِ التَّرْكِيبِ

فذلك يُنسب إلى التام  
ويتنوع إلى أقسام  
فإن يك اللفظان من نوع فذا  
بالتماثل يُسمى حيناً  
وإن يكونا مختلفاً في النوع  
فذلك مُستوفى بسدبِ الوضع  
وإن يكن بعضهما تركيباً  
من كلمتين فادعه التركيباً  
فحيثما يتفقان رسماً  
فالمُتشابه لديهم يُسمى  
ولتدعه المفروق مهما مختلفاً  
في الرسم، والمرفوق إما اختلفا  
من كلمة وبعض أخرى كالمُصاب  
وطعم أصاب في كلام من أصاب

### ذكر المحرف

وحيثما في هيئة الحروف  
تخالفاً فانسبه للتحريف  
وحكم ما شدد من ذى الأحرف  
كحكم ما خفف منها فاعرف

### ذكر الناقص وفروعه

وإن يك التمدد في إحداها  
أنقص حيراً، ناقص له سمي

في أول أو وسط أو في التام  
وبالمطرف ادع ذابلاً كلام  
وبالمُذيل ادع ما زاد كما  
بين الجوارى والجوى فلتعلمنا

### ذكر المضارع واللاحق

وحيث الاختلاف في نوع فما  
في غير واحد يكون منهما  
فإن يكونا متقاربين  
فهو المضارع بغير ميم  
لا فرق بين طرف ووسط  
كجىء هذا المختبط المغتبط  
وإن تباعدَا فذلك اللاحق

كمثل ما في لاسق ولاسق  
وحيث الاختلاف في الترتيب

فهو جناس القلب في التركيب  
كالفتح والحتف وذا يُلقب

بقلب كل حيناً يستوعب  
وقلب بعض إن ببعض الأحرف

كمثل روعات وعورات يفي  
وإن أتت في البيت أولى الكلمتين

صدراً وأخرى عجزاً بغير ميم  
وفيها تجنيس قلب فادعه

مُجنحاً ولا يعز وضعه

وعند الافتتران يُدعى حيث جاء

مردداً مكرراً مزدوجاً

كسبياً بنبياً يقيس

ثم جناس القلب بالتبيين

### لاحقة

وعندهم تعجيس خط وهو ما

توافق اللفظان فيه فاعلمنا

وحيثما اشتقناقاً أو شبه يحمى

بينهما فيالجناس يلتحق

تم الذي رمت من الجناس

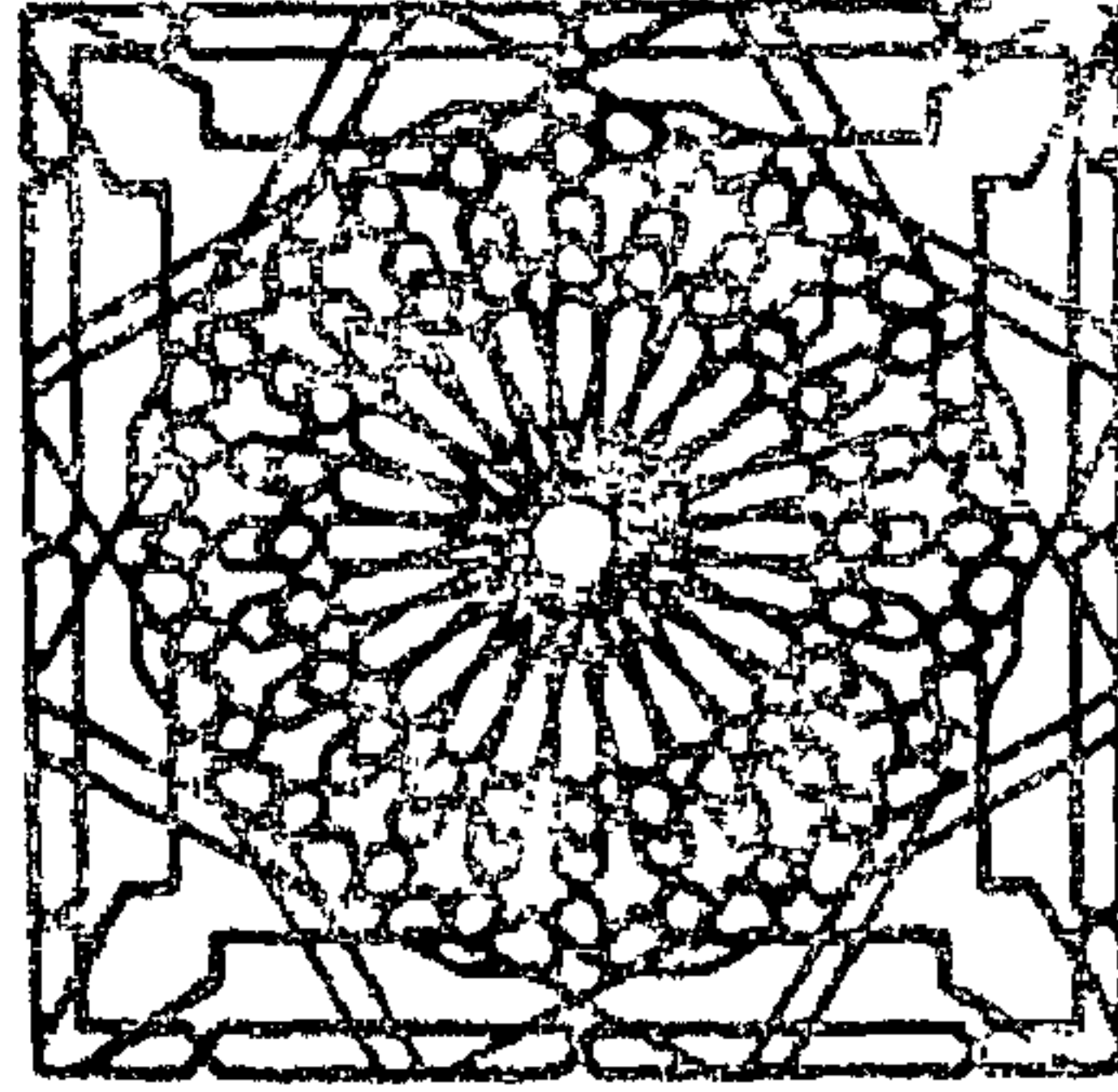
والحمد للإله رب الناس

ثم على أفضل رسل الله

أزكى صلاته بسالاتناه

عبد الله كنون

عضوالمجمع من المغرب



# مجلة شعرى تاريخى قديم

## للكنور شوقي ضيف

كل

من يدرس تراثنا

الشعرى يعرف أنه

يصور حياة أسلافنا من جميع أطرافها  
لسياسية والاجتماعية والعقلية فقد مثلوا  
فيه جوانب حياتهم ، ولم يقصروه على  
وصف مشاعرهم الوجدانية الخالصة ، بل  
وسعوا من قديم جنباته ليصور بيئتهم  
ومجتمعهم وحروبهم أو أيامهم . وعرف  
ذلك علماءنا في العصر العباسي ، فحينما  
حاول الجاحظ مثلا أن يتحدث عن  
الحيوان ملاً كتابه عنه بأشعار الجاهليين  
في الحيوان وطبائع أنواعه سواء منها  
ما كان سباعاً أو بهيمة ، وبالمثل علماء  
اللغة حين تحدثوا عن النجوم والرياح  
والأمطار والثلوات ومراعيها وأشجارها  
ونباتاتها وأزهارها ساقوا في ذلك أشعاراً  
كثيرة ، كما ساقوا أشعاراً كثيرة تصور  
عادتهم وتقاليدهم وديانتهم .

والحربى وحياتهم الاجتماعية والفكرية ،  
وتنبه لذلك مؤرخونا قديماً ، إذ نرى  
الطبرى وغيره يتوقفون في تاريخهم مراراً  
لينشروا بعض الأشعار التي نُظمت في  
الأحداث السياسية والحربية ، وكانما  
هداهم حسهم التاريخى من قديم إلى  
أن الشعر وثيقة تاريخية ينبغى أن تضاف  
إلى وثائق الأخبار المروية . ولا أرتاب في  
أنهم تنبهوا إلى أنه وثيقة أكثر نبضاً  
بالحيوية والحياة من الروايات الشفوية ،  
لأن هذه الروايات تعتمد على السمع ،  
بينما يعتمد الشعر غالباً على البصر والمشاهدة ،  
إذ يشاهد الشاعر الأحداث التاريخية  
ويصورها ، وليس من رأى كمن سمع .  
وليس ذلك فحسب ، فإن الرواية للحدث  
التاريخى قد يدخل عليها الكذب والتعصب  
والهوى ، وقد يدخل عليها أيضاً شيء  
من النسيان لبعض دقائق الحدث .

ومن المؤكد أن الشعر أحياناً يكمل  
التاريخ ، فقد ينسب المؤرخون معركة

وقد مضى الشعر العربى على هذا النحو  
طوال عصوره يصور تاريخ العرب السياسى



كبرى ويذكرها بعض الشعراء كمعركة  
الأسطول العربي مع الأسطول البيزنطي في  
عهد الخليفة المتوكل، فإن الأسطول الأخير  
دُمر كأن لم يكن شيئاً مذكوراً. وسكتت  
عن ذكر ذلك كتب التاريخ العربية، ولولا أن  
البخري صور المعركة وبطولة العرب  
فيها ما عرفنا عنها شيئاً. وكلنا نعرف  
أنه لو لم يقيض المتنبي لتصوير بطولة  
سيف الدولة أمير قلعة حلب الذي ظل  
ينازل جيوش الدولة البيزنطية نحو ثلاثين  
عاماً وينزل بها هزائم متعاقبة ما تجسدت  
هذه البطولة في نفوس الشباب العربي من  
جيل إلى جيل بالصورة الرائعة التي رسمها  
المتنبي للبطل العربي، وإذن لكانت سرداً  
تاريخياً لا يحوى شيئاً من هذا المهيب  
الحمايى الشعرى الذى أودعه المتنبي  
سيفياته. ومن يقرأ كتاب الروضتين في  
أخبار الدولتين: دولة نور الدين ودولة  
صلاح الدين، لأبى شامة المقدسى يلاحظ  
أنه قسم وصفه لمعاركهما الحربية ضد  
الصليبيين قسمين: قسماً لنفسه يسرد  
فيه أحداث المعركة، وقسماً للشعراء  
يصفون فيه المعركة وأحداثها وصفاً شعرياً،  
يصور بسالة قائدها وجنوده تصويراً يشعل  
الشجاعة والمضاء والعزيمة المصحمة في نفوس

العرب كى يسحقوا الصليبيين سحقاً  
لا يبق ولا يذر.  
وعلى هذا النحو كان الشعر العربى  
دائماً سجلاً تاريخياً قيماً لأحداث القرون.  
الماضية؛ وليس هذا كل ما أريد أن أقوله،  
بل أريد أن أقول أيضاً إنه حين ننتقد  
التاريخ الدقيق لدولة من دولنا في العصور  
الغابرة ينبغي أن نأجأ إلى دواوين -  
الشعراء الذين عاصروها. لعنا نجد فيها  
ما افتقدناه أو بعض ما افتقدناه. ولعل  
من الطريف أن نعرف أن دولة العيونيين  
التي حكمت إقليم الأحساء والقطيف ودمجر  
والبحرين نحو مائة وسبعين عاماً  
لم تسجل تسجيلاً واضحاً لأحداثها  
وشؤونها التاريخية لا عند ابن الأثير ولا عند  
غيره من المؤرخين القدماء، راولاً أن شاعراً  
سجل كثيراً من هذه الشؤون والأحداث  
في أشعاره لضاع منا تاريخ هذه الدولة  
إلا قليلاً. وهو شاعر من الأسرة الحاكمة  
أسرة العيونيين خلف ديواناً كبيراً من  
الشعر هو على بن المقرب العيونى الذى عاش  
نحو ستين عاماً من سنة ٥٧٢ إلى سنة  
٦٣١ ولم يسجل ما عاصره من أحداث  
دولته التاريخية فحسب، بل سجل أيضاً

أحداثها منذ نشأت إلى حصره في تضاعيف  
مديحه لأمرائها وفخره بآبائه وأسلافه ،  
وبذلك كان الديوان سجلاً شعرياً تاريخياً  
طريفاً . وقد طبع في مكة و الهند ودمشق  
وآخر طبعاته في القاهرة بتحقيق وشرح  
عبد الفتاح الحلو .

ويحدثنا ابن المقرب طويلاً عن قضاء  
مؤسس الدولة العيونية عبد الله بن علي  
التبدي على القرامطة نهائياً ، بينما تقول  
كتب التاريخ إن دولتهم في الأحساء  
والبحرين كانت قد تلاشت قبل ظهوره  
بأكثر من ستين عاماً على يد الأصغر بن  
أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨ للهجرة ،  
ورُدَّت إلى خلافة بغداد . ويشير ابن المقرب  
إلى اضطرابات وقلقل حدثت في هذه  
الديار لمنتصف القرن الخامس الهجري ،  
وأن ابن عياش استطاع الاستيلاء عليها ،  
ومن يده أخذها عبد الله بن علي التبدي  
جميعاً ، ولم يبق مع أحد من أعوانه شيئاً ،  
وفي ذلك يقول :

فصار ملك ابن عياش وملك أبي ال  
بَهْلُول مَعْ مُلْكِنَا عَقْدًا لَنَا نَظْمًا

وأبو البهلول كان ضامناً لخراج جزيرة  
البحرين . ويبدو من شعرا بن المقرب أن

ابن عياش كان قرمطياً ، إذ يذكر أن  
عبد الله بن علي التبدي قضى عليه وعليهم  
قضاءً مبرماً ، يقول :

سَلِ الْقِرَامِطَ مِنْ شَطَى جَمَاعِمِهِمْ  
فَلَقَا وَغَادِرِهِمْ بَعْدَ الْعُلَا خَدَمًا  
من بعد أن جَلَّ بالبحرين شأنهم  
وَأرجفوا الشام بالغارات والحَرَمَا

وهو يشير إلى الطامة الكبرى طامة  
إغارة أبي طاهر القرمطي في سنة ٣١٧  
للهجرة على الحجاج في مكة يوم التروية  
وهم يلبنون وهو يقتلهم قتلاً ذريعاً ، وقصة  
اقتلعه الحجر الأسود مشهورة . كما  
يشير إلى غاراتهم على الشام في سنة ٣٦٠  
وما بعدها ، ومضى في القصيدة يذكر  
غاراتهم على العراق وتحريق مؤسس دولتهم  
: أبي سعيد الجنابي لكثير من قبيلة عبد القيس ،  
ويشير إلى فساد عقيدتهم قائلاً :

وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَنْتَهَكُوا  
شَهْرَ الصِّيَامِ وَنَصَبُوا مِنْهُمْ صَنَامًا  
وما بنوا مسجداً لله نعرفه  
بل كلُّ ما أدركوه قائماً هُدَيْمًا

وابن المقرب ينص على تعطيل القرامطة  
لقروض الدين ، ويفصل القول في حروب

هبد الله بن هلى مع ابن عياش وكيف  
أنه فر منه إلى أوال ( البحرين الآن ) وتبعه  
بعض قواده هناك وقضوا عليه ، يقول :  
فانصاع نحو أوال يبتغى عصما  
إذ لم يجد في نواحي الخطّ معتصما  
فأقحم البحر منا خلفه ملك  
ما زال مذ كان للأهوال مقتحما

والخط : القطيف ونواحيها . وكان  
القرامطة قد استنجدوا ببني عامر بن  
ربيعة ، فجاءهم من كل فج ، واحتشد  
معهم كثير من البوادي ، ولقيهم عبد الله  
ابن على فمزقهم شرمزق ، وفي ذلك يقول  
ابن المقرب :

فاستنجدت عامرا من بأسها فأتت

مغدة لاترى في سيرها يتما

واليتم : البطء . ويذكر أن فرسانهم  
كانوا ألفاً كاملة ، وأنهم نكلوا بهم تنكيلا  
شديداً :

دسناهم دوسة مريّة جمعت

أشلاهم وضيباع الجوّ والرّخما

مريّة : قوية . فهم حطموهم حطما ، جعل  
أشلاهم تتكاثر وتتناثر ، وتحط عليها ضيباع  
الأرض ونسور الجوّ . وتدين الأحساء

والقطيف وأوال لعبد الله بن هلى  
العيونى وتصبح خالصة له ولأبنائه من  
ورائه . ويتولّى بعده زمام الحكم في البلاد  
ابنه الفضل ويشيد ابن المقرب بشجاعته ،  
ويذكر أنه هو الذى اقتحم الخليج إلى  
البحرين وراء ابن عياش وأجهز عليه ،  
ويتحدث عن أيامه وأنها كانت أيام أمن  
ورخاء ، وفيه يقول :

منا الذى حاز من ثاج إلى قطر  
وصير الرمل من مال العدو حمى

وثاج : قرية في شمالي البحرين ، وقطر  
في جنوبها ، والرمل : مرعى في الطريق إلى  
عمان ، حماه فكان لا يرعى فيه أحد ، على  
نحو ما صنع قديماً كليب . ويذكر من  
رخاء البلاد في أيامه أن قوماً من التجار  
حاولوا العبور إلى البحرين فأنكسرت بهم  
السفينّة ، وسلخوا . ولكن أموالهم غرقت ،  
فعوّض كلا منهم : مقدار ما فقد من ماله ،  
وكان بينهم جوهرى ، فقد عقوداً من  
اللؤلؤ قيمتها مائة ألف ، فأعطاه المال  
واشترى به ثانية عقوداً مماثلة . ثم نزل  
هذا الجوهرى العراق ، وعرض جواهره  
على سلطان هناك فبخسه ثمنها : فقال له :  
خذها بلا ثمن ، فإن هذه الجواهر جميعها  
من مال ملك البحرين ، وقبض عليه القصة .

فَأَمَرَ السُّلْطَانُ فِي الْحَالِ بِجَامٍ مِنْ شَرَابٍ .  
فَشْرِبَهُ قَائِماً - كَمَا يَقُولُ الْخَبِيرُ -  
إِجْلَالاً لِلْمَلِكِ الْبَحْرِيِّنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .  
وَاشْتَرَاهُ مِنَ التَّاجِرِ ، كَمَا قَالَ ، دُونَ أَيِّ  
انْتِقَاصٍ لِلشَّمَنِ الَّذِي ذَكَرَهُ ، وَفِي ذَلِكَ  
يَقُولُ ابْنُ الْمُقَرَّبِ مَفَاخِرًا :

مَنَا الَّذِي قَامَ سُلْطَانُ الْعِرَاقِ لَهُ  
جَلَالَةٌ وَالْمَسْدِيُّ وَالْبُعْدِيُّ بَيْنَهُمَا

وَاطْرَدَ الْأَمْنُ وَالرِّخَاءُ فِي عَهْدِ ابْنِهِ  
مُحَمَّدِ أَبِي سِنَانٍ ، وَقَدْ ظَلَّ أَمِيرًا عَلَى الْقَطِيفِ  
وَأَوَالٍ ، أَوْ الْبَحْرِيِّنِ ، ثَمَانِيَةَ عَشْرَ عَامًا ،  
وَكَانَ بَحْرًا فَيَاضًا مِثْلَ أَبِيهِ الْفَضْلِ ،  
وَيُرْوَى أَنَّ عَامِلَهُ عَلَى الْبَحْرِيِّنِ جَاءَ إِلَيْهِ  
بِمَالٍ وَلِأَلْيَةٍ وَجَوَاهِرَ كَثِيرَةٍ ، وَتَصَادَفَ  
أَنَّ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ شَاعِرٌ عِرَاقِي يُعْرَفُ  
بِالثَّعْلَبِيِّ ، دَبَّجَ فِيهِ مَدَائِحَ كَثِيرَةً ، فَقَالَ  
لِلْعَامِلِ : ادْفَعْ الْمَالَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيهِ جَوْهَرَةٌ  
بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَبُهِتَ الْعَامِلُ ، وَمَاتَ عَلَى  
الْأَثَرِ ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ ابْنُ الْمُقَرَّبِ بِقَوْلِهِ :

مَنَا الَّذِي مِنْ نَدَاهُ مَاتَ عَامِلُهُ  
غَمًّا وَأَصْبَحَ فِي الْأَمْوَاتِ مُخْتَرَمًا

وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو فِرَاسٍ غَرِيرٌ ، وَيُرْوَى  
أَنَّ الثَّعْلَبِيَّ شَاعِرٌ أَبِيهِ امْتَدَحَهُ يَوْمًا بِقَصِيدَةٍ

فَطَابَ إِلَيَّ صَاحِبُ خَزَائِنِهِ أَنْ يَعْطِيَهُ جَمِيعَ  
مَفَاتِيحِهَا وَيَتَنَحَّى بَعِيدًا عَنْهَا لِيَأْخُذَ مِنْهَا  
مَا يَرِيدُ ، فَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ : فِي بَعْضِ ذَلِكَ  
غَنِيٌّ وَسَعَةٌ ، رِيكَفِيْنِي أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَمَرَ  
لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ  
الْمُقَرَّبِ :

مَنَا الَّذِي جَاءَ إِيشَارًا بِمَا مَلَكَتُ  
كَفَاهُ لَا يَدَّ يَجْزِيهَا وَلَا رَحِمًا

وهذه العطايا للشعراء إنما وقفنا عندها  
لندل على الرخاء الذي نعمت به تلك  
الديار في عهد هؤلاء الأمراء ، وأيضاً لندل  
على أنه كانت هناك نهضة أدبية رعوها  
خير رعاية ، على نحو ما نرى الآن في  
عطاياهم رجواؤهم الغامرة للشعراء . وهذه  
الأخبار التي نسوقها مع الأبيات السالفة  
إنما استقيمتها من الديوان نفسه ، فمع  
كل قصيدة وأبياتها شروح لإشاراتها التاريخية .  
وكان ديوان ابن المقرب يحمل تاريخ  
الديونيين شعراً وشرحاً أو نشرًا . ويذكر  
أنه كان يلي الأحساء في زمن غرير عمه  
علي بن محمد الله وأنه أتت على أهل الأحساء  
بنة شديدة ، فأمر بخزائن الغلال والتمر  
أن تفتح ويأخذ منها أهل كل بيت ما يسد  
حاجتهم ، وأمر برفع الضرائب عنهم ،

وما زال ينفق عليهم حتى صلبحت ثمارهم  
 بأخصيت معايشهم ، يقول ابن المقرب :  
 منا الذي نفض أموال الخزائن في  
 عوث الرعيّة لا قرصاً ولا سلماً  
 وبيع السلم الموجل معروف ، فهو قد  
 أعطاهم ما أعطاهم دون أي مقابل .  
 وعاصر هذا الأمير في القطيف أبو الحسن  
 ابن عبد الله بن علي ، وإليه لجأت جماعة  
 من فرسان عبد القيس ، عدادهم سبعمائة  
 فارساً ، فأكرمهم وأمر لكل منهم بدور  
 وأمتعة وخدم ، وسجل لهم في البساتين  
 والأراضي إقطاعات يتوارثونها خلفاً عن  
 سلف ، يقول ابن المقرب :

منا الذي جعل الأقطاع من كرم  
 إرثاً توزعه الوراث مقتسماً  
 وأهم من ذلك أنه حضر هذا الأمير  
 ذات يوم أربعون شاعراً ، فأعطاهم أربعين  
 فرساً مُسرجاً ملجماً  
 ولعل في هذا العدد الوفير من الشعراء  
 ما يدل بوضوح على النهضة الأدبية زمن  
 العيونيين ، وإلى هذا الحطاء وأولئك الشعراء  
 يشير ابن المقرب بقوله عن أبي الحسن :  
 وجاد في بعض يوم وهو مُرتفق  
 بأربعين جواداً تغلّك اللجماً

وخلفه ابنه الحسن على القطيف ، ووفد  
 عليه عمه هلي بن عبد الله - المار ذكره - أمير  
 الأحساء فتلقاه خارج القصر ماشياً ، وأقطعته قرية  
 الظهران على ساحل البحر ، وهي - كما  
 يقول شارح الدرر - ذات نخيل وأشجار  
 وثمار وزروع . وحرّم أن توقد بها نار -  
 للضيافة غير ناره ، يقول ابن المقرب :

منا الذي لم يدع ناراً بساحته  
 تُذكى سوى ناره للضيف إن قدما  
 ولا بد لقارئ ديوان ابن المقرب أن  
 يلاحظ أنه يتحدث تارة عن أمير  
 القطيف وتارة عن أمير الأحساء ، وكانت  
 للأول الإمارة الكبرى في تلك الدولة ،  
 وغالباً تكون معه أيضاً إمارة أوال -  
 أو البحرين الحالية . ومن أهم أمراء  
 الأحساء في عهد الحسن بن أبي الحسن  
 ابن عبد الله أخوه شكر ويذكر  
 ابن المقرب أن شخصاً ثار عليه يسمى  
 الذائلي وأنه جمع له جموعاً غفيرة  
 من البدو ، وحاصر الأحساء ثلاثين  
 يوماً ، اقتحم في نهايتها أبوابها ، وكا  
 يكتب له النصر ، غير أن شكراً تلقاهم  
 مع أنله وجناده وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً  
 عند بستان يسمى بالخائس وكان من

قتلهم المسيب أحمد شجاعهم ، يقول ابن  
المقرب :

منا الذي عامَ حَرْبِ النَّائِلِ جَلَا  
يومَ السُّبَيْعِ ويومَ الخائسِ الغَمِّمَا

وكان شكر فارساً مغواراً، وفي عهده  
وعهد أخيه الحسن - ويلقب بالزئير -  
سار صاحب جزيرة كيش بمراكب كثيرة  
لغزو أوال، ونزل فيها بمكان يسمى سُترة ،  
وفاجأهم فيه شكر، واحتدم القتال بين  
الفتيين، ودارت على صاحب جزيرة  
كيش وجنده الدوائر، فقتل منهم ألفان  
وثمانمائة، ولم يسلم منهم إلا عدد يسير،  
وفي ذلك يقول ابن المقرب :

ويومَ سُترةَ منا كان صاحبه  
لاقت به سامةٌ والحاسكُ الندما

ألفين غادر منهم معَ ثمانِ مئى  
صرعى فكم مُرَضِعٍ من بعده يتما

ويتم : أصبح يتيا . ويتوفى شكر سنة  
٥٦٢ ونظال نحو عشرين عاماً لايلقانا  
أمير نابه للعيونيين يتحدث عنه  
ابن المقرب مفاخرًا كعادته في أشعاره .  
حتى إذا كانت سنة ٥٨٤ تولى على الإمارة  
جميعها أهم أمراء هذه الأسرة العيونية :

محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله  
ابن علي وكان قد بدأ بولايته على الأحساء  
وترك القطيف للحسن بن شكر بن الحسن  
ابن عبد الله فلم يفكر أولاً في ضمها إليه ،  
وحدث أن حلّ على القطيف في القيظ  
ونزل منها على صَفْوَى : فخشي الحسن  
أن يكون غرضه الاستيلاء على بلده ،  
فأثار عليه آل شبانة وآل الجحاف  
وعساكر القطيف وفرسانها : ونازله ،  
ودارت الدوائر عليه وعلى من معه ،  
وفي ذلك يقول ابن المقرب :

لما أتت أهلُ القَظِيفِ بجَحْفَلٍ .

متوقِّدٍ كَتوقِدِ النيرانِ

ورمى الأميرُ جموعهم فتمزقتُ

كالشَّاءِ إذ جفَلتُ من السُّرحانِ

فرتُ فوارسُهم لما قد عاينتُ

هرباً ولم تعطف على النسوانِ

وحوى ظعائنهم وأحرز مالهم

غضبياً وأنزلهم بشرَّ مكانِ

وبذلك مدَّ الأمير محمد بن أبي الحسين  
لواء إمارته إلى القطيف وجميع بلاد تلك  
الدولة ، بل لقد أخذ يمدّه على القبائل في  
نجد ، واتسع في مدّه غرباً وشمالاً ، مما جعل

الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٥٦٢هـ).  
يعهد إليه بخفارة الحاج من بغداد إلى  
مكة ذهاباً وإياباً، وفرض له في كل سنة  
ألفاً ومائتي ثوب من عمل مصر أكثرها  
من الإبريسم كما فرض له من البصرة  
كل سنة ألفاً وخمسمائة حمل حنطة وشعير  
وأرز وتمر مدة حياته، وإلى ذلك يشير  
ابن المقرب إذ يقول:

منا الذي كل عام بالعراق له  
رسم سنئ إلى أن ضمن الرجم  
والرجم: حجارة القبر. يريد إلى وفاته .  
ويشيد به في أشعاره إشارات كثيرة ،  
جعلته يقول له : نشدتك الله الذي  
لا إله إلا هو أن لا تتحامي ما يحويه  
ملكى من أمر ونهى وفرس ومال وخادم  
ولا تشاورنى في شئ مما أملك ، فأمرك  
فيه كأمري ، وله يقول :

رياح الأعدى عن جمالك قصار  
وفي حسنها عما تروم عشار  
وكل امرئ ليست له منك ذمة

يُضَامُ إِلَى رَغْمٍ لَهُ وَيُضَارُ  
وما عز من أمسى سواك معاذة

ولو عصمته يعرّب ونزار  
فِعْشٌ فِي عَظِيمِ الْمَلِكِ مَا لَاحَ كَوَكَبُ  
وأظلم ليل أو أضياء نهار

وقد استطاع أن يمد رياسته على قبائل  
نجد الشرقية وأن يحمي الحجاج ،  
كما أراد الناصر ، في ذهابهم وإيابهم  
إلى الحج ، فأصبحت الطرق آمنة ،  
ولم يعد بين القبائل من يقطع الطريق  
على الحجاج وينهب أموالهم أو يسفك  
دماءهم ويسبي نساءهم . وجاءته أخبار  
في سنة ٥٩٨ بأن بنى مالك الطائيين  
يتجمعون حول لينة - ماء بطريق مكة  
يرده الحجاج - كي يقطعوا عليهم الطريق  
فجمع لهم فرسان قومه ، وفاجأهم ،  
يقتل فيهم ويسفك دماءهم . وكانوا  
جمرة من جمار العرب ذوى بأس ونجدة ،  
فأوقع بهم وقعة مبيرة ، أهلك فيها كثيراً  
من الرجال وأخذ الأموال وسبي الحرير  
والذراري، وفي ذلك يقول ابن المقرب :

وفي لينة أردى شغاميم طي  
جهاراً ولون الجو بالنقع حائل  
عشية لايلوى عنان جواده

حيمى والعذارى دأبهن التعاول  
الشغاميم : الطوال ، ويريد الشجعان

وكانما أرادت طيء أن تشار لهذه  
الواقعة من أمير القطيف والأحساء ، فجمع  
رؤساء بني ربيعة بن حارثة من طيء وهم

إليه جنوداً ساقوه في الأغلال إلى بغداد .  
واستتابه الناصر ، فتاب ، وخلع عليه وخلق  
سبيله . ويردد ابن المقرب ذكر هذه  
الواقعة في مدائحه للأمير محمد من مثل  
قوله :

ولما أتت أهل الشام يقودها  
إليه الردي قود الجنيب لراكب

سعيد ومسعود ورهط حديثه  
يسيرون جرد الخيل بين النجائب

أنهم يجوب البيد بالخيل والقنا  
فتى عبدلى في الوغى غير هائب

فلم ينجهم إلا الفرار وجيرة  
أتت منه ما فيها معاب لعائب

ومال أمير المؤمنين بسوده  
إليه وسماه زعيم الأعراب

حمى البر من حمل العراق فحازه  
إلى الشام واستولى على كل ناعب

ودانت عرب نجد جميعاً بالولاء للأمير  
محمد من دياره إلى مكة والمدينة ،  
ومن العراق إلى الشام ، ولم يعد هناك  
من يقطع الطريق على الحجاج ولا من

سعيد بن فضل ومانع بن حديثه ومسعود  
ابن بريك جموعاً غفيرة من قبيلاتهم ،  
وانضم إليهم دهمش بن سند وقبائل  
شقي من زبيد وعرب الشام ، واثمروا  
فيما بينهم أن يقطعوا الطريق على حجاج  
بغداد ونقض ذمة الأمير محمد بن أبي  
الحسين وإثبات أنه لا يستطيع أن يفي  
بما حمله الخليفة الناصر من تأمين طرق  
الحجاج . وعلم الخليفة بما اعتزموا عليه ،  
فأنبأه الخبر ، فجمع عرب إمارته وانضم  
إليه عرب العراق العقيليون من بني المنتفق  
وبني خفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس  
وربيعة ، وسار حتى لقي جموع طيء ومن  
معهم بظاهر الكوفة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً ،  
ودارت الدوائر على طيء وحشودها ،  
وتقهقروا حتى بلغوا رحالهم . وأرسل  
رؤساء طيء إلى الأمير محمد يناشدونه  
العفو عنهم ، فرق لهم وعطف عليهم  
وأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم ، ولم  
يُجر دهمشاً ، فدخل مشهد الإمام علي بن  
أبي طالب وتحرم به مستجيراً بقبره .  
فأقام الأمير محمد عليه الحراس خوفاً  
من هربه ، وأرسل إلى الخليفة الناصر  
بذكر له أمره ويسأله رأيه فيه ، فأرسل



يعبث بالأمن ، وسارت القوافل من عُمان  
إلى حلب ومن بغداد إلى مكة دون حاجة  
إلى خفارة . وهو حدث مهم ومآثرة -  
عظيمة . ولولا ابن المقرب وديوانه ما عرفنا  
أعمال هذا الأمير وما كلفه للجزيرة  
العربية في أيامه من أمن ما بعده أمن ،  
وهو أمن شمل الحجاج إلى بيت الله  
الحرام ، فلم يعودوا يُنهبون ولا يسلبون  
أموالهم وأزوادهم ، ولم تعد السيوف  
والرماح تنوشهم وتهدر دماءهم . ومن  
العجب العجيب أن هذا الأمير العظيم يَأْتَمِرُ  
به بغض أهله في سنة ٦٠٣ للهجرة ، إذ قدر  
له أن يُغوى ابن عمه غرير بن الحسن  
ابن شكر راشد بن عميرة على  
اغتياله نظير أخذه لجميع أمواله  
وذخائره ، أما الإمارة فتكون لغيره .  
وتمت المؤامرة وقُتل الأمير غيلةً ، وبكته  
إمارته طويلاً ، وأن ابن المقرب وأعول  
بمثل قوله :

ليبك التلا والمجد والبس والندى  
لقد صلّ وادبها وجفت مسابله  
وتندبه البيض الصوارم والقنا  
لما أنهلتها كفه وأنامله

لعمري لئن كان الأمير محمد  
قضى وأصيبت يوم نحس مقاتله  
لقد مُنيت منه الأعادي بثائر  
همام أبي أن يحمل الضيم كاهله  
وصل . أجذب . ولا نرى لابن مقرب  
مديحاً في غرير ، بل على العكس نرى له  
فيه لزا كثيراً ، وهو لمز شمل به أيضاً  
خليفته على الأحساء أبا ماجد محمد  
بن علي بن عبد الله ، مما جعله  
يجتاح أمواله من طريف وتالد وصامت  
وناطق ، ولم يبق له صفراء ولا بيضاء .  
ولا راعى فيه حق النسب والولاء ،  
وزجّ به في غياهب السجن وضيق  
عليه في الأصفاد ، وجعل على الأبواب  
لحفظه الحراس والأرصاد . ونظن ظناً  
أن ذلك كله لم ينزل به لندبه الأمير  
محمداً ولمز قاتليه ومن خلفوه ، بل أيضاً  
لأنه فكر في أن يستخلص الأمر لنفسه ،  
إذ يقول في بعض قصائده :

إلى م بنى الأعمام نخضى على القدى  
ودمغ المساقى قد تداعت حوافله  
وهل يحمل العزم الثقيل أخو العلاء  
ويضعف عن حمل الظلّامة كاهله

وما بعد سلب المال والعز فاعلموا  
مقام وزاد المرء لأبد آكله  
ومضى يستشير قومه وأهله للثورة على  
الحاكمين ثورة تأتي عليهم . وأقام في  
السجن مدة ، ظل فيها يدبج القصائد  
في مديح محمد بن علي بن عبد الله حتى عفا  
عنه ورد إليه حريره ، فولى وجهه نحو  
العراق ونزل البصرة ، ومدح واليهما  
باتكين بن عبد الله الرومي ، وانعدت  
بينهما صلة منذ هذا التاريخ : سنة ٦٠٥  
للهجرة . واتجه نحو بغداد ، فمدح الخليفة  
الناصر ، ونال بعض جوائز ، وتعرف  
على أدباء بغداد وعلمائها وفي مقدمتهم  
أبو البقاء العكبري العالم النحوي المشهور .  
ورأى أن يعود إلى موطنه الأحساء محملاً  
بتجارة من أعمدة الحديد ، غير أنه فوجئ  
في مدينة واسط بابن الدببي ضامن  
المكوس يطالبه بضريبة تبلغ نصف ثمن  
بضاعته ، مما جعله يضلّيه ناراً حامية من  
هجائه المقذع . وحين قدم البصرة طالبه  
ضامن المكوس فيها شرف الدين المعروف  
بالكاتب ببعض الضرائب ، فاستجار منه

بممدوحه باتكين أمير البصرة بمثل قوله :  
يا شمس دين الله كم لك من يد  
يثنى بها بادٍ ويشهد حاضر  
ولدى أعمدة قليل قدرها  
جداً وللسديوان وال قادر  
ولقد جرى فيها بواسطة وقعة  
ما كان لي فيها هنالك ناصر  
فادفع بجاهك أو بمالك منعماً  
عني ، فمالك للعفاة ذخائر  
ويعود إلى موطنه الأحساء في سنة ٦٠٥  
مؤملاً زوال البغضاء بينه وبين محمد  
ابن علي أميرها . ونجده يستعطفه ببائية  
طويلة يذكر فيها مناقب قبيلته وعشيرته  
وأهله العيونيين ، ويطلب في مديحه طامعاً  
أن يرد عليه أمواله وبساتينه ، متوسلاً  
إليه بقرابته وأواصرها الوثقى بمثل قوله :  
أبا ماجدٍ أنظر إلى ذي قرابة  
بعينٍ رضاً يُغضى لها الخائن الخب  
ولما أنشده القصيدة أقبل عليه  
واعداً له وعداً جميلاً ، غير أنه  
لم يبادر إلى تحقيق وعده ، فمدحه ابن

المقرب بكافية يستنجزه فيها وعده ،  
مكرراً ذكر القرابة وما بينهما من رحم  
واشجة ، ومغالياً في مديحه غلوا شديداً  
بنثل قوله :

تَرَى الْعَرَبَ الْعَرَبَا يَحْجُونَ بَيْتَهُ  
كَأَنَّهُمْ جَاءُوا لَلذَّبْحِ النَّسَائِكِ  
رِجَالًا وَرُكْبَانًا فَمَنْ طَالِبٌ غَنَى  
وَمَنْ تَائِبٌ عَنْ زَلَّةٍ مَتَسَدَارِكِ

وعاد إلى وعده . ولم يحظ منه الشاعر  
بغير الوعد والمماطلة فيه ، وفي هذه الأثناء  
استطاع الفضل بن الأمير محمد  
ابن أبي الحسين بمساعدة الخليفة  
الناصر وما أمده به من الجند  
والسلاح أن يستولى على القطيف وأن  
يفتك بغرير وقتلة أبيه ، فرحل إليه ابن  
المقرب وأخذ يدبج فيه مدائح كثيرة  
مثنياً فيها على أبيه ومترحمًا ، غير أنه  
لم يحظ منه بطائل ، إلا قليلاً ومقداراً  
حقيراً ، مما جعله يتلوّمه بقوله :

فَلَا تَتَّكِلْ يَا فَضْلُ فِي الْفَضْلِ وَالنَّدَى  
إِنَّ عَلَى سَالِفِ أَسْدَاهِ جَدُّهُ وَوَالِدُ  
فَلَا حَمْدَ إِلَّا بِالَّذِي يَفْعَلُ الْفَتَى  
وَلَوْ كَثُرَتْ فِي أَوْلِيَيْهِ الْمُحَامِدُ  
وَعَبَثًا يَذْكُرُهُ بِمَا أَصَابَهُ مِنْ مَصَادِرَةِ

أملأكه وأمواله وسجنه في سبيل ميله إليه  
ونديه لأبيه واستثارة الناس ضد قاتليه .  
ولم يكن الفضل في همة أبيه وعزمه  
وشجاعته ، وزادت القطيعة بينه وبين  
ابن المقرب وغيره من أبناء عمومته حين  
وقع صلحاً بينه وبين أمير جزيرة كيش  
تنازل له فيها عن بعض جزر البحرين  
وبعض مقاسيمها ، وفرض على نفسه  
إتاوة له سنوية : خمسمائة دينار ، مما جعل  
الناس في القطيف والأحساء يسخطون  
عليه سخطاً شديداً . ويشور عليه ابن أخيه  
على بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين ،  
ويفرح به الشاعر كما فرح به أهل إمارته  
الأحساء وغير الأحساء ، إذ نشر العدل  
في ربوع البلاد ورفع عن الناس الجور  
والمظالم ، وله يقول :

أَضَحْتُ بِكَ الْأَحْسَاءُ سَاكِنَةً وَقَدْ  
رَجَفَتْ بِمَنْ فِيهَا وَكَادَتْ تُقَلِّبُ  
وَمَنْعَتَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ سُدىً .  
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ يُغَارُ وَيُنْهَبُ  
وَمَلَأَتْهَا عُدْلًا وَكَانَتْ عُمَمَتْ  
جَوْرًا تَغُورُ بِهِ الدِّيَارُ وَتُخْرَبُ  
فعلى بن ماجد قد أشاع في الأحساء  
الأمن والعدل اللذين لاتصلح حياة الرعية

بدونهما ، وعمّ الرخاء ، غير أن ذلك لم  
يدم طويلاً ، إذ ثار عليه مقدم بن غرير  
ابن الحسين بمساعدة ابن أبي جروان أحد  
رؤساء قبيلة بني عبد القيس .

وضعت أداة الحكم حينئذ ضعفاً  
شديداً ، وعات فيها المفسدون ،  
وأصبح لأهل البادية السلطان الأكبر  
وخرجت الأموال إلى أيديهم ، واجترأ  
الناس ، وصار كلُّ له هوى يميل إليه ،  
ويود لو يكون الملك وزمامه في يديه ، وزجَّ  
في السجون كثير من العيونيين وغيرهم  
وصودر ما في خزائنها من أموال . ونرى  
لأبن المقرب يصور كيف فسد الحكم  
حينئذ فساداً من الصعب درؤه أو إصلاحه  
في قصيدة له نونية طويلة يوجه فيها  
الحديث إلى قبيلة عبد القيس جميعها  
لعلها تتدارك الصدع المتفاقم ، قائلاً :

أرجالَ عبدِ القَيْسِ كم أدعوكمُ  
في كلِّ حينٍ - للعلاء - وأوانِ  
القومِ تأكلكم ويأكل بعضكمُ  
بعضاً كأنكم من الحيتانِ  
من عز منكم كان أكبر همّه  
شقَّ العَصَا وتذكَّر الأضغانِ  
لم يغضب البدويُّ إلا قلمُ  
سُدَّوه ، كي يرضى ، بمال فلانِ

والله ما نحسّ البلادَ سِواكمُ  
لا بالعدي انتحست ولا السلطانِ  
ويدعو عبد القيس إلى الالتفاف ثانية  
حول أميرها القديم ، ويتجه إلى ابن أبي  
جروان باللوم العنيف أن يكون أداة من  
أدوات الخراب في الإمارة العبدلية . ثم  
يأخذ في استعطافه ، حتى يكف عن ظلم  
الناس ، إذ كان مقدم بن غرير لعبة في  
يده . وتظلم الدنيا في عين ابن المقرب ،  
فيخرج من البلاد إلى العراق ، ويمتدح  
والى البصرة باتكين بن عبد الله الرومي  
والخليفة الناصر في سنتي ٦١٣ و ٦١٤ هـ  
للهجرة ، ويعود إلى موطنه ، فيجد صولجان  
الحكم بيد أبي القاسم محمد بن مسعود  
ابن محمد بن علي ، فيمتدحه بقصيدتين :  
دالية وميمية ، ويشيد فيهما بكرمه  
وشجاعته ، ويتنصل في ثانيتهما من وشايات  
خصومه وما يزورونه عليه من القول .  
ويمضي في استعطافه وأنه تحمل ماتحمل  
من اجتياح ماله وسجنه في سبيل أسرته  
الحبيبة إليه ، ويتوسل إليه أن يبتقى على  
ذمامه وأن يرعاه بعنايته ، ويمتدح ابنه  
مسعوداً أيضاً بقصيدتين لامية وميمية ،

ويبدىءُ ويعيد في وصفه بالكرم والشجاعة والفروسية والتنكيل بالأعداء. ويتولى إمارة البلاد أخوه الفضل على بن مسعود، فيمتدحه بقصيدة لامية، يشيد فيها بحكمه وحسن تدبيره وسياسته، وعدالته ونشره لأحكام الشريعة وأخذه على أيدي المفسدين والفاسقين، يقول:

رفعت عمادَ المجد من بعد ما وهى  
ورث وأضحى ركنه وهو مائل  
وقمت بأحكام الشريعة فاستوت  
لديك ذوو الأجيال: طى ووائل  
وأوهيت كيدَ الفاسقين فأصبحوا  
وناصرهم من جملة الناس خاذل

وفي القصيدة ما يدل على أن الأسرة: أسرة مسعود لم تكن تسبغ عليه مودتها وعطاءها، إذ يشير إلى أن المكان إذا نبا به اغترب وأن من عادته الاغتراب والهجرة عن الوطن، إذا وقع به أذى أو أحس ضيماً، يقول:

ولى عن مكان الدل منأى ومزحل  
وذا الناس في الدنيا غريب وآهل

ونراه في العراق سنة ٦١٧ وعادة ينزل أول ما ينزل فيها بباتكين أمير البصرة

ويولى وجهه نحو بغداد فيمتدح خليفتها الناصر، غير أنه في هذه المرة يوغل في رحلته شمالاً، فينزل في الموصل وسنجار وديار بكر، ويمتدح مراراً بدر الدين لؤلؤاً مدبر الموصل والقائم على شئونها منذ سنة ٦٠٧ لملكها القاهر بن نور الدين أرسلان شاه. ويمد رحلاته إلى الملك الأشرف موسى بن الملك المادل الأيوبي صاحب حران وديار الجزيرة. ويعود إلى دياره وموطنه فيجد أميرها الفضل قد أفسد أداة الحكم فيها إفساداً لا يمكن إصلاحه، إذ قرب منه جماعة من غير أهل بيته اتخذهم حاشية له، فاتفقوا مع رؤساء قبيلة بنى عقيل أن يعصفوا بالبلاد عصفاً، حتى إذا استشارهم الفضل أشاروا عليه أن يحكمهم في أملاك أقربائه يأخذون منها ماشاءوا. وحاصروا الأحساء وأفسدوا ثمارها وزروعها، ونزل الفضل على مشورة حاشيته، فملك البدو من بنى عقيل البساتين ظلماً، وصار الرجل من أهل الأحساء يضطر إلى بيع البستان الذى تبلغ قيمته مائتى دينار بدينار واحد أو دينارين أو بثوب أو بجزور وما أشبه

ذلك. ويأسى ابن المقرب لما أصاب الأسرة  
والدولة ويرى فيه نذيراً بانتهاء أيامها ،  
ويصور أساه وحزنه في نونية ، يقول فيها  
وقد أمضه الأسي وأوجعه الحزن الشديد :

ياليت شعري أي الذنب كان لنا  
حتى به اجتياح دانينا وقاصينا  
أضحت بساتيننا نفدي بأحسنها  
شقصاً لأذني خسيس من موالينا  
بجئة التمر والشاة الرعوم غدت  
أهلاً كُننا واحتمت أملاك عاديننا  
إننا إلى الله لا أرحامنا نفعت  
ولا طعان حُماة القوم يحميننا

والشقص : الشبيء اليسير . وجلة  
التمر : وعاؤه . والشاه الرعوم : الهزيلة .  
وهو يبكي اجتياح أموال عشيرته من  
العيونيين ، ويقول إن البستان يباع  
- خوفاً وقهراً - بوعاء من التمر أو بشاة  
هزيلة . ويسترجع محزوناً لدولته وأسرته ،  
ويرى نهايتها قد دنت . وفعلاً لا يمضي  
نحو عشر سنوات ، حتى تغرب شمس  
تلك الدولة إلى غير مآب ، وتخلفها دولة  
من العتميليين ، هي دولة بني عصفور .

وواضح أن ابن المقرب دون لنا في  
شعره وديوانه تاريخ أسرته على مر السنين  
حين حكمت القطيف والأحساء والبحرين  
الحالية ، ولم يترك حادثة مهمة دون تدوين . وفي  
هذا ما يدل بوضوح على قيمة هذا اللون من شعر  
المديح والفخر ، ففي تضاعيفه قدم لنا  
ابن المقرب وثائق تاريخية دقيقة عن  
دولة العيونيين لم تقدمها لنا كتب  
التاريخ ، ولولا ديوانه لضاع تاريخ هذه  
الدولة فيما ضاع من تاريخ دولنا وإماراتنا  
الصغرى في العصور السابقة .

ولا نفيد من ديوان ابن المقرب وثائق  
تاريخية عن الدولة العيونية فحسب ، فقد  
تعرض للقرامطة وعقيدتهم الفاسدة ،  
على نحو ما مر بنا ، ومما ذكره عنهم أنهم  
كانوا ابتدعوا في البحرين بدعة سموها  
الماشوش ، إذ كان يجتمع الرجال والنساء  
في الليلة العاشرة من شهر المحرم ويشعلون  
الشموع ويرقصون ويختلطون ، حتى إذا  
تعبوا من الرقص أطفأوا الشموع ، وظلوا  
في اختلاطهم . فحين تولى إمارة القطيف  
والأحساء والبحرين عبد الله بن علي رأس  
الأسرة أبطل هذه العادة ، وشدد فيها

النكير وإلى ذلك يشير ابن المقرب إذ يقول :

منا الذي أبطل الماشوش فانقطعت  
آثاره وأنمحي في الناس وأنطسما

انطسما هنا : انطمس . ومما يسجله الديوان من وثائق تاريخية ارتفاع المكوس على انتقال البضائع من بلد إلى بلد كما مر بنا في شكوى الشاعر من ابن الدبيثي ضامن المكوس في واسط. وأنه طالبه بنصف ثمنها مكسا أو ضريبة جمركية ، وله يقول :  
نِصْفُ البِضَاعَةِ حِينَ تَظْفَرُهَا  
مَكْسٌ ، لَقَدْ بَالِغَتْ فِي التُّكْرِ

ومدائحه في باتكين بن عبد الله الرومي والى البصرة وثائق مهمة في بيان أعمال الولاية لعصر الخليفة الناصر ، وربما كانت تلك أعمالهم دائماً ، فهو لا يقف عند مديحه بالكرم والشجاعة والتقوى والعدالة التي لا تستقيم حياة الرعية بدونها ، بل يتعرض لأعماله ، ويصفها وصفاً تفصيلياً في ثلاث قصائد : داليتين ولامية ، من ذلك قوله :

بَنَى بالبصرة الفَيْحَاءِ سُورًا  
يُضَاهِي السَّدَّ سَبْكَاً وَانْعِقَادًا

وزينها بأسواق أَرَانَا  
بِهَا كَلَّ البِلَادَ لَهَا سَوَادَا

وكم من مَشْهَدٍ وَرِبَاطٍ زُهْدٍ  
وَمَدْرَسَةٍ بَنَى وَهُدَى أَفَادَا

وَجَامِعُهَا المَعْظَمُ إِذ تَدَاعَى  
وَقَالَ القَائِلُونَ عَفَا وَبَادَا

أَقَامَ لَهُ إِلَى الأَهْوَازِ عِيْرًا  
صِلَادًا تَحْمِلُ الصَّمَّ الصِّلَادَا

فهو قد بنى حول البصرة سوراً يحميها من غارات الأعداء . ويقول الشاعر في قصيدة أخرى إنه بنى حوله خندقاً ليحول بين البلد وما قد يدخلها من الأسود ليلا . ويذكر أنه عني بأن يقيم بها أسواقاً كبيرة للتجار وأن تعمر بالبضائع ، ويقول الشاعر في قصيدة أخرى إن سوقها الكبيرة تفوق سوق الثلاثاء ببغداد يريد سوق البزازين فيها . ويذكر أنه عني بمشاهد وأربطة الزهاد أو المتصوفة . والرباط كما هو معروف مركز إعداد الجيش لحرب الأعداء ، ومن قديم تسمى زوايا المتصوفة أربطة ، لأنهم كانوا يستعدون فيها ومن ينضم إليهم للجهاد في سبيل الله ، وكان العصر عصر الحروب الصليبية وكان صلاح الدين يبني هذه

الأربطة في القاهرة وفي جميع بلاد دولته ،  
ليجتمع فيها المتصوفة والمجاهدون في سبيل  
الله . ويبدو أن الخليفة الناصر كان يصنع  
صنيعه في بلاد العراق ، ولذلك عنيّ واليه  
على البصرة باتكين بإعداد الأربطة في  
مدينته ، ولم يعن بأربطة المتصوفة ومشاهدهم  
فحسب ، كما يقول ابن المقرب ، بل  
عنيّ أيضاً ببناء المدارس ، ويقول الشاعر  
في لاميته :

أَحْيَى بِهَا لِلشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ  
وَأَبِي حَنِيفَةَ أَحْرَفًا وَقُصُولًا

فكان فقه المذاهب الثلاثة : مذهب  
أبي حنيفة ومالك والشافعي يُدرّس فيها ،  
يدرسه العلماء المتخصصون . وليس ذلك  
فحسب ، فقد كان يدرس فيها الحديث  
وتفسير الذكر الحكيم كما يقول الشاعر  
في دالته الثانية :

وَحَشَا تَلَكُمُ الْمَدَارِسُ بِالْكُتُبِ

بِ الشُّرَافِ الصَّحِيحَةِ الْإِسْنَادِ  
وَوَاضِحَ أَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ فِي  
المدارس مكاتبات جليلة تضم الكتب  
والمخطوطات الصحيحة الوثيقة . ويذكر  
ابن المقرب أن باتكين بنى جامعها الكبير حين

تداعى في عصره . ويقول في اللامية  
إنه اتفق أن امتد إليه حريق أتى عليه ،  
فأعاد عمارته ، وجلب إليه من الأهواز  
وغير الأهواز مواد البناء من الأخشاب  
والرخام . ويقول :  
كَمْ مِنْ رُواقٍ زَادَ فِيهِ وَحُصْرُهُ  
زَادَتْ إِلَى تَرْفِيلِهِ تَرْفِيلاً

فقد ازداد في أرواقه حين بناه ، وتأنق  
فيما جلب إليه من الحصر . ويذكر أنه  
بنى للوفود دار ضيافة ، وليس ذلك  
فحسب كل ما نهض به باتكين  
في البصرة ، فقد شيد فيها مارستاناً للمرضى  
وذوى العاهات ، يقول الشاعر في الدالية  
الثانية . وهو يعدد أعماله :

أَمْ لَأَنَّ شَيْدَ الْمَرَسْتَانِ لِلزُّ  
مَنَى وَحَفِظَ الْعُقُولَ وَالْأَجْسَادِ

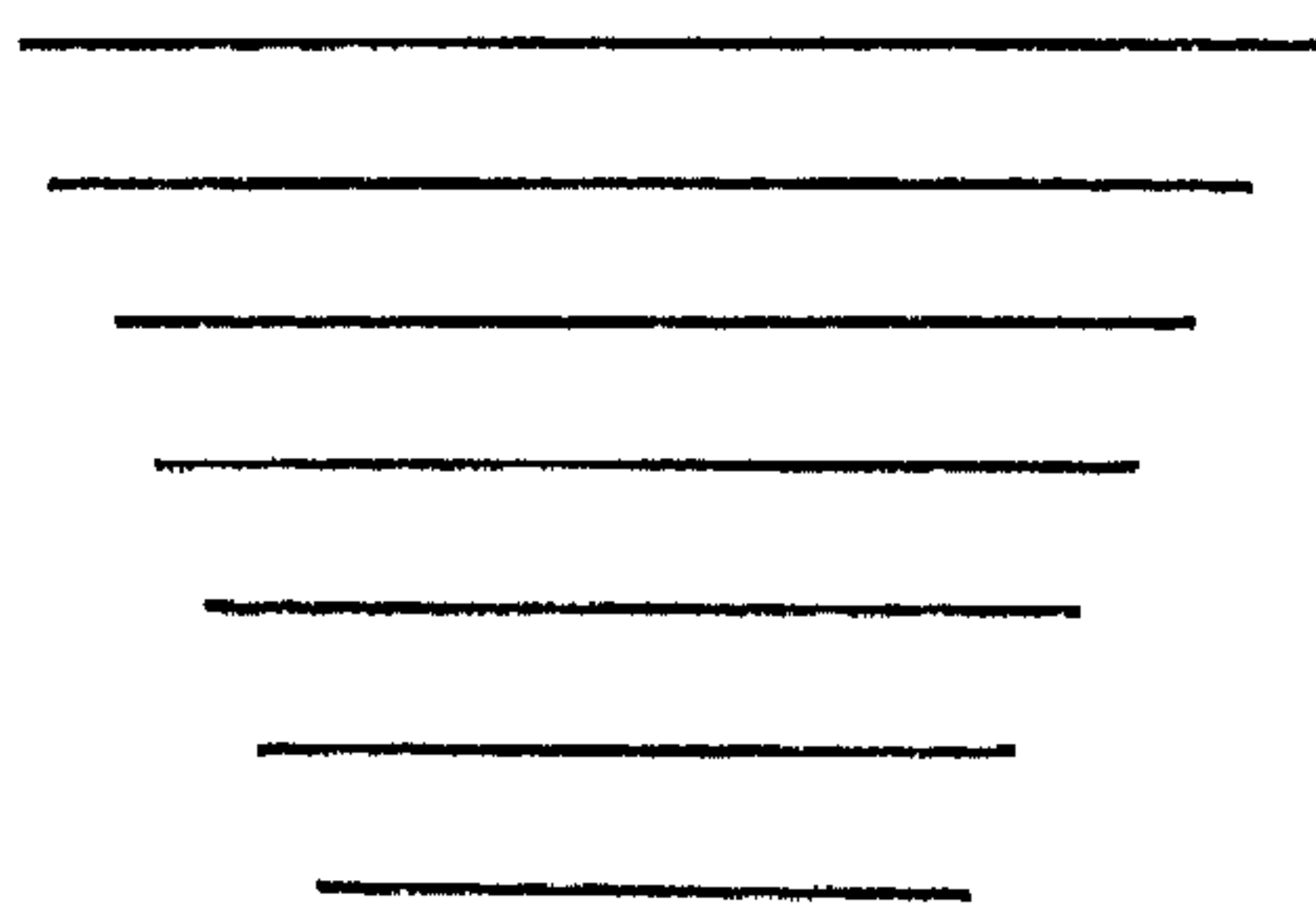
ويقول أيضاً في نفس القصيدة  
إنه آمن السبل وفتك بالصوص ، وإنه  
يقيم الحدود كما تفرضها الشريعة  
الإسلامية . وليس من شك في أن هذه  
صورة مثالية لولاية الخليفة الناصر في  
العصر وما كانوا ينهضون به في ولاياتهم



لا من نشر الأمن والعدل فحسب ، بل أيضاً من إقامة حدود الشريعة وتطبيقها ، وتشديد المارستانات والجوامع والعناية بفرشها وحصرها ، وتشديد مدارس الفقه والحديث والتفسير ، والعناية بمكتباتها وتزويدها بالكتب النفيسة ، وتشديد الربط والمشاهد ، وعمارة الأسواق والعناية بأسوار البلدان . وكل هذه الأعمال التي ساقها ابن المقرب لباتكين والى البصرة لانجد لها أثراً ولا ما يشبه الأثر في كتب التاريخ ، ولذلك لانبالغ إذا قلنا إن ديوان ابن المقرب يعد سجلاً شعرياً تاريخياً

فريداً ، وهو سجل لا يخص فقط دولة العيونيين في القطيف والأحساء والبحرين بل يتسع ليشمل دولة الخليفة الناصر وعمله على البلدان في العراق . ولعل في كل ما قدمنا ما يدل بوضوح على أن شعر المديح عند أسلافنا في صميمه شعرتاريخي يسند التاريخ حيناً كما قلنا في صدر هذا الحديث . وحيناً يضيف إليه وثائق وحقائق جديدة ، بل قد يضيف تاريخ دولة بأكملها ، لم يدون منه المؤرخون إلا شذوراً قليلة .

شوقي ضيف  
عضو المجمع



# سُورَةُ الْقَدِيمِ وَالْجِنِّ

للدكتور احمد الكوفي

عضو المجمع

والتصديق والشك . . . . . وإما أن يلقوا  
راوية شعر أو صاحب خبر ، فالراوية  
تتقدم كما كان الأعرابي أكذب في شعره  
كان أظرف عندهم ، وصارت روايته  
أغلب ، ومضاحيك حديثه أكثر ، فلذلك  
صار بعضهم يدعى رؤية الغول أو قتلها  
أو مراقبتها أو تزويجها<sup>(١)</sup> .

لكن تعليل الجاحظ صالح لبيان السبب  
في انتشار هذه الأكاذيب ورواجها ، أما  
السبب في نشأتها فهو ما أسلفته .

## ١ - تصورهم للجن

نصهوا بعض أصناف الجن بالتحدث  
عندها كغيلان والسعالى ، وأطلقوا كلمة  
الغول على كل شيء من الجن عرض  
للمسافرين ، ويتلون في أمكال الصور  
والثياب ، سواء آكان ذكراً أم أنثى ،  
والأكثر أنه أنثى .

العرب في صحراء **عاشى**  
رحيبة جديدة مليئة  
بالتلال والنجاد وبالقيعان والأغوار  
والوهاد ، يقل سكانها ، ويقل الجائلون  
فيها ، ويسدل الليل ستاره فيغمر الظلام  
والهكون والوحشة كل شيء ، فتتسلط  
الأوهام ، وتتجسم المخاوف والأحلام ،  
فيدعى كثير من العرب أنهم رأوا الجن ،  
وخالطوها ، وصادقوها وخالصموها ، ونسلوا  
منها .

وكل حديثهم في هذا خرافة .

ولقد علل الجاحظ لذيوع الشعر المتصل  
بالجن تعليلاً حسناً بقوله : « ومما زادهم  
في هذا الباب وأغراهم به ومد لهم فيه ،  
أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وهذه  
الأخبار إلا أعرابياً مثلهم ، وإلا غيباً لم  
يأءه نفسه قط بتمييز ما يوجب التكذيب

(١) الحيوان للجاحظ ٧٩/٦

وأطلقوا كلمة السَّعلاة على واحدة من  
نساء الجن تتغول لتفتن المسافرين ،  
وقالوا إن هذا منها على سبيل العبث ،  
أو لعلها تفرع إنساناً فيتغير عقله <sup>(١)</sup> .  
وزعموا أن خلق الغول كالإنسان ،  
ولكن رجليها رجلا حمار .

وادعوا أنها تتغول لهم في الخلوات ،  
وتظهر لخواصهم في صور شتى ، فيخاطبونها  
وربما ضيفوها ، وكانت تتراءى لهم  
فيتبعونها فتتبعهم ، ولهذا كانوا إذا  
ما رأوها صاحوا بها :

يا رجل عذري نهقي نهيقاً  
لن تنزلي السبيل والطريقا  
لأنهم زعموا أحياناً أن رجليها رجلا عنز .  
وتكلموا كثيراً على الأنثى من الغيلان  
قال أبو المطراب :

وخالفني الوحوش ع الوفاء

وتحت عهد ودهن وبالبعاد

وولا قفرة ذكر وأنثى  
يكان عابهما قطع البجاد <sup>(٢)</sup>

وزعم تَابَطُ شراً أو زعموا له أنه رأى  
الغول وضربها ضربة قضت عليها ، وجاء  
في تصويره لها أنها صغيرة الرأس ،  
مشقوقة اللسان ، يشبه لسانها لسان الكلب  
مشوهة الساق ، تلبس ثوباً من جلود بالية :

إذا عينان في رأس دقيق  
كأرأس الهرمشقوق اللسان  
وساق مُخَدَّجٌ ولسان كلب  
وثوب من عباءة أو شنان <sup>(٣)</sup>

ونسبوا مثل هذا التصوير إلى شاعر  
آخر هو أبو الغول الطهوي <sup>(٤)</sup> .

والعجيب أنهم تأثروا بهذا التصوير ،  
فاستمد بعضهم منه صوراً شتى ، فمثلاً  
شبه الخطفي بنه جوير - النوق السائرة  
بالليل ترفع أعناقها تهزرها وسها بالجن التي تمد

(١) الحيوان ٤٨/٦

(٢) مروج الذهب ٢٥٢/١

(٣) صبح الأعشى ٤٠٥/١ والأغانى ٧٣٩/٢ وبلوغ الأرب ٣٧٩/٢ ومعجم البلدان ٢٣١/٤

(٤) المؤلف والمختلف اللامى ١٦٣

أعناقها، وقالوا إنه سمي الخَطْفَى لقواه هذا ،

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا  
أعناق جنان وهاماً رُجفا  
وعنقا باقى الرسيم خيَطفَا<sup>(١)</sup>

وشبهه بعض الشعراء خيلهم السريعة  
الضادرة بالسعالى كقول عمرو بن  
الأيهم التغلبي :

وقراهن شزبسا كالسعالى

يتطلعن من ثغور زِقَابِ

## ٢ - تشكها

رووا كثيرا من الأقاويص عن تشك  
الجن لهم بصور شتى ، ومنها أن عبید  
ابن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ،  
فبيناهم يسيرون إذا هم بشعبان ضخم  
ينقلب على أرمضاء فاغرافاه من العطش ،  
وكانت مع عبید فضلة من ماء ، فنزل  
فستى الشعبان حتى روى واستنعش ،  
فانساب في الرمل وتواری .

فلما كان الليل ونام القوم نَدَّتْ  
رواحلهم ، فقام كل واحد يطلب راحلته ،

فتفرقوا ، وبيننا عبید وحده وقد أيقن

بالهلكة إذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيها السارى المصلُّ مذهبُه  
دونك هذا البكر منا فاركبُه

وبكرك الشارد أيضاً فاجنبُه  
حتى إذا الليل تجننى غيهبُه  
فحط عنه رحله وسببُه

فقال له عبید : يا هذا المتكلم نشدتك

الله إلا أخبرتنى من أنت ؟ فقال :

أنا الشجاع الذى ألفيته رمضاً

في قف-رة بين أحجار وأعقاد

فجدت بالماء لما ضنَّ حامله

وزدت فيه ولم تبخل بإيجاد

الخير يبتقى وإن طال الزمان به

والشد أخبرت ما أوعيت من زاد

فركب عبید البكر ، وجنب بكره ،

فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عن مركبه

وحل رحله وخلاه ، فغاب عن عينه ، ثم

جاء إخوانه الذين سلموا بعد ثلاث ليال<sup>(٢)</sup>

(١) البيان والتبين ٢٨٣/١ والحيوان ٥٣/٦ العنق : السير الشديدة . الرسيم : أشد منه . خيطف

سريع .

(٢) الأغاني ٨٩/١٩ أعقاد : جمع عقد وهو كشيء الرمل .

ولا شك أن هذا الخبر وأمثاله بين الافتعال والوضع ، والغرض منه الترغيب في عمل الخير ، وقد نقله أبو الفرج من كتاب لابن الكلبي عن أبيه ، وعلق عليه بقوله : وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه .

كذلك زعموا أن الجن تتشكل أحياناً في صور حيات ، كما ترى في القصة التي ذكرها الدميري ، إذ روى أن فتى قتل حية ، ثم اضطربت عليه فقتلته لأنها جنية<sup>(١)</sup> .

وإذا كان من الطبيعي ألا يصدق أحد هذه المزاعم كما نفى أبو الفرج الأصفهاني قصة عبید والثعبان فإن ابن هشام علق على قول كعب بن زهير الذي شبه فيه تقلب المرأة بتلون الغول<sup>(٢)</sup> .

فما تدوم على حال تكون بها  
كما تلون في أثوابها الغول

فقال : إن للعرب أموراً تزعمها لاحقيقة لها ، منها أن الغول تتراعى لهم في الفلوات ، وتتلون ، وتضلمهم

عن الطريق ، وإلى ذلك ذهب أبو عبيدة ، فقد سأله رجل عن قوله تعالى : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » كيف ذلك ؟ وإنما يقح الوعد والوعيد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فأجابته بقوله : إن الله تعالى كلم العرب على قدر عقولهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرقي مضاجعي  
ومسنونة زرق كأنياب أغوال  
وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كانت تهولهم أوعدوا بها<sup>(٣)</sup>

فالغول أوالجنى المتشكل وهم أو تخيل ، ولذلك سموا الغول الخيتعور ، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحد ، ويضمحل ، كالسراب والهباء ، قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدلك منها  
آية الحب حبها خيتعور

أما المسعودي فقد علل لهذا الوهم تعليلاً حسناً مقبولاً في قوله : « وقد تنازع الناس في المهواتف والجان .. وإن مات ذكره

(١) حياة الحيوان للدميري ١ / ٣١٩

(٢) جهرة أشعار العرب للقرشي ٣٠٨

(٣) شرح بافت سعاد لابن هشام

المعرب وتنبيء به من ذلك إنما يعرض لها  
من التوحد في القفار، والتفرد في الأودية ،  
والسلوك في المهامه الموحشة ، لأن الإنسان  
إذا سار في هذه الأماكن روع ووجل وجبن ،  
وإذا هو جبن داخلته المظنون الكاذبة ،  
والأوهام المؤذية السوداوية الفاسدة ،  
فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ،  
وأوهمته المحال ، كما يعرض لذوى  
الوماوس . . . . لأن المتفرد المتوحد  
يستشعر المخاوف ، ويتوهم المتالف ، ويتوقع  
الحتف ، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف  
به ، واعتراض الجان له (١) .

### ٣ - مساكنها واستعاذتهم بها

اعتقد بعضهم أنها تخالطهم في كل  
مكان ، فاستعاذوا بها واحتموا ، وقد أخبر  
القرآن الكريم بذلك فقال تعالى : « وَأَنْتُمْ  
كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ  
الْجِنِّ ، فزادوهم رَهَقاً » .

وقد أفاض الشعراء في هذا ، قال  
شاعر :

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانع  
فإني ضيف نازل بفنائك

وإنك للمجنان في الأرض سيدى  
ومثلك آوى في الظلام الصعالكا  
وزعموا أن أحدهم إذا مرض وطالت  
علته أن الجن مسته عقوبة له على قتله  
حية أو يربوعاً أو قنفذاً أو أرنباً أو غزالاً ،  
لأنها من مراكب الجن وأحبابها (٢) ، فقدموا  
الدية للجن جوارق ملاء بالحنطة والشعير  
والتمر على جمال من طين ، ووضعوها  
بجانب جحر إلى جهة الغرب وقت  
الغروب ، فإذا أصبحوا ووجدوا الجمال  
على حالها قالوا إن الدية لم تقبل ، فزادوا  
عليها ، وإن رأوها تساقط وتبدد ما عليها  
من حب قالوا إنها قبلت ، واستبشروا  
بشفاء المريض ، وفرحوا وضربوا بالدف ،  
قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائى والسقم  
احمل إلى الجن جمالات وضم

قد فعلت والسقام لم يبرم  
فبالذى يملك برئى أعتصم

(١) مروج الذهب للمسعودى ١ / ٢٥٤

(٢) بلوغ الأرب ٢ / ٢٩٩

أما مساكنها فهي الفلوات ، وقد أكثروا  
من زعمهم أنهم سمعوا عزيقها هنالك<sup>(١)</sup> ،  
ولعل الذي خيل إليهم هذا رجح الأصوات  
وصدى الرياح المتناوحة ، والرعود القاصفة ،  
والوحوش المصوتة في بيدااء كلها وهاد  
ونجاد .

وبقي هذا التخيل إلى ما بعد العصر  
الجاهلي ، فجران العود النميري يقول في  
قصيدة غزلية قصصية :

حملن جران . العود حتى وضعنه

بعلياء في أرجائها الجن تعزف<sup>(١)</sup>

قال الأصمعي : « إنما العزف من الريح  
على الرمل ، فتسمع لها صوتاً ، والجن .  
لا تعزف ، ولكن الأعراب قالوا بجهلهم<sup>(٢)</sup> »

#### ٤ - صحبة وزواج

راجت أفاصيص زواج الإنس بالجن ،  
وربما كان رواج هذا الزواج عائداً إلى  
رواج السحر والخفاء ، وزواج ما كان  
يتحدث به السمار والرواة من غرائب  
تشوق السامعين .

وقد أفرد ابن النديم في كتابه الفهرست  
ثبتاً بأسماء عشاق الإنس للجن ، وعشاق  
الجن للإنس ، وعلق عليها بقوله : وكانت  
الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ، مشتهاة  
في أيام خلفاء بني العباس ، لاسياً في أيام  
الخليفة المقتدر ، فصنف الوراقون وكذبوا  
وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن  
دلان وآخر يعرف بابن القطار<sup>(٣)</sup> .

أكثرنا من ذكر صحبتهم للجن  
ومعاشرتهم ومخالطتهم لها ، افتخاراً بشجاعتهم  
وقدرتهم على ما يعجز الناس عنه ، قال عبيد  
ابن أيوب العنبري إنه رأى نار الغول  
التي كانت توقدها للغريب المتقنفر ليأنس  
بها ويهتدى إليها :

فلله در الغول أي رفيقة

لصاحب قفر في المهامه يمدعُر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت

حوالي نيراناً تلوح وتزهر<sup>(٤)</sup>

(١) و (٢) ديوان جران العود النميري ١٢/١٩

(٣) الفهرست ٤٢٨

(٤) الحيوان ٤٢/٥ و ٥٠/٦ وفي مروج الذهب ٢٥٣/١ أن القائل أبو المطراب .

وزعموا أن ابن الحارث الضبي أوقد  
ناره بالصحراء، فطرقته الجن، فدعاهم  
إلى الطعام فأبوا:

أتوا ناري فقلت منون قالوا  
سراة الجن، قلت عموايظلاما  
فقلت إلى الطعام فقال منهم  
زعيم نحسد الإنس الطعاما

وأحسن ما قيل في معنى الحسد أنهم  
لا يأكلون ما يأكل الناس وإن كانوا  
يشتهونه<sup>(١)</sup>.

ووزعموا أن عمرو بن يربوع تزوج  
الغول، وأولدها بنين، ولهذا سموا بني  
السعلاة<sup>(٢)</sup>.

وزعموا أن عبيد بن أيوب العنبري  
حدث عن نفسه أنه تزوج الغول، وقال:

علام ترى ليلى تعذب بالمني  
أخا قفرات كان بالذئب يأنس  
وصار حليل الغول بعد عرارة  
صفيًا وربته القفار البسابس<sup>(٣)</sup>

(١) الحيوان للجاحظ ١٥٣/٤ و ٦٠/٦

(٢) شرح أدب الكاتب لابن السيد

(٣) الحيوان ٥١/٦ العرارة: النساء يلدن الذكور البسابس: القفار الخالية

(٤) الأغاني ١٨ / ٢٠٩

(٥) الحيوان ٧٢/٦ ولأغاني ٢٠٩/١٨ ومعجم البلدان ٢٣١/٤ والمؤتلف والمختلف ١٦٣

والأمثلة على هذا كثيرة.

#### ٥ - قتلهم الغول

ادعوا أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة  
مئات، فإن أعاد الضارب ضربة أخرى  
قبل أن تموت فإنها لا تموت، قال تائب:  
شرا إنه لقي الغول فراودها عن نفسها  
فأبى فقتلها

فطالبتها بضعها فالتوت  
فكان من الرأي أن تقتل<sup>(٤)</sup>

وقال شاعر:

فثنيت والمقدار يحرس أهله  
فليت يميني قبل ذلك شلت

وينسبون أبياتاً في هذا إلى أبي البلاد  
الطهوي وتائب شرا<sup>(٥)</sup>.

#### ٦ - الجن في الأدب اليوناني

لم يشد العرب بتخيلهم للجن وتصورهم  
أشكالها وادعاهم مخالطتها، فإن الأدب  
اليوناني حافل بهذا التخيل والأساطير  
الإغريقية مملأى بأخبار وأحداث عن



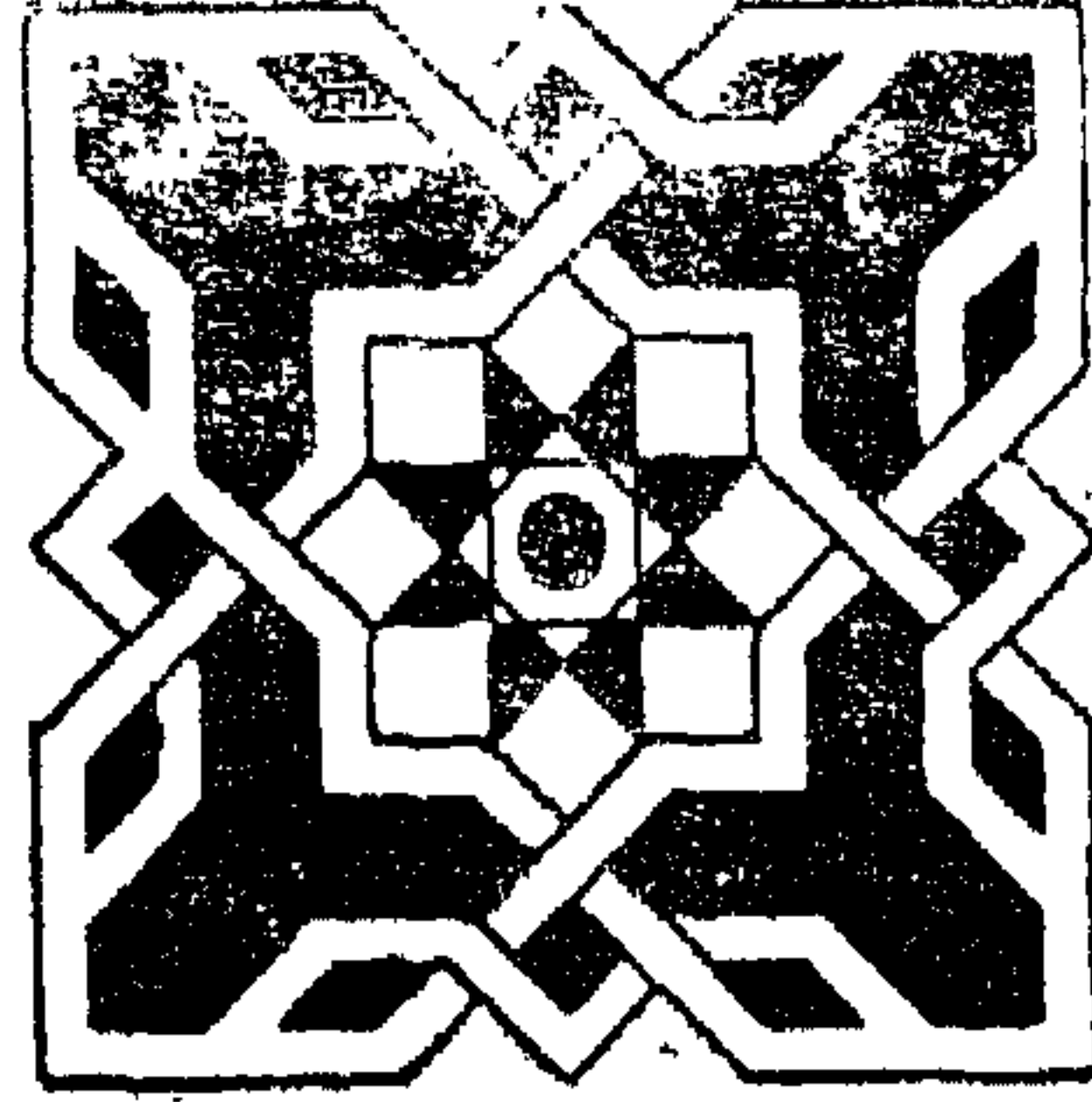
الآلهة وأنصاف الآلهة وعرائس البحار  
وبنات الماء .  
والبشر في ثنايا الإلياذة والأوديسة ، وفي  
شعر هسيود وروايات سوفو كليس ،

ويوريبيدس

وما قصة غرام أفروديت بأودونيس  
إلا صورة من قصة الجنية العاشقة في  
تصوير شعري رائع .

احمد الحوفي  
عضوالمجمع

وفي زعمهم أن من مميزات سكان الأولمب  
المقدرة على التشكل بهيئة إنسان أو حيوان  
أو نبات أو جماد ، فليس عجيباً أن مثل  
هومير بعض أساطير الإغريق في صور  
شعرية شائقة ، وليس عجيباً أن عمرت  
أساطيرهم بأقاصيص الغرام بين الآلهة



# الملاحم

## بين اللغة والأدب والتاريخ

### للأستاذ محمد شوقي أمين

١ - شاعت كلمة « الملاحم » في العصر الحديث ، اسماً لتلك القصائد المطولة التي تصور أحداثاً من التاريخ ، تتجلى فيها بطولة الحرب والقتال ، عليها مسحة من الخيال تنقل أو تخفف ، وبين تضاعيفها تساق الأساطير بما يملأه من قدر كبير .

٢ - أما في اللغة ، فالملاحم جمع ملحمة على وزن مدرسة ومحكمة ، والملحمة : الواقعة العظيمة من وقائع الحروب ، إذ يتلاحم فيها الجيشان المقتتلان .

يقول « بشار بن برد » :  
في كل يوم لنا عيد وملحمة  
حتى سبأنا بأسياض وأغناد

وكانت تستعمل « الملحمة » في معنى الفتن التي تقضي إلى الحرب ، ومن ذلك ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمران بيت المقدس : خراب يثرب ، وخراب يثرب : خروج الملحمة ، وخروج الملحمة : فتح القسطنطينية » .

وقد وُصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه « نبي الملحمة » وقيل في تفسير هذا الوصف : إنه نبي القتال ، لمجاهدة الكفار والمشركين ، ولكن بعض المفسرين عدلوا بكلمة « الملحمة » في وصف الرسول إلى معنى

وقد تناول كثير من الباحثين والنقاد موضوع « الملاحم » في الأدب العربي ، والجمهرة من هؤلاء انتهوا إلى أن هذا الأدب قد خلا من « الملحمة » ، وثمة فريق يجادلون في ذلك الرأي : على أن الذين اتفقوا على خلو الأدب العربي من الشعر الملحمي ، اختلفوا في بيان العزل والأسباب ألواناً من الخلاف ، ومدار البحث هذه الأسئلة الثلاثة :

(أ) علام تدل كلمة « الملاحم » في أصولها اللغوية ، وفي استعمالها على مدى العصور ؟

(ب) من أين جاءت كلمة « الملاحم » التي أصبحت الآن اسماً لتلك القصائد المطولة للتصحية المعروفة في آداب بعض الأمم ؟

آخر ، وهو التأليف والإصلاح ، فقالوا :  
نبي الملحمة ، أى نبي الإصلاح . فالكلمة هنا  
مأخوذة من : لحم الأمر ، بمعنى أحكمه ،  
وألف بين أجزاءه ، فإذا هو متماسك متين .

وكما استعملت كلمة « الملحمة » فى معنى  
الوقعة العظيمة ، استعملت فى معنى المجادلة  
والمناقضة . وفى الجزء الأول من كتاب  
« الإمتاع والمؤانسة » يقص « أبو حيان  
التوحيدى » على أحد الوزراء حديث المناقشة  
التي جرت بينه وبين « ابن عبيد » فى تفضيل  
الحساب على الإنشاء ، فيقول له الوزير :  
هذه ملحمة منكورة !

وفى « جمهرة أشعار العرب » للقرشى  
سبع قصائد تسمى : « الملحومات » وهذه بضم  
الميم ، مفردتها ملحمة بضم الميم ، وهى غير  
الملحمة المفتوحة ميمها المجموعة على ملاحم  
وإن كانت تلك القصائد سميت « الملحومات »  
لأنها محكمة النظم ، ملحمة النسيج ، كما سميت  
الملحمة المفتوحة الميم بمعنى الفتنة والقتال ،  
لما يكون فى ذلك من تلاحم الجيوش . فالاشتقاق  
فى كلتا الكلمتين من منبع واحد ، والمعنى  
فى كليهما قريب من قريب .

\* \* \*

٣- هذا معنى الملحمة فى اللغة ، وفى  
مناحي استعمالها اللغوى ، والأدبى ، فهل  
استعملت بفتح الميم اسماً لنوع من الشعر ؟

لقد أسفر التتبع والاستقصاء - جهد  
المستطاع - عن أن أقدم نص يدل على

استعمال كلمة « الملاحم » لنوع من الشعر ،  
هو نص « الجاحظ » فى كتابه « البيان  
والتبيين » ، وهو يكشف لنا عن أول شعر  
ملحمى فيما نظن :

قال « الجاحظ » :

« فلما جن أبو يس كان يهذى بأنه سيصير  
ملكاً ، وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم ،  
وكان أبو نواس والرقاشى يقولان شعراً على  
لسانه على مذاهب أشعار ابن أبى عقب الليثى »  
وفى « الأغانى » روى « أبو الفرج عن غيره  
هذا القول :

« ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا :  
ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن  
القرية ، ومجنون بنى عامر . . . »

وصاحب « كشف الظنون » يقول عن  
« ابن أبى العقب » أن هذا الرجل كان معلم  
الحسن والحسين ، وملحمته منظومة لامية  
أولها :

رأيت من الأمور عجيب حال  
لأسباب يسطرها مقالى

ما هذه « الملاحم » التي يكتب « الجاحظ »  
أنها كانت على مذاهب « ابن أبى العقب » ؟

لقد عبر « أبو الفرج » فى الأغانى عن هذا  
الرجل بقوله : صاحب قصيدة الملاحم .  
وإذن فالملاحم شعر . . . فما نوعه ؟

تفسير هذا النوع من الشعر يبين من التعليق  
على نص « الأغانى » فى تعريف كلمة الملاحم

بأنها أصبحت اسماً لعلم خاص تعرف به أوقات الفتن والوقائع بدلائل النجوم . وقد جاء هذا التعريف في كتاب « أجدد العلوم » لصديق حسن خان .

فالشاعر « ابن أبي العقب » كان ينظم شعراً يضمه وصف الأحداث والوقائع ، متوقفاً أن تكون في قريب من الزمن أو بعيد ، معولاً في ذلك على استدلالات فلكية .

وهذا يتوضح في غير شك من القصيدة التي ساقها « الجاحظ » معزوة إلى أبي نواس « يتكلف فيها هذا المذهب الشعري ، على جهة السخرية ، لكي يدعيها « أبو يس » الموسوس لثمنه ، ويندعيها في الناس ، حتى يقولوا عنه إنه يستثنى ما يكون في الغد المجهول .

ويبدو أن الفقهاء كانوا يستنكرون هذه الملاحم ، لأنها رجم بالغيب ، والله لا يظهر على غيبه أحداً . وينسب إلى الإمام « أحمد ابن حنبل » - كما في تاريخ الطبري - أنه قال : « ثلاثة لا أصل لها : التفسير ، والملاحم ، والمغازي » .

أضف إلى ذلك أن « السيوطي » يقول في « حسن المحاضرة » :

« يزيد بن حبيب - مفسى مصر - أول من أظهر العلم بها من حلال وحرام ، وكانوا قبل ذلك يتحدثون في الفتن والملاحم » :

\* \* \*

٤ - لم يفت « البستاني » في مقدمة « الإلياذة » أن يدرس كلمة « الملاحم » ، بيد أنه علم شيئاً وغابت عنه أشياء ، وسبحان من تفرد بالكمال .

ودونك قول « البستاني » :

لم يتصل بنا أن العرب وضعوا اسماً لمنظومات الشعر القصصى ، من نظائر الإلياذة ، إلا أن يكون ذلك ما استحدثه أهل المغرب ، وسماه بعضهم : الملاحم ، وهو ما يتضمن من المنظوم أحوال أمة أو قوم ، وفصلت فيه وقائع الحروب والتاريخ .

وقف « البستاني » ببحثه وتحديدته عند « أهل المغرب » ، على حين أن هذا النوع من الشعر يرجع كما أسلفنا إلى عهد بعيد عهيد ، إلى عصر « الجاحظ » كما جاء في كتابه « البيان والتبيين » ، بل إلى « ابن أبي عقب » الذي علم الحسن والحسين في القرن الأول الهجري ، كما جاء في كشف الظنون ، وإن كان صاحب الأغاني « يبنى وجرود الرجل على الإطلاق .

وفي كتاب « ابن أبي أصيبعة » أن الرئيس « ابن سينا » تنسب إليه تصيدة فيما يحدث من الأمور والأحوال عند قران المشتري وزحل في برج الجدى بيت زحل ، وهو أنحس البروج . وجملة ما قيل في هذه القصيدة

من أحوال التتر وقتلهم الخاق وخراهم  
للقلاع . وقد رأينا في زبانا . وأرل هذه  
القصيدة :

احذر بني من القران العاشر  
وانفر بنفسك قبل نقر الناقر

ويضيف « ابن أبي أصيبعة » أن أحد التجار  
أنشده قصيدة في هذا المعنى أولها :

إذا شرق المريخ من أرض بابل  
واقترن النحسان فالخذر الخذر

ولا بد أن تجرى أمور عجيبة  
ولا بد أن تأتي بلادكم التتر

وكان هذا الشعر الذي ينسب إلى « ابن  
سينا » يدرج في نوع الملاحم ، ويطلق عليه  
هذا الاسم ، كما نرى ذلك في مقدمة « ابن  
خلدون » إذ عقد فيها فصلاً عنرانه : « فصل  
في ابتداء الدول والأمم ، وفيه الكلام على  
الملاحم ، والكشف عن مسمى الجفر » .

يقول « ابن خلدون » :

« ثم كتب الناس في حدثان الدولة منظوماً  
ومثوراً ، ورجزاً ، ما شاء الله أن يكتبوه ،  
وبأيدى الناس متفرقات منه ، وتسمى الملاحم ،  
وبعضها في حدثان الدولة على العموم ،  
وبعضها في دولة على الخصوص ، ووقفت  
بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي  
الحاتمي ، وسمعت أيضاً أن هناك ملاحم أخرى  
منسوبة لابن سينا وابن عقب . »

٥ - ولم تكن « الملاحم » مقصورة على  
القصيد ، فقد نثرت بعد أن كانت منظومة ،

وهذا يستفاد من قول صاحب « كشف  
الظنون » عن ابن أبي عقب : أن « ملحمة  
منظومة » .

فما الملاحم المنشورة ؟

في ذيل كتاب « تذكرة داود الأنطاكي »  
حديث عن الملحمة ، تناول فيه الأشراف  
والعلامات التي تبيء لوقوع الأحداث ، وتدل  
عليها ، فالغالب أن كلمة « الملاحم » تطلق  
على كل حديث يتناول التكون بالمستقبل ،  
ويبنى عليه تصوير الوقائع والأحداث التي  
تكون . وقد نقلنا من قبل كلمة الإمام « ابن  
حنبل » وكلمة « السيوطي » ، وفيهما استعملت  
كلمة « الملاحم » دون تعيين لمذلولها من شعر  
أو نثر .

٦ - من مجموع هذه النصوص التي أحملنا  
اقتباسها ، والإشارة إليها ، بل من أمثالها في  
شئى المراجع والأصول ، بإجمال أو تفصيل ،  
ولم نشأ أن نمضى في نقلها ، إرادة الاختصار  
والاقتصار - تتجلى لنا الحقائق الآتية :

أولاً - أن كلمة الملاحم أطلقت على نوع  
من الشعر ، يصف ما يجرى على الدول والأمم  
من أحداث وشجون ووقائع ، مما ينضاف  
إلى المستقبل ، من طريق الاستدلال عليه  
بأحكام النجوم ، كما في نصوص « الجاحظ » ،  
وصاحب « الأغاني » و « ابن خلدون » .

ثانياً - أن هناك قصائد مطولة وغير  
مطولة ، على هذا النحو ، سميت « الملاحم » ،  
وأثبتت كتب الأدب والتاريخ وجودها ،

العربي القديم ، إلا في شيء واحد : هو أن الملاحم العربية القديمة كانت تقص ما عسى أن يكون من أحداث الأمم والدول في المستقبل المغيب . وأما الملاحم في آداب الأمم الأخرى فتتناول قصص تاريخها الماضي وما يشيع فيه من أساطير :

بعض المراجع :

البيان والتبيين ج ٢ - ٣٦ - ٢٣١

الأغاني ج ٢ - ٩

ديه ان بشار ج ٢ - ٣٠٣

تاريخ الطبري ج ٢ - ٦٠٧

الإمتاع والمؤانسة ج ١ - ٩٧

الإتقان للسيوطي ج ٢ - ٢٢٠

حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ١٣١

عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ - ١٦

مقدمة الإلياذة - البستاني

ذيل تذكرة داود

محمد شوقي امين

عضو المجمع

ونقلت طرفاً منها ، كقصائد من اختلف في تسميته : أهو « ابن عقب » أو « ابن أبي عقب » ولم ينفرد هو بها . فقد نظم على هذا الغرار « ابن سينا » و « ابن العربي » .

ثالثاً - أن تاريخ إطلاق كلمة « الملاحم »

على هذا النوع من الشعر ، يرتد إلى القرن الهجري الأول ، وأنه مسجل فيما دونه المؤلفون في القرن الهجري الثاني . كما أئحنا إلى ذلك فيما عرضناه من النصوص ، فإن كان هذا الإطلاق في القرن الأول على جهة الظن والاحتمال ، للشاك في حقيقته ، فهو في القرن الثاني على جهة اليقين والثبوت ، لوروده في كتاب « البيان والتبيين » .

رابعاً - أن الإطلاق العصري لكلمة

« الملاحم » على معنى القصائد المطولة التي تتناول التاريخ الأسطوري للأمم والدول ، كإلياذة هوميروس ، لا يختلف عن الإطلاق

# تحقيق لسان العرب

- ٨ -

## للسيد عبد السلام هارون

- في الجزء الرابع عشر
- ٩٢٨ - ( غزل ) ٩٠ س ١٣ وبيروت ٤٩٧ قول الشاعر :
- كأن زمامها أيم شجاع  
تراد في غصون مفضلة  
والصواب « تراد » كما في المخطوطة ،  
وكما هو في اللسان ( راد ) والمقاييس  
( أيم ) . ترادت الحية : اهتزت في  
انسيابها .
- ٩٣٠ - ( غول ) ٢٢ س ٤ : « والغول  
بعد المغازة ، لأنه يغتال من يمر به » .  
وفي المخطوطة : « بعد المقاره » ، وصوابهما  
« المفازة » بالفاء والزاي ، كما في  
الصحاح . وعلى ذلك الصواب وردت في  
طبعة بيروت ٥٠٨ .
- ٩٣١ - ( غيل ) ٢٥ س ٢٢ وبيروت  
٥١٢ قول الشاعر :
- \* حجارة غيل وارشات بطحلب \*  
وهو عجز بيت لامرئ القيس في  
ديوانه ٤٧ . صدره :
- \* ويخطو على صم صلاب كأنها \*  
والصواب : « وارسات » بالسين -  
المهملة ، كما في الديوان واللسان ( ورس ) .
- ٩٢٩ - ( غلل ) ١٤ س ١٧ وبيروت  
٥٠١ والمخطوطة أيضاً قول ذي الرمة  
يصف الثور والكناس :
- يحفره عن كل ساقٍ دقيقة  
وعن كل عرقٍ في الثرى متغلغل  
وإنما يحفر الثور هنا لينبش عن سيقان  
النبت المدفونة في الأرض ، لايؤثر دقيقة  
على جليلة ، وكذلك يبحث عن العروق

وجاء في المخطوطة : « وارسات » بالسين  
المهملة ، ووضع فوق السين سكون ، وهو  
علامة من العلامات القديمة لإهمال الحرف  
كما أشرت إلى ذلك في كتابي « تحقيق  
النصوص » فظنها القارئون نقطاً يعبر عن  
السين ، وليس كذلك . والوارسات :  
المصفرات . شبه حوافر الفرس في صلابتها  
وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب  
فاصفرت واملاست وصلبت .

٩٣٢ - ( فتل ) ٢٩ س ١٩ وبيروت  
٥١٥ والمخطوطة ، قول لبيد :

\* حرج من مرفقيها كالفتل \*  
وصوابها : « في مرفقيها » كما في  
الديوان ١٧٥ والمقاييس ( بطن ) .  
وصدره :

\* قد تجاوزت وتحتي جسرة \*

وفي المقاييس : « قد تبطنت » .

٩٣٣ - ( فسكل ) ٣٤ س ١٣ وبيروت  
٥٢٠ : « ثم السكيت ، وهو الفسكل  
والفاشور » .

وفي المخطوطة : « الفاشور » بدون  
نقط للفاء ، وصوابها « الفاشور » بالقاف

كما في الصحاح . وفي اللسان ( قشر ) :  
« والفاشور : الذي يأتي في الحلبة آخر  
الخيل ، وهو الفسكل » .

٩٣٤ - ( فضل ) ٤١ س ٨ وبيروت  
٥٢٦ والمخطوطة أيضاً : وقال ابن عثمة :  
لك المرباع منها والصفايا

وحكمك والنشيط والفضول

وموضع الخطأ في اسم الشاعر ، فالصواب  
أنه « ابن عنمة » ، وهو أحد شعراء -  
المفضليات والأصمعيات . واسمه عبد الله  
ابن عنمة بن حُرثان بن ثعلبة بن ذؤيب  
ابن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن  
ضبة . وهو شاعر إسلامي مخضرم ، شهد  
القادسية . والبيت الذي أنشده ابن  
منظور هو السادس من الأصمعية الثامنة التي  
يرثي بها بسطام بن قيس . انظر الأصمعيات  
٣٧ . وقد سبقت الإشارة إليه في التحقيق  
رقم ٤٠٢ .

٩٣٥ - ( فلل ) ٤٧ س ١٩ وبيروت  
٥٣٢ والمخطوطة أيضاً : « واستفل الشيء :  
أخذ منه أدنى جزءٍ لعشره » . وليس للعسر  
هنا وجه ، وإنما هي « كعشره » كما في  
القاموس .



ما أضيف إليه وسُكِّت عليهن حين حدوداً  
وغايات .

٩٣٨ - ( قبل ) ٦٣ س ١١ وببيروت  
٥٤٦ قول ابن مقبل :

يُرْخَى الْعِذَارَ وَإِنْ طَالَتْ قِبَائِلُهُ  
عَنْ حُزَّةٍ مِثْلَ سِنْفِ الْمَرْخَةِ الصَّغِيرِ  
وَالْخَطَأُ فِي « حُزَّةٍ » فَإِنْ صَوَّبَهَا  
« حَشْرَةٌ » كَمَا فِي الدِّيْوَانِ ٩٧ وَالْمَعَانِي  
الْكَبِيرِ ١١٣ . وَالْحَشْرَةُ بِالْفَتْحِ صَفْحَةٌ لِلْأُذُنِ ،  
وَهِيَ الرَّقِيقَةُ الْمُنْتَصِبَةُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّمِرِ  
ابْنِ تَوْلَبٍ :

لَهَا أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ

كَإِعْلِيْطٍ مَرَّخٍ إِذَا مَا صَفِيرُ

كَمَا يُقَالُ أَيْضاً أُذُنٌ حَشْرٌ . قَالُوا  
ذُو الرِّمَّةِ :

لَهَا أُذُنٌ حَشْرٌ وَذِفْرِي لَطِيفَةٌ

وَخَدُّ كَمَرَاةِ الْغَرِيْبَةِ أَسْجَحُ

وَجَاءَتْ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « حَرَّةٌ »  
بِهَذَا الضَّبْطِ وَبِدُونِ أَسْنَانٍ .

٩٣٩ - ( قتل ) ٦٨ س ١٥ وببيروت  
٥٥١ : « أَبُو عَمْرٍو : الْمَجْرَبُ وَالْمَجْرَسُ  
وَالْمَقْتَلُ كُلُّهُ الَّذِي جَرَّبَ الْأُمُورَ وَعَرَفَهَا » .

٩٣٦ - ( قتل ) ٤٨ س ١٣ وببيروت  
٥٣٢ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل :  
فَمَرَّتْ عَلَى أَضْرَابِ هِرٍّ عَشِيَّةً  
لَهَا تَوَابَانِيَّانِ لَمْ يَتَفَلَّأْ

و « أَضْرَابٌ » صَوَابُهَا « أَطْرَابٌ »  
بِالضَّاءِ الْمَشَالَةُ ، كَمَا فِي الدِّيْوَانِ ٢١٢ وَالْمَقَائِيْسِ  
١ : ٣٦٥ وَالصَّحَاحِ ( تَابٌ ) وَاللِّسَانِ  
( تَابٌ ) . وَالْأَطْرَابُ : جَمْعُ ظَرْبٍ كَكْتَفٍ  
وَهُوَ الْجَبَلُ الصَّغِيرُ . وَ« هِرٌّ » بِالْكَسْرِ : اسْمُ  
مَوْضِعٍ . وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى الْبَيْتِ فِي  
التَّحْقِيقِ ٥٩٩ .

٩٣٧ - ( قبل ) ٥٢ س ١٩ وببيروت

٣٥٦ والمخطوطة : « وَقَالَ الْخَلِيلُ : قَبْلُ  
وَبَعْدُ رَفْعًا بِلَا تَنْوِينٍ لِأَنَّهُمَا غَائِيَانِ » ،  
وَالْوَجْهُ « غَائِيَتَانِ » كَمَا فِي التَّهْنِيبِ ٩ :  
١٦٢ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَوِيِّينَ .  
وَفِي كِتَابِ سَيْبَوِيَّةِ ٢ : ٤٤ : « فَأَمَّا مَا كَانَ  
غَايَةً نَحْوَ قَبْلٍ وَبَعْدٍ وَحَيْثُ فَإِنَّهُمْ يَحْرُكُونَهُ  
بِالضَّمَّةِ .

وَسُمِّيَتِ الظُّرُوفُ الْمَقْطُوعَةُ عَنِ الْإِضَافَةِ  
غَايَاتٍ لِأَنَّ أَصْلَ اسْتِحْمَالِهَا أَنْ تَسْتَعْمَلَ  
مَعَ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اقْتَطَعَتْ عَنْهُنَّ -

وفي المخطوطة : « المحرَّب » بالحاء المهملة  
موضع « المجرب » ، وكلاهما محرف ،  
والصواب « المجرَّد » براءٍ مشددة مفتوحة  
بعدها ذال معجمة ، كما في التهذيب ٩ :  
٥٥ واللسان نفسه في مادة ( جرد ) وفيه :  
« أبو عمرو : هو المجرَّد والمجرس » . وفيه  
أيضاً : « ابن الأعرابي : جرَّده الدهر ودلَّكه  
وديثه ونجَّده وحنَّكه » . وفي اللسان -  
( جرس ) : « ورجل مَجْرَس ومَجْرَس :  
مَجْرَبٌ لِلأُمُور » .

٩٤٠ - ( قرمل ) ٧٣ س ٩ وببيروت  
٥٥٥ : « القرملة : شجرة ضعيفة لا ذرى  
لها ولا سُترة » . وجاءت « ذرى » في  
المخطوطة مضبوطة بفتحة فوق الراء فقط  
وصواب ضبطها « ذرى » بفتح السدال  
لا ضمها . والذرى : ما كنك من الريح  
الباردة من حائط أو شجر . ويقال فلانٌ  
في ذرى فلان ، أى فى ظلّه .

٩٤١ - ( قسطل ) ٧٥ س ٤ وببيروت  
٥٥٧ قول الشاعر :

كأنَّ عليها القسطلانيُّ مُخْمَلًا  
إذا ما التقت شقائقه بالمناكب

وفي المخطوطة : « شقاته » بالفاء والتاء  
والذى فى التهذيب ٩ : ٣٩١ : « إذا

ما اتَّقت شقائقه بالمناكب » . والشَّفان :  
الريح الباردة مع المطر .

٩٤٢ - ( قول ) ٩٢ س ١ وببيروت ٥٧٣  
قول رؤبة :

فاليوم قد نهنهني تنهني  
وأول حلم ليس بالمسفة

ومع ما يستتبعه ضبط « أول » من  
انكسار الوزن ، فيه خطأ الرواية ، صوابها  
« وأول » كما ضبطت بذلك فى المخطوطة ،  
وهو الثابت فى ديوان رؤبة ١٦٦ . والأول  
هنا : الرجوع . يعنى أنَّ حلمه عاد إليه فى  
مكبره واحتناكه بالسَّن . فهذا هذا .

٩٤٣ - ( قول ) ٩٢ س ٥ وببيروت ٥٧٣  
والمخطوطة : « وسمعت الكسائى يقول :

فى قراءة عبد الله : ذلك عيسى بن مريم  
قال الحق الذى فيه يمترون . فهذا من  
هذا . كأنه قال : قال قول الحق » .

وصواب رواية هذه القراءة : « قال الحق »  
أى قول الحق ، كما فى التهذيب ٩ : ٣٠٤  
وتفسير أبى حيان ٦ : ١٨٩ حيث قال :

« وقرأ ابن مسعود والأعمش : قال بألف ،  
ورفع اللام » . وزاد ابن خالويه فى شواذ  
القراءات ٨٤ قراءة « قال الله » لابن

مسعود أيضاً، وفيه: « قالُ الحقُّ، وقالُ الله، بضم اللام، ابن مسعود ». وأقول: فلا عبرة إذن بما ورد في كتاب المصاحف للسجستاني ص ٦٤ من ضبط « قال » بالفتح ضبط قلم لا عبارة، أو بالأحرى ضبط مطبعة تخطى وتصيب.

وكلمة « قال » الثانية في عبارة ابن منظور مقحمة تكراراً. وصواب العبارة: « كأنه قال: قولُ الحق ».

٩٤٤ - ( قول ) ٩٣ س ١ وبيروت ٥٧٣ والمخطوطة، قول الراجز: وابتدأت غضبي وأمَّ الرِّحال وقُولَ لا أَهْلَ له ولا مَالُ

والشاهد فيه « قُول » على لغة بني أسد في بنائه للمجهول بمعنى « قيل ». وصواب « أمَّ الرِّحال » « أمَّ الرِّحال »، كما في تهذيب اللغة ٩: ٣٠٥. والرِّحال علم من أعلامهم، به سمي عدد من الصحابة والتابعين. ومن شعرائهم: الرِّحال بن عَزْرَة.

على أن الرواية في تهذيب اللغة، وكذا في المنصف ١: ٢٥٠ والمحتسب ١: ٢٤٥ « وابتدلت غضبي ».

٩٤٥ - ( قيل ) ٩٨ س ٨ وبيروت ٥٧٩ والمخطوطة أيضاً قول الراجز:

يُسْقِين رَفْهًا بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ  
مِن الصَّبُوحِ وَالغَيْبُوقِ وَالْقَيْلِ  
والرَّفْه في ورد الإبل إنما هو بكسر الراء.  
وفي اللسان: « الرفه بالكسر: أقصر -  
الورد وأسرعُه، وهو أن تشرب الإبل الماء كلَّ يوم ».

٩٤٦ - ( كفل ) ١٠٧ س ٢٥ وبيروت ٥٨٨: « وفي حديث أبي رافع: ذلك كِفْلُ الشَّيْطَانِ، يعني معقده ». والصواب « معقده » بتقديم القاف، كما في المخطوطة.

٩٤٧ - ( كلل ) ١١٣ س ٦ وبيروت ٥٩٥ والمخطوطة: « ابن الجراح: إذا لم يكن ابن العم لحاً وكان رجلاً من العشيرة قالوا: هو ابن عمي الكلالة » إلى آخر النص. والصواب « أبو الجراح »، كما في التهذيب ٩: ٤٤٨. وفيه: « أبو عبيد عن أبي الجراح ». وأبو الجراح هذا أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة. ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٠ والقفطي في إنباه الرواة ٤: ١١٤ والمرزباني في معجم الشعراء ٥١١. وقد سمّوه جميعاً أبا الجراح العقيلي.

٩٤٨ - ( كلل ) ١١٥ س ٢١ وبيروت  
٥٩٥ والمخطوطة كذلك في تفسير قول  
النايعة الجعدى :

بكرت تلوم وأميس ما كللتها  
ولقد ضللتُ بذلك أيَّ ضلالٍ  
« ما صلة كللتها أدعصتها » ولا وجه له ،  
والصواب : « ما : صلة . كللتها أي عصيتها » .  
كما في التهذيب ٩ : ٤٤٩ . وقوله « ماصلة »  
أي زائدة .

٩٤٩ - ( كلل ) ١١٥ س ٢٢ وبيروت  
٥٩٥ وكذا المخطوطة ، قول الشاعر :

\* وفرحه بحصى المعزاء مكلول \*  
الصواب : « وفرجه » بالجيم كما في  
التهذيب ٩ : ٤٤٩ والمفضليات ١٤٠ . والبيت  
لعبد بن الطيب في المفضليات . وهو في  
صفة ثور . وصدرة :

\* له جنابان من نقع يشوره \*

والفرج : ما بين قوائم الدابة . يقال  
جرت الدابة ملء فروجها ، وهو ما بين  
القوائم . ومنه قول امرئ القيس :

لها ذنبٌ مثل ذيل المروس

تسدُّ به فرجها من دُبُرٍ

٩٥٠ - ( كلل ) ١١٥ س ٢٢ وبيروت  
٥٩٥ : « والكُلة : الصَّوقعة ، وهي صوفة  
حمراء في رأس الهودج . وصواب الضبط .  
« الكِلة » بالكسر ، كما في التهذيب  
والقاموس ، إذ صرح في القاموس بضبطه  
بالكسر . ووردت هذه الكلمة في المخطوطة  
مجردة من النقط والضبط ، ووجهها  
ما أشرتُ إليه . وأما الكُلة بالضم فهي  
تأنيث الكُل ، وهي كذلك بمعنى التأخير .  
والكُلة ، بالفتح : الشفرة الكالة .

٩٥١ - ( كلل ) ١١٧ س ٨ وبيروت  
٥٩٦ والمخطوطة والتهذيب ٩ : ٤٥١ :

وأنشد قول العجاج :

\* حتى يُحلُّون الربا الكلا كلا \*

ونسبة هذا الشطر إلى العجاج غير -  
صحيحة . وليس للعجاج في ديوانه أرجوزة  
على هذا الروى ، وإنما الأرجوزة لرؤبة في  
ديوانه ، وهي طويلة جداً بلغت أشطارها  
٢٩٧ شطراً مائتين وسبعة وتسعين شطراً .  
وشطرننا هذا هو الشطر ٣٩ في ص ١٢٢  
والرواية فيه :

\* حَوماً يُحلُّون الربى كلاكلا \*

٥٩٢ - ( كيل ) ١٢٦ س ٨ وبيروت

٦٠٥ قالت امرأة من طيبي :

فَيُقْتَلُ خَيْرًا بِأَمْرِي لَمْ يَكُنْ لَهُ

نِيَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالدَّمِ

أما هذه المرأة فهي بنت بهدل بن قرفة

الطائي ، كما في الحماسة ١ : ٢١٢ بشرح

التبريزي وحواشي المرزوقي ٢١١ .

و « خيراً » لا وجه لها هنا ، وصوابها

« جبراً » كما في المرزوقي والتبريزي .

قال المرزوقي : « جبر هو القاتل لولي هذه

المرأة » .

وأما « نيواء » فهي خطأ في اللفظ وفي

الضبط ، وصوابها « بواء » بالباء المفتوحة

في أولها وبالنصب ، كما اتفق على ذلك

ضبط المرزوقي والتبريزي . والمراد : لم

يُكُنْ القَتِيلُ بَوَاءً لَجَبْرٍ ، أَوْ لَمْ يَكُنْ جَبْرٌ

بَوَاءً لِهَذَا الْمَرْءِ الْقَتِيلِ ، أَيْ يَكُونُ دَمُهُ وَفَاءً

بِدَمِهِ وَيَرْضَى قَتْلَهُ بَدَلًا مِنْهُ . وَالْبَوَاءُ :

السَّوَاءُ . وَفُلَانٌ بَوَاءٌ فُلَانٍ ، أَيْ كَفُوهُ إِنْ

قُتِلَ بِهِ . وَهَذَا كَانَ دِينَ الْجَاهِلِيَّةِ . فَلَمَّا

جَاءَ الْإِسْلَامُ سَقَطَتِ الْمَكَايِلَةُ فِي الدَّمَاءِ ،

فَلَا يَقْتُلُ بَدَلَ الْوَاحِدِ إِلَّا وَاحِدًا ، شَرِيفًا

كَانَ أَوْ وَضِيعًا . وَرَوَايَةُ الرَّفْعِ فِي « بَوَاءِ »

إِنْ صَحَّتْ كَانَ مَعْنَاهَا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ

الشريف ، وهو بهدل بن قرفة ، لم يكن له

نظير ولا له كفيء فيقتل به .

٩٥٣ - ( مسل ) ١٤٦ س ٢ وبيروت

٦٢٣ والمخطوطة كذلك ، قول أبي حية

النميري :

إِذَا مَا تَغَشَّاهُ عَلَى الرَّحْلِ يَنْثَنِي

مُسَالِيَهُ عَنْهُ مِنْ وَرَاءِ وَمُقَدِّمِ

هو إنما يصف راكباً أدام السرى حتى

غلبه النوم فطفق ينثنى في عطنيه وناحيته

من مؤخر الرحل ومقدمه . وصوابه « إذا

ما نعشناه » ، أي رفعناه وحاولنا إيقاظه .

سيبويه ١ : ٢٠٥ والصحاح واللسان (سيل)

والأزمة للمرزوقي ١ : ٣٠٧ .

ومساليه منصوب على الظرفية .

٩٥٤ - ( ملل ) ١٥٣ س ١٠ وبيروت

٦٣٠ والمخطوطة أيضاً قول شبيب بن

البرصاء :

وَهُمْ تَأْخُذُ النَّجْوَاءَ مِنْهُ

يَعْدُ بِصَالِبٍ أَوْ بِالْمَلَالِ

وَالنَّجْوَاءُ : الرَّعْدَةُ ، وَمِثْلُهَا « النَّحْوَاءُ »

بالحاء المهملة . والمَلَالُ بالضم : التقلُّبُ

مقدمتها الصحاح نفسه ، وفيه : « والعقد أيضاً بكسر القاف : ما تعقد من الرمل ، أى تراكم ، الواحدة عقدة . و كان أبو عمرو يقول : العقد والعقدة بالفتح » أى فتح القاف . وفي اللسان : « والعقد : المتراكم من الرمل ، واحده عقدة ، والجمع أعقاد . والعقد : لغة في العقد » . وفي القاموس : « وككتف ، وجبل : ما تعقد من الرمل وتراكم ، واحدهما بهاء » .

٩٥٦ - ( نأل ) ١٦٢ س ١٩ وببيروت

٦٣٩ ، قول ساعدة بن جؤية :

لها خفان قد ثلبا ورأس  
كرأس العود شهرة نـوول

كما وردت كلمة « العود » في المخطوطة مضبوطة بضممة فوق العين وسكون فوق الواو . وصوابها « العود » بفتح العين ، كما في ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ وشرح السكري ١١٤٧ ، والبيت في « صفة ضبع » ، شبه رأسها في ضخامته برأس العود ، وهو الجمل المسن ، وأين العود من العود؟! فلا وجه للعود هنا . وروى « شهرة » و « شهرة » أيضاً ، وكلاهما بمعنى . -  
الكبيرة المسنة .

من المرض أو الغم . و « يُعَدُّ » محرفة عن « يُعَلُّ » باللام كما في اللسان ( نجا ، نحا ) . وَيُعَلُّ من العَلل ، وهو الشرب الثاني . والصالب : الحمى الحارة ، وهي الصُداع أيضاً . وأنشد في اللسان ( صلب ) :  
\* يـرـوـعـك حـمـى من مُـلـالٍ وصالبٍ \*

فالمراد أن الهمَّ تزداد وطأنه بالصالب والمُلال . وأشار في اللسان ( نجا ١٨٠ ) إلى رواية « يُعَكُّ » بالكاف . ورواية - المقاييس ٤ : ١١ : « تَعَكُّ » ، وأتى به شاهداً على قولهم : عكته الحمى ، أى كسرتة .

٩٥٥ - ( ميل ) ١٦١ س ١٨ وببيروت

٦٣٨ قول الجوهري : « الميلاء من الرمل : العقدة الضخمة ، والشجرة الكثيرة الفروع » ووردت « العقدة » في المخطوطة مهملة الضبط . وضبطت في مطبوعة الصحاح « العقدة » بالضم أيضاً . ولا يمال في الرمل عقدة وعقد ، وإنما هي « العقدة » بفتح فكسر ، أو « العقدة » بالتحريك ، كما هو المجمع عليه في المعاجم المتداولة ، وفي

٩٥٧- (نخل) ١٧٦ س ٨ وببيروت  
٦٥٣ قول الشاعر :

قَدَّرُ احْلِكْ ذَا النُّخَيْلِ وَقَدْ أَرَى  
وَأَبِيَّ مَالِكِ ذُو النُّخَيْلِ بِسَدَارِ  
وجاء في المخطوطة : « وَأَبِيَّ » بالنون  
وتشديد الياء المفتوحة ، والصواب مافي  
طبعتي بولاق وببيروت . و « أَبِيَّ » هي  
أَبُوي ، قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها عملاً  
بقاعدة اجتماع الواو والياء وسبقت إحداهما  
بالسكون . والبيت من شواهد الخزانة  
٢ : ٢٧٢ بولاق ، وقد ورد فيها وفي شرح  
ابن يعيش ٣ : ٥٦ ومجالس ثعلب ٥٤٤  
وخطأ آخر هو في الطبعتين فقط ، وهو  
ضبط « مالِكِ » بكسر الكاف ، وإنما هي  
« مَالِكِ » ، أي ليس لك ذو النخيل  
بمنزل تقيم فيه .

٩٥٨- (نيل) ٢١٠ س ٨ وببيروت  
٦٨٦ قول لبيد :

\* ما جاور النيل يوماً أهل إبليليا \*  
وفي المخطوطة : « ما حاور » بالحاء  
والراء المهملتين ، ولا معنى للمجازة  
أو المحاورة هنا . وصوابهما « جاور »  
بالجيم والراء ، كما في التهذيب ١٥ :

٣٧٣ والخزانة ٢ : ٧٩ وشرح القصائد  
السبع الطوال ٥٠٩ .

ونسبة البيت إلى لبيد ثابتة في شرح  
القصائد وفي التهذيب أيضاً . لكنه نسب  
في الخزانة إلى النعمان بن المنذر يعيب  
لبيداً . وكذلك نسب إلى النعمان في  
الأغاني ١٤ : ٩٢ والفاخر للمفضل بن سلمة  
٧٣٠ ولم يرد البيت ولا أخواته في ديوان  
لبيد أو ملحقاته . فنسبته إلى لبيد مقول  
فيها .

ونص البيت في الفاخر :

فقد رُميتَ بسدائٍ لست غاسلَه  
ما جاور النيل يوماً أهله النيلا  
وفي الخزانة :

فقد رُميتَ بشيءٍ لست غاسلَه

ما جاور السيل أهل الشام والنيلا

وفي شرح القصائد السبع لابن الأنباري

فقد ذكرتَ به والركب حاملُه

ما جاور الغيلُ أهلَ الشام والنيلا

وفي الأغاني :

فقد ذكرتَ بشيءٍ لست ناسيَه

ما جاورت مصرُ أهلَ الشام والنيلا

وصواب الرواية : « إذ نزلت قَسْرٌ »

كما في ديوان الكميت ٢ : ٢٢ والمعاني

الكبير لابن قتيبة ٩٦٤ والتهذيب ٦ :

٥٤٧/٩ : ١٥٨ . وجاء في اللسان ( فلق ) :

« قسراً » ، وهو تحريف ما ذكرت .

وقَسْرٌ هم قبيلة خالد بن عبد الله القسري ،

وهم قَسْر بن عَبْقَر بن أنمار . جمهرة ابن

حزم ٣٨٧ ، ٤٧٤ . وانظر ما سبق في التحقيق

رقم ٥٦٠ .

عبد السلام محمد هارون

عضو المجمع

٩٥٩ - ( هذل ) ٢١٥ س ١٥ وببيروت

٦٩١ والمخطوطة قول ذي البرمة :

إذا ناقتي عند المحصب شاقها

... رواحُ اليماني والهديلُ المرجعُ

وصواب روايته كما في ديوان ذي

البرمة ٣٤٥ وأدب الكاتب ١٦٢ والاقْتَضَابُ

٣٥٣ : « أرى ناقتي » .

٩٦٠ - ( هضل ) ٢٢٣ س ١ وببيروت

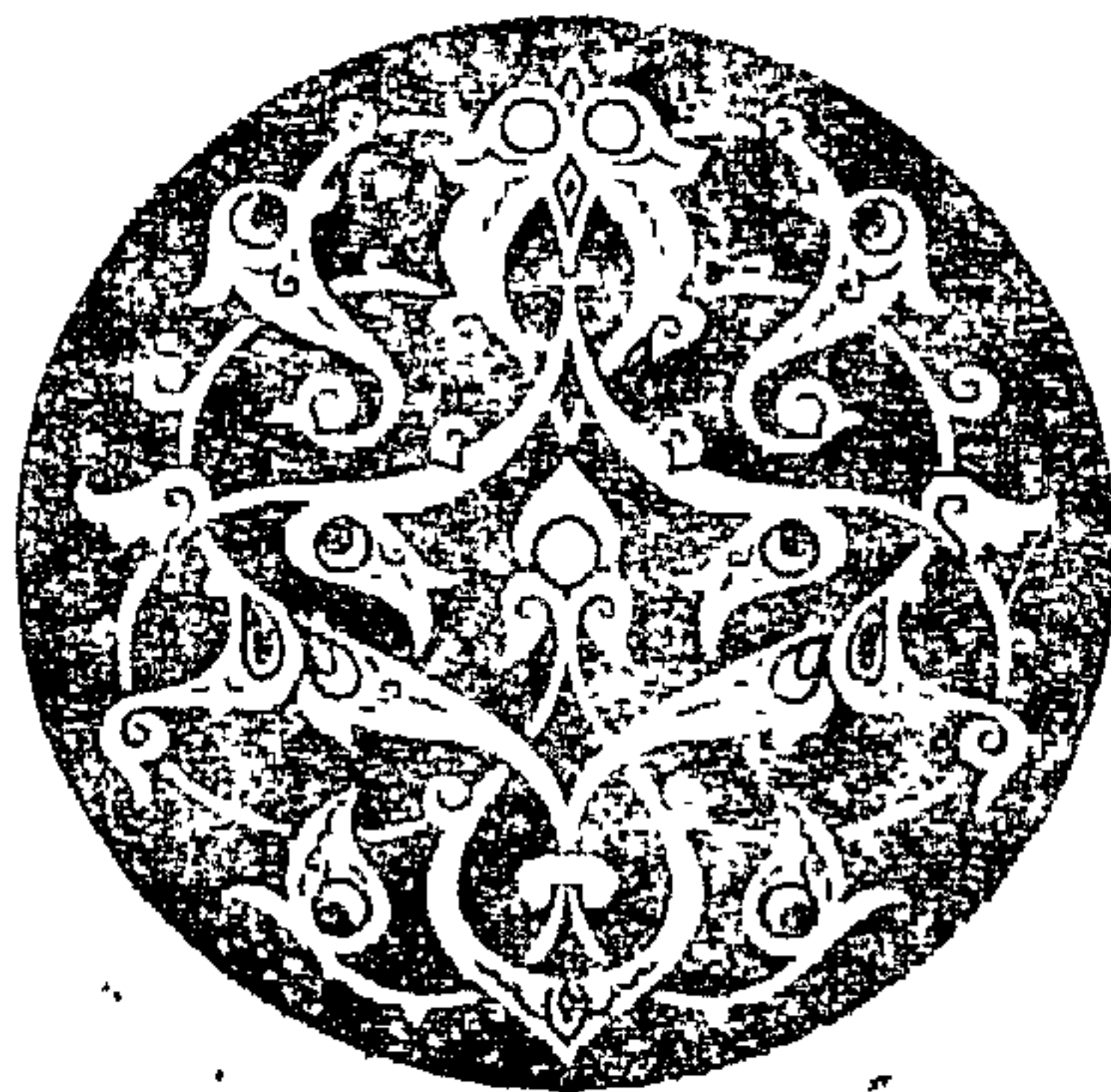
٦٨٩ والمخطوطة أيضاً والصحاح ، قول

الكميت ، ( وهو في مدح خالد بن عبد الله

القسري ) :

في حومة الفيلق الجأوا إذ ركبت

قيسٌ وهيضلها الخشخاش إذ نزلوا





# طَرْفٌ من الأدب واللفظ للكاتب أحمد عمار

( ٢ )

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ  
فتبينوا ». وإن كنت صادقاً فأنت من أهل  
هذه الآية :

« هماز مشاء بنميم » .

فقال الرجل : أتوب إلى الله يا أمير  
المؤمنين .

\*\*\*

- . الرباني الموصوف بعلم الرب .
- . والربي المنسوب إلى الرب .
- . الشعراي الكثير الشعر .
- . والشعري منسوب إلى الشعر .
- . اللحياني الطويل اللحية .
- . واللحي نسبة إلى اللحية .
- . الرقباني الغليظ الرقبة .
- . والرقبي نسبة إلى الرقبة .

\*\*\*

صب الرشيد الماء على يدي أبي معاوية  
الضريير بعد أن أكل طعاماً عنده ، ثم قال  
له : أتدرى من يصب الماء على يدك ؟

أشد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من  
نفسك ، ومواساة الأخ من مالك ، وشكر  
الله تعالى على كل حال . ( حديث شريف )

\*\*\*

محمد : حمداً مرة بعد مرة ، كما نقول :  
مكرم ومعظم .

ومحمود : حمداً مرة واحدة .

وقد سميت العرب محمداً نحو خمسة عشر  
رجلاً .. وكذلك سميت أحمد بضع مرات .

\*\*\*

قال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله -  
وكانا في الكعبة - سلني حاجتك . فقال :  
أكره أن أسأل في بيت الله غير الله .

لن ترجع الأنفس عن غيبها

ما لم يكن منها لها زاجر

( أبو نواس )

قال أبو العتاهية : وددت أنه لي بنصف

شعري .

\*\*\*

نقل رجل إلى عمر بن عبد العزيز كلاماً ،  
فقال له عمر : إن كنت كاذباً فأنت من  
أهل هذه الآية :

قال : لا : قال : أنا . فقال :  
أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم إجلالا  
للعلم .

\*\*\*  
وجلس الرشيد مجلسه فقال : أى الناس  
أكرم خادماً ؟ قالوا : أمير المؤمنين .  
قال : بل الكسائي ، يخدمه الأمين والمأمون ؛  
( وكان الرشيد قد عهد إليه بتأديبهما - فقام  
الكسائي ليلبس نعليه ، فابتدراهما فوضعاهما  
بين يديه )

\*\*\*  
عائشة أم المؤمنين : ترثى أباه  
نصر الله وجهك يا أبت . وشكر لك  
صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا  
بإرادتك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها .  
ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب  
بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر  
فيك ، حسن العوض منك .

\*\*\*  
إن المرء ناظر باحدى عيون ثلاث :  
عين مودة تريه القبيح حسناً ، وعين شنان  
تريه الحسن قبيحاً ، وعين عدل تريه حسنه  
حسناً وقبيحه قبيحاً .

( ابن المقفع )

\*\*\*  
الزلال : بالكسر المصدر والزلال  
بالفتح الاسم .  
والوسواس : بالكسر المصدر والوسواس  
بالفتح الاسم .

( اللسان )

\*\*\*

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى  
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم  
( المتنبي )

\*\*\*  
القصيدة الحرباوية : ( لأبي عمرو عثمان  
ابن عيسى البلطى النحوى )  
سميت كذلك لأنها تتلون كالحرباء :  
وحرّف رويها يكون مضموماً ثم مفتوحاً ثم  
ساكناً .

( فن الكامل : إذا حرك الروى فهو  
من الضرب السادس منه ، وإذا سكن فهو  
من الضرب السابع )

إني امرؤ لا يطأيدى  
فى الشادن الحسن القوام  
فارقت شيرة عيشتى  
إذ فارقتنى والغرام  
لا أستلذ : بقينة  
تشدو لى ولا غلام

ذو الحزن ليس يسره  
طيب الأغانى والمدام  
أسمى بدمع سافح  
فى الحد منسكب سجام

ألقى صروف الدهر مُصن  
طبراً وما حدى كسهم  
مارسهن ومارستى  
فى تصرفها الجسم  
وهى ثلاثة وثلاثون بيتاً ، أتى بما لم يسبق  
إليه ، وتحدى بها النحاة ؛

\*\*\*

القرآن والشعر :

أ - آية كاملة : كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية : ( العلق ١٥ )

قولوا لهذا ينته عن ذممه أصحابيه  
كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية  
ب - جزء من آية أو بتحويل بسيط

١ - إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير . ( فاطر ١٨ )

ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه  
٢ - ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً . ( الإنسان ١٤ )

ويقول أبونواس :

وفنية في مجلس وجوههم  
ريحانهم قد عدموا الثقيل  
دانية عليهم ظلالها  
وذلت قطوفها تذليلاً

٣ - يعملون له ما يشاء من محاريب  
وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . ( سبأ ١٣ )

وجفان كالجواب وقدور راسيات  
٤ - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين : ( التوبة ١٤ )

ويخزهم وينصركم عليهم  
ويشف صدور قوم مؤمنينا

\*\*\*

من أمثال العرب في الجناح :

١ - ركب فلان جناحي نعامة : جده

\* في الأمر واحتفل :

٢ - فلان في جناحي طائر : قلق وهش .

٣ - ركب فلان جناحي طائر : فارق وطنه .

٤ - نحن على جناح سفر : نريد السفر .

٥ - فلان في جناح فلان : في ذراه وكنفه . ( اللسان )

\*\*\*

يقول المبرد :

عجيب أمر الإنسان ، إن سئح له الرجاء  
أذله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه  
الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ،  
وإن أفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن نالته فاقة  
فضحجه الجزع . فكل تقصير به مضر ، وكل  
إفراط له مفسد .

\*\*\*

قال زجل للرشيد : إني أريد أن أعظك  
وإغليظة لك القول . فقال له الرشيد :  
ليس ذلك لك .

لقد بعث الله من هو خير منك إلى من  
هو شر مني ، فأمره أن يقول له قولاً ليناً .  
يشير إلى قوله تعالى لموسى وهارون : « اذها  
إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولاً ليناً  
لعله يتذكر أو يخشى » .

\*\*\*

يقول الإمام مالك :  
« من ترك قولاً : « لا أدري » أصيبت مقاتله

\*\*\*

قال ابن عباس :

أرجى آية في كتاب الله تعالى : « وإن  
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » .

**أحمد عمار**  
نائب رئيس المجمع

# تطويع التكنولوجيا لاسترداد جمال الكتابة العربية

لأستاذ الهندس صلاح عامر

سياسة تقليص عدد حروف الكتابة العربية :  
لقد درج الكثيرون من أهل العربية على  
اتباع سياسة تقليص عدد الحروف العربية -  
في سبيل تطويع الكتابة العربية لإمكانيات آلات  
الطباعة ، وخاصة الآلات الكاتبة السلوكية  
واللاسلكية وفي الآلات الحاسبة ، وفي كل  
ما يستدعي الكتابة الآلية غير اليدوية .  
وسارت سياسة التقليص في خطتها مع أعلى  
المخافل الرسمية بل لقد تبناها مجمع اللغة العربية ،  
دهراً طويلاً فأنشأ لجنة تيسير الكتابة العربية :  
ولقد انتهت دراسات هذه اللجنة بحمد الله

عند حد من التقليص للحروف العربية لا يزال  
يرعى حرمة الكتابة العربية ونرجو ألا يتفاقم  
الأمر ويتراعى إلى المدى الذي وصلت إليه  
سياسة التقليص في جهات رسمية أخرى مثل  
ما هو جار في إطار معهد لبحوث التعريب  
في الرباط .

وساكتفي بثلاثة أمثلة تبين آثار خطة التقليص  
على جمال الكتابة العربية مبرزاً ذلك بين أنماط  
ثلاثة أولها الكتابة المتبعة في طباعة الأحاديث  
النبوية ثم أردفها بمثلين لمحاولات التقليص بين  
مصر والرباط :

## رُحَيْدِيَةُ الرَّبِيعِ وَالشَّلَاثُونَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ،  
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ،  
وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

( ١ ) طباعة المائبة ترمي الى حذم جمال الخط العربي .

\* ورأت اللجنة أن تستفيد من حروف المطبعة الأميرية  
في فنمها الخطى الذى يعتبر مثلاً عالياً للكتابة العربية - فرأت  
أن تتخذ منها الحروف التى لم يدخل عليها تعديل ، وأن تتجود  
الحروف المعدلة بحيث تسائر فى جودتها وحجمها ما لم يعدل ،  
وبحيت تبدو الحروف فى جملمتها على نسق واحد .

على أن هذه المزوجة بين الحروف المستبقاة والحروف المعدلة  
ربما حات دون التناسق المنشود على الوجه الأكمل . ولعل  
التنفيذ العملى للطريقة على نطاق واسع يقتضى كتابة الحروف  
كلها بقلم واحد ، وذلك ما رثى تأجيل البت فيه .

٢- نموذج لما قرره أخيراً لجنة تيسير الكتابة العربية ، ولقد بدأ استخدامه وهو كما قلت  
لا يزال الحد الأدنى من أصول الكتابة العربية .

ASV-CODAR/TT N2/77

ASV-CODAR



## Text typeset in naskhi 2 typeface

without vowels

تشد الرحاك وقت الحج فيقضي الحجاج بجوار المسجد زمناً  
يؤدون به الصلاة فإذا قدر لك أن تذهب إلى هذا المسجد  
لراعى أن يجمع الألف المؤلفة مجمع العبادة حيث يقفون  
جميعاً خاشعين أمام الله

أقبل العرب على فتح الشام واثقين من النصر

الماس نفيس

٣- نموذج لمرحلة تقليص الحروف العربية فى الرباط ، وتوجد ثلاث مراحل أخرى أدنى وأوغل فى التقليص

## آلة الطباعة أو الكتابة وأثرها على الخط العربي :

حقيقة لقد عانت كتابة الخط العربي الصحيح من قصور آلات الطباعة ، خصوصاً الآلات الكاتبة البرقية ، أو آلات تسجيل البيانات أو إدخالها في العمول الإلكترونية ، فلقد قصرت دون أداء هذه الكتابة صحيحة في أبسط الصور مثل الخط الرقعة أو النسخ ؛ فلقد بدأ التصميم الأساسي لهذه الآلات مما يوفى احتياجات الحروف الإفرنجية ، واحتياجات الحروف الإفرنجية لا تستدعي نوعية من الحروف الصغيرة والأخرى الكبيرة . أما بالنسبة للحروف العربية فالأمر أكثر من ذلك بكثير ، فإن الحرف الواحد قد يحتاج إلى أربعة أشكال فيتغير شكل الحرف بحسب موقعه في الكلمة ، سواء أكان في البداية أو في الوسط أو في آخر الكلمة وكذلك فإن الحرف قد يأخذ شكلاً رابعاً عندما يكون منفرداً ؛ ولهذا فقد كان استخدام آلات الكتابة البرقية الإفرنجية والمعدلة إلى العربية مؤدياً إلى اقتضاب في كتابة الخط العربي وذلك مثل استخدام شكل الحرف الوسط مستعار من أحد أشكاله الأخرى وغيرها من التسويات التي قضت على جمال الخط العربي . فإن من يتابع كتابة الخط العربي ، وتقدمها يلمس كيف أنها قد وصلت إلى مستوى جعلها أساس فنون الزخرفة العربية كما تعددت أشكال الخط العربي ولكل منها روعته وجماله .

وكان كتاب هذا الخط من كبار الفنانين المرموقين ولقد قضى استخدام آلات الكتابة الإفرنجية لكتابة الخط العربي إلى زوال هذا الجمال ، بل لقد حرف هذا الأسلوب المستعار للكتابة العربية الكثير من قواعد اللغة العربية ، فإن من أبرز قواعد اللغة العربية التشكيل وهذا التشكيل للحروف عماد النطق العربي الصحيح وله دلالات في المعنى تتغير عند فقدانه ؛

ولقد بذلت محاولات كثيرة لإخضاع اللغة العربية للقصور التكنولوجي في تصميم هذه الآلات ، حتى لقد وصل الأمر إلى أن نادى البعض باستخدام الحروف العربية المنفصلة في الكتابة ، بل لقد لجأت تركيا إلى استخدام الحروف الإفرنجية لكتابة الكلمات العربية ويالهول هذا المسخ . إنه لولا المصحف الشريف وما حباه الله به سبحانه وتعالى من الحفظ لذهبت الكتابة العربية إلى وادي النسيان ، بل إنه لولا زخارف المساجد التاريخية وما يزين جدرانها من كتابة الآيات القرآنية بالخط العربي الجميل انقذنا ذلك المستوى الرفيع الذي نفخر به للخط العربي . إن كتابة المصحف الشريف هي الحصن الذي حفظ الكتابة العربية أهد الآبدن . فلقد وفق الله أهل السلف من علماء المسلمين بما عرف عنهم من دقة وتحري للحق أن يكون طبع المصحف الشريف مصوراً من أصول مكتوبة باليد وفق الخط العربي الأصيل ، وهكذا أدى المصحف دوراً يعتمد على أنه كتاب كل مسلم دوراً

## الاتجاهات المختلفة الحالية للكتابة الآلية باللغة العربية :

الأول - كما قلنا سابقاً ينحصر في إعداد آلة كتابة سواء في جانب أزرار انطباعة أو في ناحية الحروف بما يعادل كافة الأشكال المختلفة للحرف الواحد وعندئذ يكون عدد المفاتيح والحروف حوالي ١١٠ بالإضافة إلى علامات التشكيل ، ولو تأملنا سرعة الكتابة الآلية الجديد والتي تعتمد على تمييز الطباع للشكل الواحد للحرف الواحد والذي يناسب موقعه في الكلمة لوجدنا أن هذه السرعة ستكون بطيئة جداً مقارنة بالسرعة على الآلة الإفرنجية والتي لا تتجاوز أزرار الكتابة فيها الخمسين .

الثاني - الاتجاه الثاني كما أسلفنا هو ذلك العدوان الذي وقع على كتابة الخط العربي بتقليص عدد الحروف مما يتيح كتابة عربية غير مألوفة وغير مقبولة أو هو استخدام الحروف المتقطعة وأسوأ من ذلك استخدام الحروف اللاتينية لكتابة العربية الأمر الذي حدث في تركيا والذي مازالت مختلف الجهود تبذل للتخلص من أضراره .

أما الاتجاه الأمثل فهو الذي يجب أن يحقق احتياجات كتابة الخط العربي بقواعده السليمة كما يجب أن يحقق احتياجات السرعة اللازمة للكتابة الآلية أو بما يتيح كتابة آلية بسرعة تعادل السرعة المتحققة للكتابة الإفرنجية . ومثل هذا لا يتأتى كما سبق أن أوضحنا بزيادة الأزرار المقابلة لكامل أشكال الحروف العربية إلى ١١٠ غير علامات

مباركاً في أن ألف المسلمون وتعودوا رغم عوامل الزحف التكنولوجي المعادي لشكل الخط العربي الأصيل .

لا أريد أن أتجاوز حدود هذه المحسوسات إلى ما يقوله منصفون كبار من أن شكل الحروف العربية له أداء من ناحية الشكل لا يقتصر على النطق الصوتي أو تكوين الكلمات المركبة بل إن له أسراراً يعرفونها ودليلهم على ذلك أوائل سور القرآن المعروفة بحروف النور .

لا أريد أن أزيد في هذه المقدمة التي تؤدي إلى نتيجة هي الهدف من هذا البحث وهو أنه لا بد أن نغير من اعتبارنا لأهمية الكتابة العربية ، ولا بد من أن نرد للخط العربي الصحيح اعتباره كأداة للنطق العربي مبرزاً للمعاني السليمة للغة العربية وهذا يعني :

أن نطوع التكنولوجيا لهذا الاعتبار ، وهذا يعني أن تكون آلات الكتابة وعلى الأخص البرقية أو اللازمة للعقول الالكترونية ذات سعة لا تقل عن كتابة أشكال مختلفة لعدد حروف اللغة العربية الثمانية والعشرين بكافة أشكالها وكذلك بإضافة علامات التشكيل إلى إمكانيات هذه الآلات لوضعها على الحروف كلما لزم ذلك ويعني هذا أن تكون سعة البرقة مثلاً نحو ١١٠ حرفاً بالإضافة إلى علامات التشكيل :

التشكيل : أى أن احتياجات الكتابة الآلية السريعة تفسر باختزال عدد الأزوار إلى ما يعادل نفس عدد الأزوار المستخدمة في آلة الكتابة الإفرنجية على الأكثر أى ما يعادل نحو الخمسين :

وإذا كان لا بد من الجمع بين الشرطين ، وهو الكتابة الخطية المتعددة الأشكال أى أربعة أشكال تقريباً للحرف الواحد مع استمرار تحقيق ذلك باستخدام زر واحد للكتابة . وتحقيق ذلك هو ما سنحاول الكلام عنه فيما يلي :

#### استخدام ذاكرة الكترونية للتمييز الدال على موقع الحرف :

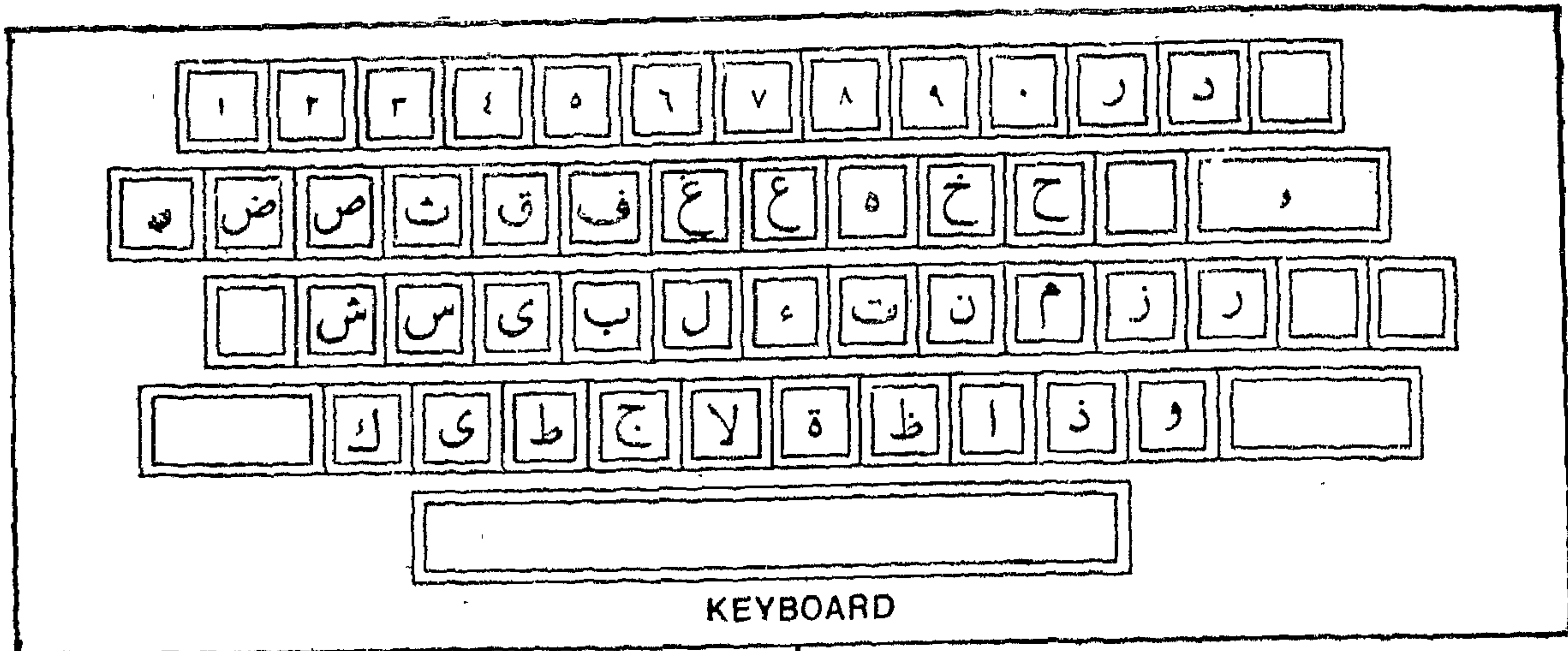
لقد قام بحث لتحقيق ذلك المنال في جامعة مونتريال بكندا ، وسار البحث شوطاً بعيداً إلى الحد الذى أمكن فيه إنتاج نموذج لآلة كتابة عربية ، أو فارسية ، يقتصر عدد أزوار كتابة كافة أشكال الحروف العربية فيه على العدد الأصلى الأساسى للحروف وهو ٢٨ حرفاً رغم أنها تطبع الكلمات العربية

بالخط العربى الصحيح ، فبدلاً من أن يكون الاتصال ميكانيكياً بين الأزوار وخزانة الحروف بواسطة روافع تدق شكلاً واحداً للحرف فإن الاختراع يعتمد على ذاكرة الكترونية تتصل بالأزوار كهربائياً وماتقوم به هذه الذاكرة يتعادل تماماً مع الطريقة التى يميز بها عقل الإنسان عندما يكتب بيده كلمة عربية فإنه يدرك بتصوره قبل الكتابة موقع كل حرف فى الكلمة التى يكتبها ، ويكتبه بالشكل المناسب . وبالمثل فإن الذاكرة الالكترونية لا تعطى تعليماتها لخزانة الحروف الطابعة لكتابة أى حرف فى الكلمة إلا بعد تبين مدرك لموقعه أى هل هو فى الأول أو فى الوسط أو النهاية أو هو منفصل ، وهذا لا يحتاج إلا إلى تأخير طبع الحرف إلى ما بعد الضغط على زر الحرف الذى يليه ، فتدرك الذاكرة الالكترونية شكل الحرف المطلوب طبعه وتعطى تعليماتها إلى خزانة الطابعة بما يودى إلى تحقيق ذلك :

ولنعط مثالا واضحاً لكتابة كلمة «محمد»

الأزوار التى يضغط عليها	عمل الذاكرة المميزة	خزانة الطابعة
الميم الأساسية الحاء الأساسية	تحفظ علامة الميم تحفظ الحاء ، وتعطى تعليمات للذاكرة مميزة شكل الميم الأولى	لا تطبع تطبع ميم أول حرف متصل
الميم الأساسية الدال الأساسية	تحفظ الميم ، وتعطى تعليمات مقررة حاء فى الوسط تحفظ الدال وتعطى تعليمات مقررة لميم وسط بعد فترة زمنية مدتها حرف تقرر دالاً نهائية	تطبع حاء بخط شكل الوسط تطبع ميماً متصلة فى الوسط تطبع دالاً فى نهاية الكلمة





## لوحة المفاتيح ٢٨ حرفاً

دارة التمييز  
الإلكترونية

الطباعة الفعلية  
باستخدام  
٩٦ شكلاً للحروف

النتيجة كتابة عربية  
سليمة

## شكل توضيحي لألة الكتابة العربية السليمة

يبين الشكل المرفق وهو المقدم من مجموعة صناعية أمريكية قامت بدراسة تطبيق التصميم المخترع بواسطة أساتذة جامعة مونتريال ومن الشكل يتبين :

١ - أن لوحة أزرار الحروف بسيطة لا تحتوي إلا على الشكل الأساسي للحرف العربي المنفصل وكذلك الأرقام ؛ وهذا الاختصار له دور أساسي في أن تكون سرعة الكتابة عالية ومعادلة على الأقل لسرعة الآلة الكاتبة الإفرنجية .

٢ - إن تحريك الخزانة الخاصة بالحروف العربية يتم باتصال كهربائي من أزرار لوحة ضغط الحروف ويبدأ بدوائر . إحداهما دائرة « إجراء كهربائي » للحرف عليها « ذاكرة » ثم تتفرع منها دوائر كهربائية ميكانيكية خاصة بتنفيذ التعليقات المتعلقة بطباعة الحرف أو الرقم المطلوب بالشكل المناسب :

٣ - من نتائج هذا النظام أن يستخدم في لوحة الأزرار عدد ٣٣ زرراً ويبقى من عدد ٥٢ زرراً في اللوحة الإفرنجية عدد وافر من الأزرار لاستخدامها في عملية كتابة التشكيل على الحروف العربية إذا أريد ذلك !

**بعض آثار الانفتاح التكنولوجي على الكتابة العربية :**

لا أقصد فيما أقول عن الطريقة المثلى للكتابة الآلية للخط العربي الصحيح أن أنسب

لنفسى أى فضل فيما تم من بحوث بل لست إلا ناقلاً للقدر الذى درسته من هذه البحوث فى لقاءات تمت فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع بعض أصحاب هذه البحوث . والحقيقة أن المنهج الذى اتبعوه فى تطوير الآلة الكاتبة والمبرقة العربية ، هو نفسه ما يدور بخلد الكاتب للخط العربى بيده ، فإنه لا يعطى الحرف العربى شكله المناسب إلا بعد أن يميز موقعه فى الكلمة ، وهو ما تقوم به وحدة التمييز الالكترونى فى الآلة الكاتبة المبتكرة . ونتائج هذا الابتكار أن أصبح الكاتب لا يلمس إلا الحروف الأساسية للغة العربية وهو ما يعنى فى حالة إرسال رسالة بالمبرقة أن يكتب بشفرة مختصرة هى الشفرة اللازمة لثمانية وعشرين حرفاً فقط ، أما كتابة الشكل المناسب للحرف فيتم عند نهاية الاستقبال بواسطة وحدة التمييز الالكترونى والتي تعطى تعليمات صحيحة عن شكل الحرف إلى خزانة حروف الطباعة حيث يطبع هذا الحرف بالدق على صفحة ورق الكتابة .

وإن نتائج اختصار الشفرة ، والتي هى عبارة عن سلسلة العلاقات الكهربائية المكونة من نقط وشرط ، أن زالت كافة العوائق التي حالت دون استخدام اللغة العربية كأساس فى مختلف الأجهزة التكنولوجية الحديثة ، فلقد أصبح تخزين العقول الالكترونية بالمعاومات المعينة - سواء أكانت بيانات أو عمليات حسابية - ممكناً باللغة العربية ، بل يقرر علماء الحاسبات

دقة تمكن من استيفاء قواعد اللغة العربية في الجملة الواحدة وتلك عن طريق التمثيل الحسبى للغة العربية، أو بمعنى آخر قد اخترعوا ما يقوم بدور المصحح في الجرائد والمجلات .

### الخلاصة :

أنه لم تعد هناك مشكلة يمكن أن تفرض على المتكلمين والكتابين للغة العربية ، بأن يقبلوا أى نوع من الكتابة المشوهة بسبب التقصور التكنولوجى، أو أن يرضوا بالخطأ اللغوى لعدم وضع علامات التشكيل على الكلمات .

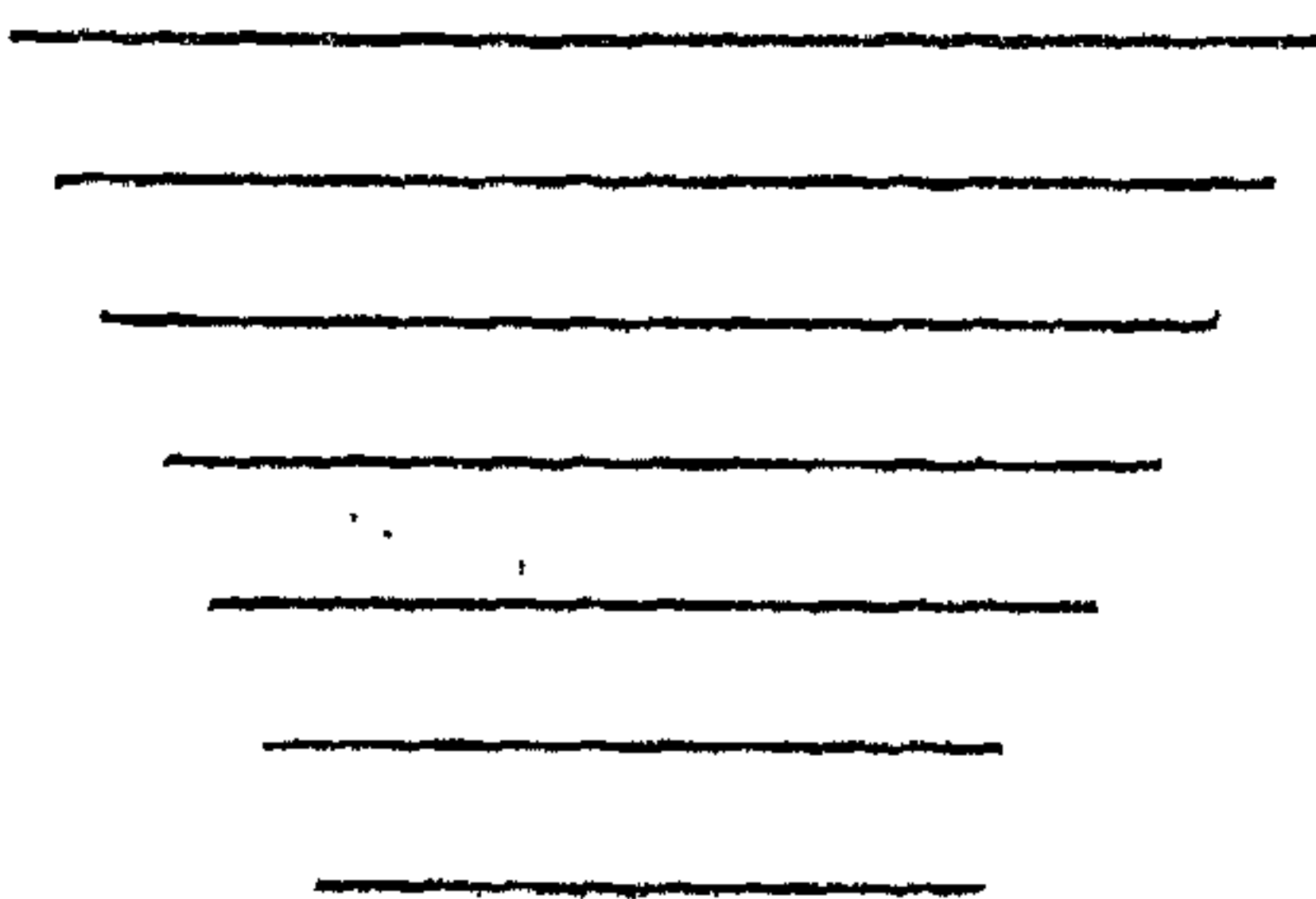
كذلك لم يعد هناك سبب يفرض على هيئات الاتصالات السلكية واللاسلكية بأن تضع اللغة العربية في زوايا النسيان ، لعدم صلاحيتها لتعدد أشكال حروفها إلى أن تكون واسطة الاتصال البرقى والتلكس بكافة أنواع أشكال الخط العربى والقراءة الصحيحة .

والله الموفق .

صلاح عامر .

الالكترونية أن اللغة العربية بطبيعتها يجرى فيها تركيب الجمل والتعبير عن المعانى والاشتقاق من مادة فعل واحد على طريقة التصريف المعروفة مما يخضع اللغة العربية للترجمة الحسبائية أكثر من غيرها . وتستطيع بذلك أن تحقق ما يحتاجه استخدام اللغة العربية في الحسابات الالكترونية من تخزينها أو استخراجها إما على شاشات الكتابة الفوسفورية أو بالتسجيل على الأشرطة الخاصة بها أو غيرها من وسائل التخزين . ووسيلة الإدخال بسيطة مختصرة، وطريقة لإخراج بالشكل المكتوب أو المرسوم على الشاشة قد أصبح على أحسن وجه .

كذلك قد توصل أولئك الباحثون في جامعة مونتريال إلى اختراع وحدات جديدة تعطى مزايا جديدة للآلات الكاتبة مثل استرجاع ما تمت كتابته بقصد التصحيح . وذلك باستخدام ذاكرة الكترونية مبسطة في وحدات التمييز ، كذلك توصلوا إلى استخدام ذاكرة أكثر



# كتاب "السحر والشعر"

## للدكتور مصطفى الشكعة

إِنَّ

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن محمد بن

سعيد السلماني المشهور بالسان الدين الخطيب  
يعتبر هدية الثقافة العربية والإسلامية إلى  
الأندلس، كما يعتبر هدية الأندلس إلى  
الثقافة الإسلامية والأدب العربي بشكل  
عام.

وسيرة لسان الدين مسطورة على صفحات  
كتب الأدب والتاريخ. فقد كان رجل  
سياسة وحكم، ورجل علم وفكر وأدب  
يمارس الحكم بالنهار، ويتعاطى القراءة  
والتأليف بالليل، ولكثرة ما أنتج من علم  
وأدب لقب بذي العمرين فإن نتاج فكره  
وممارسته لحياته السياسية يصعب أن يتسع  
لهما عمر واحد، وكانت آفة الأرق التي  
أصيب بها لسان الدين هي التي وهبته  
العمر الثاني الذي منحه فرصة القراءة  
والتأليف.

ومؤلفات لسان الدين من الكثرة والنفاسة  
بمكان، فقد ألف ما يناهز ستين كتاباً في  
مختلف العلوم والفنون من أدب وتاريخ  
وتراجم ورحلات وبلدان وسياسة وطب  
وفقه وتصوف وعلم كلام واختيارات أدبية،  
كما كان كاتباً شاعراً وشاحاً.

ولسنا الآن في مجال سرد كتب لسان  
الدين وتقويمها؛ فإن ذلك بما يضيّق عنه  
مجالنا<sup>(١)</sup>، وإنما نحن نريد دراسة كتابه  
«السحر والشعر» الذي هو ضرب من  
ضروب الاختيارات الأدبية.

على أن «السحر والشعر» ليس الكتاب  
الوحيد الذي صنّفه لسان الدين في  
الاختيارات الشعرية، فإن له كتاباً آخر،  
ولكن في الموشحات المختارة أسماه «تجيش  
التوشيح»، وهو مطبوع في تونس والحصول  
عليه سهل ميسور. ولقد ترجم جيش<sup>١</sup>

(١) يراجع الفصل الذي كتبناه عن لسان الدين ومؤلفاته في كتابنا «مناهج التأليف عند العلماء العرب». . . طبع  
دار العلم للملايين.

التوشيح لستة عشر وشاحاً أندلسياً وأورد لهم مائة وخمسا وستين موشحة ، وأشهر هؤلاء الوشاحين هم ابن بتي التطيلي الضرير ، ابن الأبيض ، أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة .

وإن كتاب جيش التوشيح إذن واحد من كتب الاختيارات الشعرية ، ولكنه لموغل في التخصص ؛ لأن مؤلفه قصر مادته على الموشحات دون غيرها من فنون الشعر .

فإذا ما عدنا إلى الحديث عن كتاب « السحر والشعر » وجدناه مقصوراً على مقطوعات من فن القصيد دون فن التوشيح ، ووجدناه أيضاً يضم أسماء بعض من ذكرنا من الوشاحين الذين ضمهم « جيش التوشيح » ، ولكن من خلال مقطوعات شعرية أوردها لهم المؤلف ، وليس من خلال الموشحات .

#### كتب الاختارات الشعرية :

يرجع هذا الفن من التصنيف الأدبي إلى القرن الثاني الهجري فإن المفضل بن الضبي المتوفى سنة ١٧٥ هـ هو أول من طرق هذا اللون من التأليف ، بتصنيفه مختاراته التي عرفت باسم « المفضليات » ، ثم تلاه عبد الملك بن قريب الأصمعي

(١١٢٥ - ٢١٦ هـ) بمجموعة اختياراته التي عرفت باسم « الأصمعيات » والتي تشترك مع مجموعة المفضليات في كثير من النصوص ، ثم تلت هاتين المحاولتين محاولة ثالثة قام بها أبو زيد محمد بن أبي طالب القرشي أسماها « جمهرة أشعار العرب » ، وفيها عمد إلى جمع أشهر القصائد العربية تحت عناوين برافقة مثل المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمت . وهذا النمط من التصنيف يمثل تطوراً ملحوظاً في هذا الفن من الاختيارات الشعرية .

فلما جمع أبو تمام « حماسته » كانت بمثابة فتح جديد ونقطة واسعة في تصنيف الاختيارات بحيث سار من جاءوا بعده على نهجه ، وأطلقوا على اختياراتهم نفس العنوان الذي أطلقه أبو تمام على اختياراته والتسمية هنا من باب تسمية الكل باسم الجزء ، فليست كل اختيارات أبي تمام مما يقع تحت باب الحماسة ، وإنما موضوعات حماسية على النحو التالي : الحماسة ، المراثي ، الأدب ، النسيب ، الهجاء ، الأضياف ، المديح ، السير والنعاس ، الصفات ، الملح ، مذمة النساء .

وبعد ألى تمام ظهرت حماسات كثيرة رسمت على منواله على الأكثر، واختلفت عنه فى الاقل، وإن عمد بعضها إلى مزيد من التفصيل ووفرة من النصوص، وأشهر هذه «الحماسات» حماسة الباحثرى وحماسة الخالدين وتعرف أيضاً بالأشباه والنظائر، والحماسة الشجرية والحماسة المغربية ليوسف البياسى الأندلسى المتوفى ٦٥٢ هـ، والحماسة البصرية لصدر الدين أبى الفرج بن الحسين البصرى المتوفى ٦٤٧ هـ.

فالحماسات أو الاختيارات الشعرية كما رأينا كلها مشرقية باستثناء الحماسة المغربية، وحماسة أخرى لم تصل إلينا حتى الآن؛ هى حماسة الأعم الشنتمرى، وهنا يكمن السر العظيم فى أهمية مختارات لسان الدين «السحر والشعر» لأنها صدرت فى فترة زمنية مناسبة، وتعتبر حلقة نفيسة تكمل السلسلة المتتابعة لظهور كتب الحماسات والاختيارات.

#### نسخ الكتاب :

هناك عديد من النسخ الخطية متناثرة فى المكتبات شرقاً وغرباً وأكثرها مما يصعب قراءته، على أن أفضل النسخ التى يمكن

الاعتماد عليها بحيث من يمكن خلالها تحقيق الكتاب وإخراجه هى النسخ الآتية :

١- نسخة الأسكوريال المقيدة تحت رقم ٥٦٤

٢- نسخة المكتبة الملكية فى الرباط المقيدة تحت رقم ١٢٩٥

٣- نسخة المكتبة الوطنية فى تونس المقيدة تحت رقم ٢٢٩٨

ولقد اعتمدنا فى هذه الدراسة على نسخة مصورة من نسخة الأسكوريال أطلعنا عليها تلميذنا قدور إبراهيم عمار ابن محمد الذى بذل مجهوداً مشكوراً فى تحقيق الكتاب ونال به درجة الماجستير من جامعة عين شمس، والنسخة مكتوبة بخط مغربى جمع بين الوضوح والجودة.

#### تعليل عنوان الكتاب :

إن لسان الدين أطلق على كتابه عنوان «السحر والشعر»، وقد عمد إلى ذلك عمداً حين علل مذهبه هذا فى مقدمة كتابه، والحق أن الأمر أيسر من أن يشغل لسان الدين، فيجعل من عنوان كتابه ما يوحى إلى القارىء العابر أن فيه مادة يمكن أن

تكون سحرًا، ومادة أخرى أساها شعراً،  
والأمر في حقيقة مفهوم لسان الدين أن  
السحر هو ذلك الشعر المجود المحلق الذي  
يهز النفس وينفذ إلى أعماقها، ويستولى  
على مجامع الإعجاب ويخلب الجوانح  
والأعطاف، وما كان دون هذا المستوى  
فهو الشعر، فالمسألة في حقيقتها وجوهرها  
تكمُن في المدى الرفيع الذي استطاع الشاعر  
أن يصيبه من خلال فن القول بكاراة فكرة  
ورقة صياغة وقدرة إبداع وعمق إثارة  
بإبراعة تناول، فإن أصاب الشاعر هذه  
الأغراض مجتمعة فجماع قوله سحر،  
وإن قصر عن واحدة منها فحصيلته قوله  
شعر. ولا بأس أعلينا من أن نستعرض  
قول لسان الدين في هذا السبيل:

« ولما كان السحر قوة ظهرت في  
النفوس أفعالها، واختلفت بحسب الوارد  
أحوالها، فترى في صورتها الحقيقية خيالها  
وتبدى في هيئة الواجب محالها، وكان  
الشعر يملك مقادتها، ويغلب عاداتها، وينقل  
هيئتها، ويسهل بعد الاستصعاب خبيثتها  
ويحمل في قده، على الشيء وضده، حتى

يفطن لهذا المعنى، من يُعنى في سر الكلام  
بما يُعنى فقال:

في منطق القول تزيين لباطله  
والحق قد يعتريه سوء تعبير  
تقول هذا مجاج النحل تمدحه  
وإن ذممت ققل: قىء الزنابير  
مدح وذم وعين الشيء واحدة  
إن البيان يرى الظلماء كالنور

إذا حضر ما يناسبه، وتقضى إليه  
مذاهبه، وقرنت به الألحان على اختلاف  
حالاتها، وما تقتضيه قوى استحالتها،  
عظم الأثر، وظهرت العبر، فشجع وأقدم،  
وسهر ونوم، وحبب السخاء إلى النفس  
ونبى، وأضحك حتى ألهى، وأحزن وأبكى  
وكثير من ذلك يُحكى، وهذه قوى  
سحرية، ومعان بالإضافة إلى السحر  
حرية، فمن الواجب أن يسمى الصنف  
من الشعر الذي يخلب النفوس ويستفزها،  
ريثنى الأعطاف ويهزها، باسم السحر الذي  
ظهرت عليه آثار طباعه، وتبين أنه نوع  
من أنواعه، ولهذا المعنى في قوله - صلى الله  
عليه وسلم - « إن من البيان لسحراً »  
تتوجه إشارة حرف التبويض، وإليه ينظر

بالطرف الغضبيض ، وما قصر<sup>١١</sup> عن هذه الغاية القاصية ، وازية المتصعبة على المدارك المتعاصية سعى شعراً تختلف أحواله عند الاعتبار ، وتميز شبهه من النضار . وينقسم<sup>١٢</sup> إلى أقسام : منها ما يلحظ عندما يلفظ ، لا يرى ولا يحفظ ، ومنها ما يعبث به ويسخر فلا يقتنى ولا يدخر ، ومنها ما يستخف ويستثقل ، فلا يروى<sup>١٣</sup> ولا ينقل ، ومنها ما اشتمل على لفظ فصيح ، ووصف صحيح ، وقافية وثيقة ، وإشارة من العبارة أنيقة ، واشتمل على الحكم والأمثال ، ومعظم الشعر على هذا المثال ، ولكل قسم بيت مذکور ، وشاهد مشهور ، فإذا قلت<sup>١٤</sup> بسحره فعلى هذه المقاصد المنوية ، وإذا قلت<sup>١٥</sup> شعره فالتخصيص والمزية<sup>١٦</sup> .

إن واقع الحال يشهد بأن لسان الدين قدم لنا طرفة أدبية بهذه المقدمة في أسلوب عذب موقع ، وألفاظ حلوة منتقاه ، وديباجة وضاعة مشرقة ، وأما الفكرة التي لحاول أن يجعل منها قضية أدبية<sup>١٧</sup> بوضع حدود واضحة بين السحر والشعر ، فما زالت غائمة غائبة ، ولعل<sup>١٨</sup> السحر الذي ذهب إليه هو مجرد الشعر المعجب المجود ، وحتى هذا اللون من الشعر تختلف فيه مقاييس<sup>١٩</sup> الناس ومعايير النقاد .

هذا وإن لسان الدين قد كفى قارئه - بل كفى نفسه - مؤونة الانشغال بالبحث عن الحدود التي تفصل بين ما هو سحر وما هو شعر حين قدم<sup>٢٠</sup> لباب الفخر بقوله : « ونمط هذا الباب يتنازع الكثير منه أسلوبا السحر والشعر » ثم يستطرد قائلا : « فليكن الخيار في نسبتته إلى الناظر فيه بحول الله » .

على أن لسان الدين يقدم بعض مختاراته بوصفها نمطاً من أنماط السحر وينص<sup>٢١</sup> على ذلك نصاً صريحاً .

مثال ذلك ما أورده لأبي الفرج بن الجوزي ، وقد ليم على اكتحاله يوم عاشوراء في قوله :

« ولا ثم لي على اكتحالي

يوم أراقوا دم الحسين  
فقلت : كفووا ، أحق شيء

فيه يلبس السواد عيني  
ويورد في مقام الغزل بيتي جرير  
المشهورين :

إذ العيون التي في طرفها حور  
قتلتنا ثم لم يُحيين قتلانا  
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به  
وهن أضعف خلق الله إنسانا



ويتمثل لسان الدين في مقام أنماط  
السحر، بنماذج لا تحصى من شعر الغزل،  
ولا ينسى نفسه أيضاً فيتمثل ببعض  
شعره:

وفي باب الوصف يتمثل بنماذج عديدة  
مختارة لشعراء من مختلف الأمصار  
الإسلامية فمن ذلك ما نسبه إلى ابن قلاقس  
الإسكندري:

بَلَدُ أَعَارَتُهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا

وَكَسَاهُ رِيَشُ جَنَاحِهِ الطَّائِفُوسُ

فَكَأَنَّمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ سُلَاقَةٌ

وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسُ

ويعتبر لسان الدين جميع مختاراته  
التي قدمها في باب الوصف من نمط السحر.

وفي باب الملح يتمثل ابن الخطيب

بمختارات كثيرة طريفة من ذلك الذي

يعتبره من نمط السحر كقول الشاعر:

ذَكَرْتُ لَهُ صَيْفًا فَظَنَّ بِأَنِّي

ذَكَرْتُ لَهُ صَيْفًا فَجَامَ إِلَى السَّيْفِ

فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنِّي

ذَكَرْتُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

وهكذا يختار لسان الدين نماذجه في

كتابه « السحر والشعر »، ويصنفها شعراً

أو سحراً حسب تقويمه الخاص لها، ذلك  
التقويم الذي قد يتفق معه فيه بعض  
النقاد، ويختلف معه فيه آخرون.

ومهما كان الأمر فإن مختارات لسان  
الدين تعتبر من عيون الشعراء العربى وهى  
ذليل واضح على ذوقه الرفيع واطلاعه  
الواسع.

### لسان الدين يجمع الكتاب :

إن لسان الدين، شأنه في ذلك شأن

كل عالم بفنه، يكتب مقدمة كتابه

ليوضح فيها منهجه ويذكر المناهل التي

بناها اقتبس مادة الكتاب وهى هنا عراقية

حجازية مصرية يمانية خراسانية إفريقية

أندلسية، ويسجل أنه انتقها بعناية

مستأنية وذوق رفيع فيقول في ذلك:

« فَإِنِّي لَمَّا قَبِضَ اللَّهُ مِنِّي لِلْآدَابِ مَجْلِيَّ

سَمَاتِهَا، وَنَاشَرَ رَمَمَهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا، وَصَاقِلَ

صَفْحَاتِهَا، وَقَدْ مَحَا مَحَاسِنَهَا الصَّدَا، عَلَى

بَيْتِ الْمَدَى بَعْدَ مَمَاتِهَا، وَمَوْضِعَ طَرِيقَتِهَا

الْمَثَلَى وَقَدْ أَضْحَتْ طَرَائِقُ مَدَدَا، وَالغَاشَى إِلَى

ضَوْءِ نَارِهَا لَعَلِّي أَجِدُ عَلَى النَّارِ هِدَى، بِذَاتِ

فِيهَا كُلِّ مَنْ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ مِنْ فَنُونِهَا الْمَغْرِبِيَّةِ عَلَى

فَنٍّ، فَجَعَلْتُ عَقَائِلَهَا تَتَزَاحَمُ عَلَيَّ تَزَاحِمَ

المزية والشفوف، وأولياؤها الكفاءة وشهودها  
الصفوف. . . . وأودعت منها المهارق<sup>(٣)</sup>  
كنوز نضار، لا يُحصى عليها بغير القريحة  
من نار، وصيرت المغرب الأقصى مشرق  
أنوار، لأحضر في المحاضرة عقودها،  
وأدفع عند الاقتضاء نقودها، وأنشر في  
كتائب البيان ومواكب أرباب اللسان  
بنودها، وعاقني عن إبدائها وإمالة ردائها  
مهم من النظر صرفت إليه ركابي، وشاغل  
إلى غير تلك الطبيعة حرابي» .

على أن السبب الأصيل في ظهور هذا  
الكتاب إلى الوجود بعد أن أخذ من مؤلفه  
فترة زمنية طويلة في الجمع والانتقاء هو  
أن ولده عبد الله قد نما عوده، وبلغ مبلغ  
الشباب، وأراد لسان الدين أن يثقفه  
ويؤدبه، فسارع إلى إخراج الكتاب، لكي  
يكون وسيلته إلى هذا الغرض، تماماً كما  
كان «المفضليات» وسيلة تأديب «المهدى»  
وتهذيبه .

إن لسان الدين يصوغ هذا المعنى في هذا  
السياق الأدبي المتميز : ❏ ❏  
« ولما طلع الآن الولد عبد الله - يسر  
الله نجاته، وعجل تليته لداعي الرشيد

المحور على ساكن جنان الحبور، فقيدت  
في شواردها بالكتاب ما لم تقله ذوات  
الأقتاب، وأتيت بيوتها من الأبواب،  
فكان ما قيدته من الغرر، واقتنيته من  
نوائس الدرر التي لو تجسدت للعيان  
لكانت ياقوتاً، أو استطعمت لكانت  
للقلوب قوتاً، ولو ورد في الخبر المنقول،  
الأمر بحفظ القرائح والعقول، لكانت  
كتاباً موقوتاً . فمن كل عراقية المنتسبة  
مترددة بين الرصافة ومحراب الدمى<sup>(١)</sup>،  
ماء الرافدين على أعطافها يسيل، وسر من  
رأى ما انجلي عنه نهدا الأسيل، وشامية  
تقلب بين الجابية والبلاط<sup>(٢)</sup> أي متقلب،  
وبقية مما ترك آل حمدان في حلب،  
وحجازية أوى لها في الفصاحة الزند،  
أو تضيع في آفاقها الشيخ والرند، ويمانية  
تعلمت وثى برودها، وخراسانية غار  
سيحان ببرودها، ومصرية ضرب على  
محاسنها الفسطاط، وهاجرت بسببها  
الانباط، وسكنت مدينة الإسكندرية  
حيث الرباط، وإفريقية تفرق النفوس  
لتوقع فراقها، وتغار الشموس عند إشراقها،  
وغربية حطت لها العضم، وطلعت آياتها  
في المغرب فبهت الخصم، وأندلسية لها

(١) محراب الدمى باحة في أحد قصور صنعاء .

(٢) الجابية والبلاط قرستان من أعمال دمشق ونابلس .

(٣) المهارق : الصحائف .

وإجابته <sup>١</sup> اغتنمت له فرصة العمر عند  
إمكانها ، واهتمت غرة الدنيا المتقلبة  
بمكائنها ، وأعددت له العتاد الذي يجده ،  
واستدعيت له المدد الذي ينجده ، واستخرت  
له من شيوخ وقته من أغضى عنه جمامته ،  
واتصلت به أيامه ، وله قصائد في الوصايا  
والمبادئ يستقبل مع التوفيق دروسها ،  
ويجنى مع السعادة غرسها ، وظهر لي أن أيسر  
له الآن مجموع هذه الأناشيد ليحاضه  
بها ويتمثل ، ويتأسس البيان بذكرها  
لديه ويتأمل ، في رقاع تزهو بالقلائد ،  
وتجعل توائم على نجور الولايد ، على  
ترتيب معلوم ، ووصف مرسوم ، كالمدح  
وما يناسبه ، والنسيب وما يناسبه ، والوصف  
وإن تشعبت مذاهبه ، والملح ومنها محاسن  
الشيء ومعانيه والحكم والزهد وما اشتمل  
عليه واجبه ، مما تمامه نُسك ، وختامه وسك ،  
ليكون أجمع للفكر ، وأسهل للذكر .

إن المقدمة — كما رأينا — مكتوبة  
بأسلوب مشرق ، ونهج موقع ، وقد أوضح  
لسان الدين أنه تأنق في اختيار مادة كتابه  
الشعرية ، وأخذ من كل غرض بسبب  
فاختار روائع المديح والنسيب والوصف  
والملاحم والحكم والزهد .

وهي أبواب أجاد الشعراء معالجتها  
على مر الزمان مهما اختلف المكان وتباينت  
الأوطان .

ولا شك في أن هذه الاختيارات قد أخذت  
من المؤلف زماناً طويلاً ربما كان الجزء الأكبر  
من عمره ، كلما قرأ نصاً شعرياً أعجبه

سجله واحتفظ به في بابه حتى إذا تجمع  
له من النصوص الجيدة ما يصلح لأن يشكل  
كتاباً سارع إلى النهوض بهذا العبء وكان  
الدافع الأكبر إلى ذلك هو أن ولده عبد الله  
قد بلغ مبلغ اليقاع ، وصار في حاجة إلى  
التثقيف والتأديب ، فكان أن وضع لسان  
الدين مختاراته تلك في صورتها التي بين  
يدينا ، وجعل منها واحداً من المصادر التي  
تنهض سبباً لتثقيف عبد الله وتعليمه ،  
وهو في هذا السبيل يختلف مع أبي تمام  
في « حماسته » ذلك أن أبا تمام جمع مادة  
« الحماسة » في زمن قصير حين حبه  
الثلج عن السفر واضطر إلى الإقامة في  
همدان ضيفاً على صديقة أبي الوفاء بن  
سلمة حتى يذوب الثلج ، وتيسر أسباب  
السفر ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق  
بلسان الدين الذي جمع مادة كتابه متأنقاً  
مستأنياً خلال عديد من السنين .

منهج الكتاب :

يقع كتاب « السحر والشعر » في جزئين يضمهما مجلد واحد كبير أو في جزء أصيل وملحق ، تسبقهما مقدمة أنيقة الأسلوب تتناول مبحث السحر والشعر حسب أسلفنا القول .

ومجموع المقطوعات التي يضمها الأصل والملحق ألف وسبع وخمسون مقطوعة ، يضم الأصل سبعمئة وخمسة وأربعين منها ويضم الملحق ثلاثمئة واثنى عشرة . أما أبواب الكتاب فهي المدح ثم الفخر ثم الرثاء ثم النسب ثم الوصف ثم الملح ثم الحكم والجد .

وأكثر الأبواب عدد مقطوعات هو النسب ويضم مائتين وأربعاً وأربعين مقطوعة ، يليه باب الوصف ويضم مائتين وسبعاً وعشرين ، يليه باب الملح ويضم مائة مقطوعة وثلاث . أما بقية الأبواب فيضم كل منها عدداً من المقطوعات يقل كثيراً عن المائة .

هذا فيما يتعلق بالأصل أو الجزء الأول ، وأما الجزء التالي أو الملحق فأكبر أبوابه هو أيضاً باب النسب الذي يضم مائة وأربعين مقطوعة ، وأما بقية الأبواب

فعدد المقطوعات في كل واحد منها دون الخمسين ، وأصغرها حجماً باب الحكم والجد الذي يضم عشرين مقطوعة .

أما المقطوعات نفسها فلا تزيد على أربعة أبيات وفي حالات قليلة تصل إلى خمسة ، ماعداً حالتى استثناء في مقطوعة خميرية لأبي نواس مطلعها :

ودار تدمى عطلوها وأدلاجوا  
بها أئس منهم جديد ودارس

فقد بلغت ثمانية أبيات ، ومقطوعة لأخرى لابن اللبابة في مدح المعتمد بن عباد بلغت أبياتها سبعة .

ولقد حرص لسان الدين - عن قصد منه - أن تكون مقطوعات كتابه مقسمة بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس قسمة تكاد تكون منصفة ، فإن كانت ثمة غلبة لفريق فهي للمشاركة ، ولكن بصورة لا تخل كثيراً بالميزان الذي تمثله المؤلف . بل إن المؤلف حرص على تمثيل العصور الزمنية والاصقاع المكانية مع إهمال كامل للعصر الجاهلي الذي لم يختر منه غير نص واحد لزهير ، ثم اختيار عدد قليل من النصوص لشعراء أمويين محدودين هم جرير وقيس

بني عامر وقيس بن ذريح ويزيد بن الطثرية ،  
وكلها في النسب ، ولعل لسان الدين فطن إلى  
أنه مما يخل بمنهج كتابه أن يخصص بابين  
طويلين - بل الحق أنهما أطول  
الأبواب في كل جزء - ولا يذكر شيئاً  
لشعراء النسب في أزهى عصور النسب  
بل لعله من العجب حقاً أن يخلو بابا النسب  
من نصوص استاذي هذا الفن وهما عمر  
ابن أبي ربيعة وجميل بن معمر .

ولنا أن نتساءل والأمر كذلك : هل  
ترك لسان الدين - عن قصد - النصوص  
الجاهلية والإسلامية والأموية لأن مصنف  
يكتب الاختيارات الشعرية والحماسات  
الذين سبقوه قد اختاروا من نصوص هذه  
الحقب ما يفي بحاجات الدارسين ؟ ربما  
كانت الإجابة بالإيجاب ؛ فقد صنع ذلك  
كل من أبي تمام والبحتري في حماستيهما ؛  
وأن ذلك من الذي وقر في خاطر لسان  
الدين ، إذ أنه ليس مما يتفق وذوق عالما  
الكبير أن تكون نظرتة لشعراء هذه العصور  
نظرة من يسئ الظن بهم وفيهم امرؤ  
القيس وليبد والنايعة وحسان والحطيئة  
وكعب بن زهير والأخطل والقطامي  
والفرزدق وذو الرمة والراعي والسيد

الحميري وابن ميادة وعدى بن الرقاع  
وغيرهم من نجوم الشعر وأعلامه .

فاذا ما تبعنا أسماء الشعراء بعد ذلك  
وجدنا نصوصاً لكل الشعراء المشهورين  
في عصر الباكورة العباسية من أمثال بشار  
وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية وديك  
الجن وأبي الشيص ودعبل والعتابي والعكوك  
وأبي تمام وعلي بن الجهم وابن المعتز  
وابن الرومي ، ثم يمضي ابن الخطيب مع بقية  
شعراء العراق في القرن الرابع الهجري  
فيختار مقطوعات لشاهيرهم من أمثال  
الشريف الرضي ومهيار الديلمي والسلامي  
وابن حجاج وابن سكرة الهاشمي وابن  
لنكك البصري وابن نباتة السعدي  
وقلة أخرى من شعراء العراق ، بل  
لعله يمضي مع الزمن ويختار من شعراء  
العراق العجمي من أمثال المأموني والأبيوردي  
في آخر القرن الخامس .

وإذا كان لسان الدين قد احتفل ببيتة بغداد  
ذلك الاحتفال الذي جعله يكثّر من الاختيار  
لهذه الكوكبة من شعرائها الذين ساف  
ذكرهم ، فإنه قد احتفل بشعراء بيتة  
أخرى مرمعة خصيبة هي بيتة حلب في ظل  
سيف الدولة الحمداني ، فقدم عدداً كبيراً

من مقطوعات شعراء الأمير، مثل أبي فراس  
والصنوبري والسري الرفاء وكشاجم ،  
والخالديين والأواء الدمشقي والناهي وأبي  
الفرج البيهقي والخياز البلدي ، وأخيراً  
المتنبي ، وإن كنا لاحظنا أنه لم يورد لشاعر  
العربية الكبير إلا عدداً قليلاً من المقطوعات  
لا يتفق ومكانته الكبيرة التي احتلها عن  
جدارة في مملكة سيف الدولة ، وفي سماء الشعر  
العربي . وما دام لسان الدين يصدد الاختيار  
من البيئة الحلبية فقد وجد نفسه دون  
أن يدري أمام عملاق معرة النعمان ، فاختار  
له بعض مقطوعات من شعره .

ولما كان لسان الدين كاتباً شاعراً يثدق  
نبرة الشعر الصادر عن الفكر قبل الجوانح  
فقد أعجب بفرائد صدرت عن الملكات  
الخصبة لكتاب العربية الكبار الذين كانت  
لهم مشاركة في الشعر فأورد كثيراً من  
المقطوعات لبديع الزمان وأبي بكر الخوارزمي  
والوزير المهلبى والصاحب إسماعيل بن عباد  
وأبي إسحاق الصابي والأمير قابوس بن  
وشمكير والبستي وسهل بن المرزبان وأبي  
العباس الميكالى وهذان الأخيران من أعيان  
مدينة نيسابور ، بل لعل كتاب يتيممة

الدهر للثعالبي كان أمام لسان الدين وهو  
يختار لبعض هؤلاء ، ومن الطريف أنه اختار  
للثعالبي نفسه مقطوعة أو مقطوعتين ،  
كما اختار مقطوعة للباخرزي صاحب  
الدمية التي تعتبر امتداداً لتيمة الدهر .

ولسان الدين عالم بالإضافة إلى كونه  
كاتباً شاعراً فشدته حنينه إلى العلماء ، ونظر  
في أشعار بعضهم فأعجبته فاختارها وضمنها  
دفتي كتابه ، فأورد مقطوعات شعرية لكل  
من الزمخشري وابن الجوزي وعبد الوهاب  
البغدادي والقاضي أبي الحسن الجرجاني  
ومجد الدين الأربيلي والخليل بن أحمد  
الفراهيدي وابن جبير الرحالة والقاضي  
عياض ، بل من الطريف أنه أتى بنص  
جميل لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

ولم ينس لسان الدين شعراء مصر ؛ فأورد  
مختارات كثيرة لعدد غير قليل منهم  
مثل الأمير تميم بن المعز - الذي جمع بين  
الصفيتين المغربية والمصرية - والبهاء  
زهير وصناجة الدوح شاعر الحاكم بأمر  
الله وابن الحداد وابن الساعاتي وابن  
قلاقس وابن سيد الناس وابن النبيه وابن  
أبي الأصمغ وابن مكنسة وابن وكيع

التنمى ، كما اختار نصوصاً لعمارة اليمنى  
الذى جمع بين الحياة فى مصر واليمن .  
هذا ما كان من أمر النصوص المشرقية ،  
فإذا التفتنا إلى النصوص الأندلسية بخاصة  
والغربية بعامة التى أوردنا المؤلف فى كتابه  
« السحر والشعر » وجدنا لسان الدين لم  
يكذب يترك شاعراً أندلسياً ناهياً إلا وقد  
عطر صفحات كتابه بمقطوعة له أو أكثر  
من أمثال المعتمد بن عباد وابن دراج  
القسطلى وابن زيدون وابن اللبانة وابن  
عمار وابن خفاجة وابن الرقاق والأعمى  
التطيلي وابن شهيد وابن بتي والرصاصي  
البلنسى وأمية بن عبد العزيز بن أبي  
الصلت واليكنى وابن زهر وابن سهل  
الإسرايلى وابن حمدى وابن صارة  
الشنترينى وابن خاتمة وابن الأبار وابن  
هانى وابن المرحل ، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون  
يجمعون بين الصفة المغربية والصفة الأندلسية  
وهناك أيضاً ابن زريق وصاعد البغدادي ،  
وهذان أيضاً يجمعان بين الصفة العراقية  
والصفة الأندلسية ؛ لأنهما نازحان من بغداد .  
ولم ينس لسان الدين أن يختار نصوصاً  
شعرية لبعض شيوخه إما إعجاباً بشعرهم  
أو وفاءً لهم ، وأغلب ظنى أن العاملين معاً

كاننا مسبباً فى هذا الاختيار فأورد نصوصاً  
لكل من أبى البركات بن الحاج وأبى جعفر  
ابن صفوان وأبى زكريا بن هذيل وأبى  
القاسم بن أبى العافية وأبى بكر بن شيرين .  
ومن شعراء إفريقية اختار لسان الدين  
مقطوعات لكل من ابن رشيق القيروانى  
وابن عبدون القيروانى وابن قاضى ميله  
وابن هانى ومالك بن المرحل ، وهذان الشاعران  
الأخيران قد مر ذكرهما عند الإشارة إلى  
شعراء الأندلس .

ونظر لسان الدين إلى صقلية وشعرائها  
فلم ينس أن يذكر نماذج طيبة لكل من  
ابن حمديس والأمير ثقة الدولة .

وإذا كان ثقة الدولة هذا الذى مر ذكره  
هو واحد من الأمراء ، فإن ذلك لفت نظرنا  
إلى أن لسان الدين قد احتفل بالعديد من  
الخلفاء والملوك والأمراء الشعراء فأورد  
لعدد منهم مختارات عذبة مثل  
الرشيد وعبد الله بن المعتز وقابوس  
ابن وشمكير وسيف الدولة الحمدانى وأبى  
فراس الحمدانى وأحمد بن كيغلغ وتميم  
ابن المعز وأسامة بن مثنى والناصر محمد  
ابن قلاوون فى المشرق ، والحكم المستنصر  
والمعتمد بن عباد فى الأندلس .

وعلى الرغم من كثرة النساء الشاعرات  
المجيدات في كل من المشرق والأندلس فقد  
لاحظنا أن لسان الدين لم يتمثل لواحدة منهن  
باستثناء شاعرة أندلسية هي -  
الشاعرة الرقيقة حمدة - أو حمدونة -  
بنت زياد الوادي آشي إذ أورد لها أكثر  
من مقطوعة ، ولا يزال تعجبنا من إهمال  
لسان الدين لشعر النساء قائماً ؛ ففي الأندلس  
شاعرات أخريات مجيدات مثل ولادة  
بنت المستكفي وأم الكرام بنت صمادح  
ومهجة بنت التيان وحفصة الركونية  
وكذلك تعج كتب الأدب بالكثير من  
تصوص الشاعرات المشرقيات المجيدات .

ولقد بدا لنا أن لسان كان يفضل  
بعض الشعراء ، ويقدمهم إذا كانت كثرة  
النصوص التي يختارها لشاعر بعينه تعتبر  
مقياساً لهذا التفضيل ، فإذا صح هذا  
الاستنتاج يكون الشعراء المفضلون لدى لسان  
الدين مرتبين على النحو التالي : ابن المعتز  
ثم لسان الدين نفسه ، ثم ابن نباتة  
السعدي ، ثم البهاء زهير ، ثم مالك بن  
المرحل ثم الرصافي البلسي .

ولمناسبة إيراد لسان الدين عدداً كبيراً  
من مقطوعات شعره تجدر بنا الإشارة

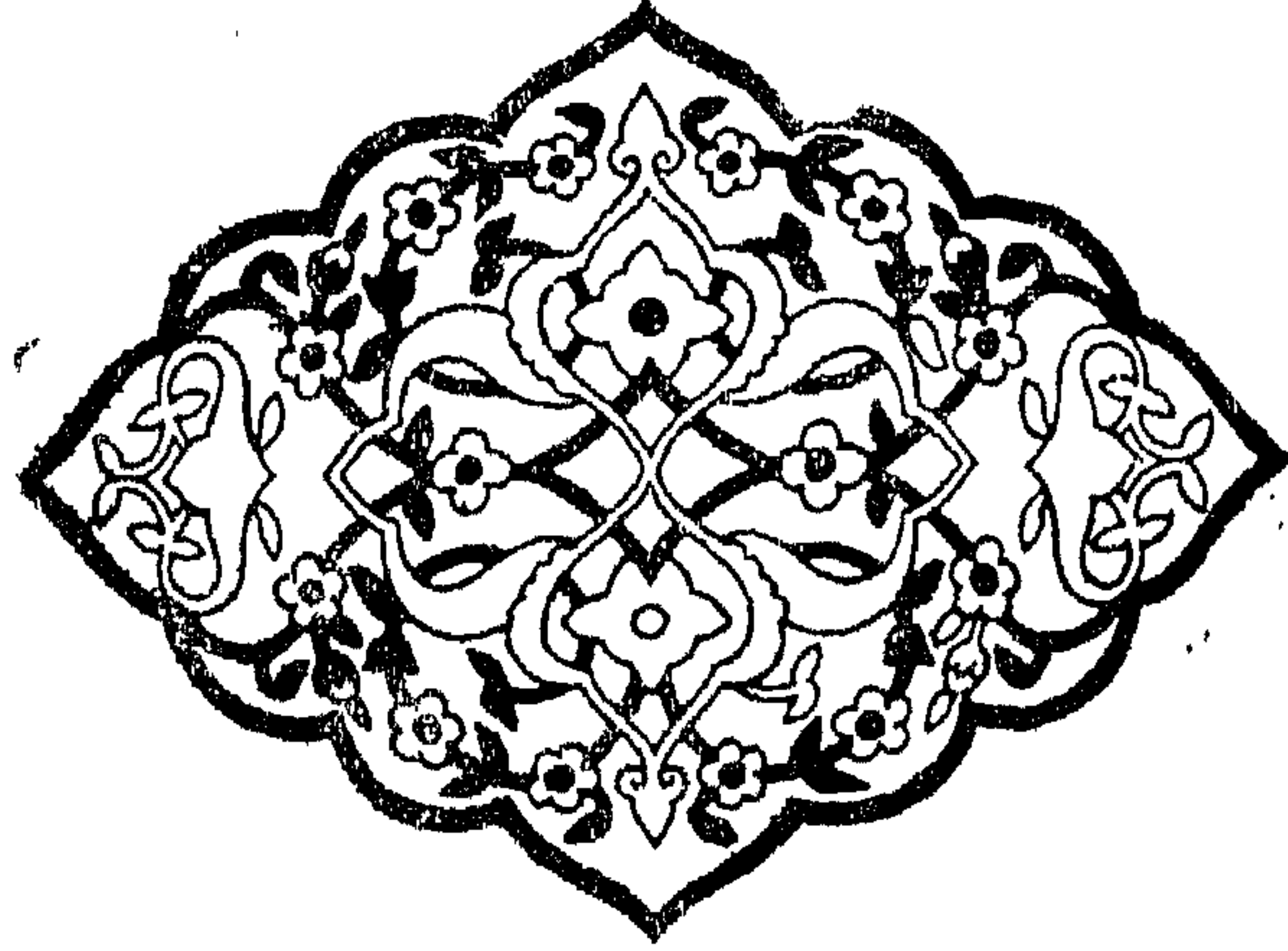
إلى أن أصحاب كتب الاختيارات والحماسات  
لم تجر العادة بأن يوردوا نماذج من أشعارهم  
في اختياراتهم لأن المكان المناسب لذلك  
هو دواوينهم وليس المصنفات التي ضمنوها ،  
مختاراتهم .

هذا وإن بالكتاب عدداً كبيراً من  
المقطوعات الشعرية الجميلة يصعب حصرها  
لكثرتها لم ينسبها المصنف إلى قائلها مما  
يجعلها غير مكتملة القيمة ، فقيمة الشيء  
مرتبطة بنسبه ، وليس من شك في أن  
لسان الدين لو بذل مزيداً من الجهد ونسب  
هذه المقطوعات إلى قائلها لكان قد زاد  
من قيمة هذا النصوص وأعلى من قدر  
قائلها .

بقيت ملاحظة أخيرة لعلها لا تتصل  
بالمنهج بقدر ما تتصل بالمحتوى والذوق  
العام ؛ وهي تتعلق بالنصوص الشعرية  
ذات العبارات النابية والألفاظ البذيئة  
وذكر العورات ، وهو ما يسمى بالأدب  
المكشوف ، وقد كان لسان الدين وقوراً  
رفيع القدر غير متهافت في حياته ولا منحرف  
وإذا كان لنا من تبرير - إن صح التبرير -  
فإن تقليده لمن سبقوه من أصحاب  
الاختيارات ، وبخاصة أبي تمام قد يكون



الدافع لذلك ، فإن حماسة أبي تمام مليئة  
بتأذج من هذا الشعر البديء المكشوف .  
ومهما كان الأمر فإن كتاب « السحر  
والشعر » للسان الدين ابن الخطيب يمثل  
حلقة ذهبية في سلسلة كتب الاختيارات  
الشعرية ، التي حفلت بتأذج فريدة من  
الشعر تذل على ذوق أدبي رفيع وإحساس  
شعري مرهف ، اتسم بهما الأديب الألمعي  
العالم السياسي الفيلسوف الطيب الشاعر  
الكاتب الوشاح الفقيه المؤرخ الجغرافي  
لسان الدين بن الخطيب .  
مصطفى الشكعة



# \* في القرآن والعربية : (٦) الصِّراع بين القُرَاءِ والنُّحَاةِ للدكتور أحمد علم الدين الجندى

كما حذفت النون من : اللذون - في  
قول أمية بن الأسكر الكثناني :  
قومي اللذو بعكاظ. طيروا شررا [١]  
من روم قومك ضربا بالمصاقيل (٤)

وقد حذفت النون من الذين ، واستشهد  
لها أبو العباس ثعلب بقول الحارث  
ابن وعدة :

فإن ظفر القوم الذي أنت فيهم  
فأبوأبفضل من سناء ومن غنم (٥)

واستشهد البغدادي بقول الشاعر :  
وإن الذي حانت بفلج دماؤهم  
هم القوم كل القوم يأأم خالد (٦)

(٢) الخزانة ٥٠٣/٢ التصريح ١٣٢/١

(٣) التصريح ١٣٢/١ ، حاشية عبادة على الشذور ١٥٧/١ ، ليس في كلام العرب ٦٤

(٥) مجالس ثعلب ٤٣٣/٢

(٦) انظر الجزء السابق من مجلة المجمع

رابعا : أشرنا في المقال السابق إلى مواقف  
النحاة من القراءات المعزوة إلى قبائل  
معينة تحت ظاهرة ( الكمية : الانتقاص  
والضعف (١) ) وتم الآن الحديث عن تلك  
الظاهرة :

\* \* \*

١- عزاء البغدادي حذف النون من  
الذين واللذون واللثان - إلى بني الحارث  
ابن كعب وبعض بني ربيعة ، واستشهد  
لها بقول الأخطل :

هما اللثا لو ولدت تميم  
لقبيل فخر لهم صميم (٢)

وما قاله الفرزدق :  
أبني كليب إن عمي اللذا  
قتلا الملوك وفككا الأغلالا (٣)

(١) ونقصد بها ضعف النطق بالصوت ونقصه

(٢) التصريح ١٣٢/١ ، حاشية عبادة على الشذور ١٥٧/١ ، ليس في كلام العرب ٦٤

(٣) خزانة الأدب ٥٠٣/٢

(٤) الخزانة ٥٠٧/٢ ، كتاب سبويه ٩٦/١

والبصريون كعادتهم قالوا<sup>(١)</sup> بأن هذا التفتير والحذف ضرورة، وهكذا كلما رأى البصريون شيئاً يخالف نظمهم وقواعدهم حكموا عليه بالضرورة، والضرورة مركب سهل عندهم، وعللوا هذا الحذف بأنه: تخفيف لاستطالة الموصول بالصلة<sup>(٢)</sup>.

أما الكوفيون، فالحذف عندهم: لغة - طالت الصلة أم لم تطل - حكاه عنهم ابن الشجري في أماليه<sup>(٣)</sup>.

والذي أراه أن هذه اللهجة عزيزت إلى بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة، فإذا كان الذي تكلم بها من هذه القبائل، فهي لهجته، فالبيت الأول للأخطل - وهو من تغلب وتغلب من ربيعة، والبيت الثاني الذي عزي للفرزدق - غير صحيح وقائله الأخطل أيضاً<sup>(٤)</sup> - لأن رواية الأخبار اتفقوا على أن عميه اللذين افتخر بهما هما من تغلب<sup>(٥)</sup>، وتغلب قوم الأخطل

لا الفرزدق، فالأخطل مثلاً عندما يختصر هذه الصيغ، فإنما يتكلم على عادة لهجته - لأنه تغلبي من ربيعة، وربيعه فيها تلك الظاهرة، أما إذا تكلم بها أمية بن الأسكر فتكون في شعره ضرورة، لأن نسبة يؤول إلى مضر، وليس فيها تلك الظاهرة. وقد حمل على لهجة ربيعة ويلحارث قوله سبحانه « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » فقد قيل إن المعنى: كمثل الذين استوقدوا ناراً - فلذلك قيل: ذهب الله بنورهم فحمل أول الكلام على لفظ الواحد وآخره على الجمع<sup>(٥)</sup>. ومن العجيب أن بعض العلماء<sup>(٦)</sup> يحمل قوله تعالى: « تماماً على الذي أحسن<sup>(٧)</sup> » فيمن قرأ « أحسنوا » على الجمع بأن الأصل: الذين أحسنوا، فحذف نون الذين لطول الكلام بالموصول

(١) الخزانة ٤٩٩/٢

(٢) الخزانة ٤٩٩/٢

(٣) المفصل للزحشري ص ١٤٣

(٤) خزانة الأدب ٤٩٩/٢

(٥) أمالي الشجري ٢٠٧/٢

(٦) محب الدين أبو البقاء المكي / انظر في ترجمته. بغية الوعاة ٢٨١

(٧) الأنعام ١٥٤

والصلة ، ثم يعقب العكبرى على تلك  
القراءة السابقة بقوله « وقد جاء في الشعر :  
أبني كليب إن عمي الأسد  
قتلا الملوك وفككا الأغلالا<sup>(١)</sup> »

وهذا يشير من طرف خفي إلى مهاجمة  
تلك القراءة من جانب العكبرى ، ومن  
سار في ركابه وأضرابه حيث نظر لها  
بالشعر ، والشعر محط الضرورة . لاسيما قد  
سجلت كتب الضرورة هذا الشاهد الشعري  
السابق في تضعيفها<sup>(٢)</sup> ، على أن حذف  
النون من اللذين واللتين والذين عندها  
بعضهم ضرورة ، ورآها الآخرون لغة<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

٢ - كذلك مالت بعض القبائل البدوية  
إلى حذف النون إذا وليها ساكن ، وقد  
عزاها الأزهرى في تصريحه إلى قبائل :  
زبيد وخنعم ، واستشهدوا للظاهرة :

( ا ) لقد ظفر الزوار أقفية العدا  
بما جاوز الآمال (ملاسر) والقتل<sup>(٤)</sup>

( ب ) وبقول المغيرة بن حبياء :  
إني امرؤ حنظلي حين تنسبني  
لا « ملعتيك » ولا أخوالي العوق<sup>(٥)</sup>

( ج ) والحارث بن خالد المخزومي :  
عاهد الله إن نجا « ملهنايا »  
لتعودن بعدها حرميا<sup>(٦)</sup>

( د ) وقول كثير :  
إذا وصلتنا خلة كي تزيلها  
أبيننا وقلنا الحاحية أول  
لها مهل لا استطاع دراكه  
وسابقة « ملحب » لاتتحول<sup>(٧)</sup>

( هـ ) وفي خصائص ابن جنى :  
نحن ركب « ملجن » في زى ناس  
فوق طير لها شخوص الجمال<sup>(٨)</sup>

(١) إعراب القراءات الشواذ : ورقة ٧٣ ج ١ للعكبرى رقم ١١٩٩ تفسير دار الكتب المصرية .

(٢) أنظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة ٦٤ للقرآز القيرواني . ط تونس .

(٣) الضرائر للألوسي ٦٨ ط السلفية بمصر .

(٤) التصريح ٢ / ٢٩ .

(٥) الشعر والشعراء ص ١٥١ تحقيق السقا .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٢١٨ .

(٧) الشعر والشعراء : ٢٠٢ تحقيق السقا .

(٨) الخصائص ١ / ٣٠٢

(و) وفي همع الهوامع :

كأنهما « ميلان » لم يتغيّرا  
وقد مرّ للدارين من بعدنا عَصْرٌ<sup>(١)</sup>

وإذا كانت هذه الظاهرة وهي حذف

النون قد عزيت إلى خثعم وزبيد - فإنها  
زحفت حتى اتسعت رقعتها فشملت  
مناطق من تميم، وهذيل وخزاعة، كما  
نلاحظ الظاهرة في لهجاتنا المعاصرة، مما  
يؤكد أن في النازلين الأولين في مصر من  
العرب قوماً من خثعم وزبيد :

ويقراً ابن محيصن : « يسألونك  
عَلَّنْفَال<sup>(٢)</sup> » بحذف النون عندما تلاها  
ساكن - وهي لهجة خثعم وزبيد كما  
تقدم .

يقول أبو إسحاق : يجوز حذف النون  
من [ مِنْ وعن ] عند الألف واللام لالتقاء  
الساكنين<sup>(٣)</sup> ، ولكن ابن عصفور ومن  
تبعه يسمُّ هذه اللهجة بالضرورة<sup>(٤)</sup> وذلك

على الرغم من أنها وردت في القراءات  
القرآنية ، ولا ضرورة في القرآن ، وغاب  
ن ابن عصفور وأضربه أن الظاهرة  
قديمة سامية ، ففي الصفوية : « فهلت سلم  
مشنا<sup>(٥)</sup> » وأصلها من الشاني . أي : المبعض  
أو العدو فحذفت النون من حرف الج  
وهو [ من ] ثم ركبت مع الكلمة بعدها .  
وكثيراً ما يرى هذا التقصير والانتقاص  
- إذا لقيت النون لام المعرفة حيث  
تتردد مثل هذه التعبيرات :

بلحرث ، بلعنبر ، بلهجم<sup>(٦)</sup> ، والأصل  
بنو ، فحذفت النون .

\* \* \*

٣- ذهب السيرافي في شرحه لكتاب  
سيبويه أن ( استحييت ) فيه لغتان :  
إحداهما : استحييت ، والأخرى استحييت  
فأما استحييت بياءين فهي لغة أهل  
الحجاز ، وأما اللغة الأخرى وهي استحييت

(١) المجمع ٢٠٨/١

(٢) مختصر شواذ القرآن ٤٨ لابن خالويه .

(٣) الدرر اللوامع ٢٣١/٢

(٤) المجمع ٢٠٠/٢

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٦٢/٧ جواد علي .

(٦) الكامل للمبرد ٢١٨/٢

بياء واحدة فهي لغة بني تميم<sup>(١)</sup> واختلف العلماء فيما حدث فيها: فالخليل يذهب إلى أنه مبنى على حَيٍّ معلا إعلال هاب وباع فكأنه قيل حَيَّ ، فكما تقول في باع استبعت ، تقول في حَيَّ استحييت ، فاستحى - على هذا في الأصل : استحى كاستباع ، فحذفت حركة الياء فالتقى ساكنان فحذفت أولاهما ، ثم قلبت الياء الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها ، والملازى : يذهب إلى أن استحييت - أصله استحييت فاستثقلوا اجتماع ياءين ، فألقوا الأولى منهما تخفيفاً وألقوا حركتها على الحاء ، وألزموها الحذف تخفيفاً<sup>(٢)</sup> .

وإذا نظرنا إلى الصيغة في ظل القرآن الكريم وجدنا الجمهور يقرأ « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً<sup>(٣)</sup> » بياعين والملاضى استحيا ، وتلك لغة الحجاز وقرأ

ابن كثير في رواية شبل ، وابن محيصة ويعقوب : يستحى - بياء واحدة وهي لغة تميم ، وعليها قول الشاعر :  
\* ألا تستحى منسا ملوك وتتنى<sup>(٤)</sup>

والملاضى : استحى . وعزا صاحب الخزانة قراءة حذف الياء إلى يعقوب وابن محيصة<sup>(٥)</sup> كما نسبها ابن خالويه إلى ابن كثير وابن محيصة<sup>(٦)</sup> .

وينكر ابن منظور قراءة حذف الياء وانتقاصها ، معتمداً على أن القرآن الكريم لم ينزل إلا بلهجة الحجاز<sup>(٧)</sup> كما أنكرها صاحب المصباح حيث يرى أن القرآن نزل بلغة الحجاز في تلك الصيغة<sup>(٨)</sup> ، وقد رأينا أن ابن كثير المكي ، وابن محيصة المكي القرشي قرءا بما أنكروا ابن منظور وغيره بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة ،

(١) شرح السيراني على سيبويه ٦ / ٣٠٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٨ نحو تيمور ، وانظر مختصر شواذ القرآن ص ٤ لابن خالويه ، وشرح الشافية ٣ / ١١٩ فابعدا ، والبحر المحيط ١ / ١٢٠ فابعدا ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ١١٨

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١١٨ والشافية ٣ / ١١٩

(٣) البقرة ٢٦

(٤) المجمع ٢ / ٢١٩ ، والبحر ١ / ١٢١ ، والنهر الماد ١ / ١١٨

(٥) الخزانة ٢ - ٢٨٠

(٦) مختصر شواذ القرآن ٤

(٧) اللسان ١٨ / ٢٢٨ .

(٨) المصباح ١ / ٢٤٩

وهي لغة تميم وبكر بن وائل<sup>(١)</sup>، ولا التفات إلى إنكار المنكرين، لأن القراءة أساسها التلقى والرواية، والدليل على ذلك أن كلا من القارئين قد قرأ بما خالف لهجته.

\*\*\*

٤ - بعض قبائل العرب كانت تحذف ألف ضمير الغائبة في الوقف، وقد أثر عنهم قولهم «والكرامة ذات أكرمكم الله به»<sup>(٢)</sup> وقول عامر بن جوين الطائي: فلم أر مثلها خباسة واجد<sup>(٣)</sup> ونهنت نفسي بعدما كدت أفعلة

وتوجيه هذا أنهم في الوقف حذفوا ضمير المؤنثة الغائبة، فأصل: به في الشاهد الأول (ها)، فحذفت الألف الأخيرة وسكنت الهاء بعد أن نقلت حركتها إلى الباء قبلها، كذلك الأصل في الشاهد الشعري: أفعلها - أي الخصلة، فحذفت الألف وألقيت فتحة الهاء على ما قبلها وقد عزيت الظاهرة لقبائل طيء<sup>(٤)</sup>

وعزيت في الإنصاف لقبيلة لخم<sup>(٥)</sup> ورأى بعض النحاة أن هذا الحذف ضرورة، وحجته أن من حذف الواو من نحو «كأنه صوت جاد» ومن نحو «لله أرقان» لم يقل في نحو «رأيتها»، و«نظرت إليها» إلا بإثبات الألف، وذلك لخفة الألف وثقل الواو، وروى ابن جني عن قطرب شاهداً لهذا الحذف:

أعلقت بالذئب حبلاً ثم قلت له  
ألحق بأهلك وأسلم أيها الذئب  
إمّا تقود به شاة فتأكلها  
أو أن تبيعه في بعض الأراكيب

يريد تبيعها - فحذف الألف وهذا شاذ. ونصر من العلماء يرى بأن هذا الحذف والانتقاص ضرورة<sup>(٦)</sup> والقائلون بالضرورة معجوجون بأن الظاهرة وردت في النثر كما سبق، مما لا يمكن أن يكون ضرورة، كما جاء عنهم «نحن جيتناك

(١) القراءات الشاذة ص ٢٥ عبد الفتاح القاضي

(٢) المبع ٢/٢٠٦

(٣) الجهرة ١/٢٣٤

(٤) الجهرة ١/٢٣٤، الأشموني ٤/٢٠٥، فالبعدها، والدرر اللوامع ٢/٢٣٢

(٥) الأنصاف ٢/٣٣١ ط حجازي

(٦) الضرائر ٨٠ للألوسي

بَهْ « أي بها <sup>(١)</sup>، ومحجوجون كذلك بقراءة قرآنية قرأ بها عليّ وعروة في قوله تعالى: « ونادى نوح ابْنَهُ » قرءاً « ابْنَهُ » أي «ابنها» والمعنى: ابن امرأته <sup>(٢)</sup>. ولا ضرورة في القرآن .

كما أرجح أن ما ورد في نقش النارة « في نفس مر القيس بر عمر وملك العرب كله ذو أسر التّج » أن كلمة « كله » جاءت على الوقف بالحذف السابق، وربما كانت تنطق « كلها » كما سمعت هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية - المعاصرة <sup>(٣)</sup>.

وأميل إلى أن الظاهرة هذه لغة وليست ضرورة . لأن قبيلة طيء كانت تنتقص من أطراف الكلمة ماتريد، فقد جاء عنهم « كيف الإخوة والأخوات » « وكيف البنون والبنات » <sup>(٤)</sup>.

وعلماء النحو يقولون الأصل : البنات والأخوات ، أبدلت من التاء هاء في الوقف. وقد جانبهم الصواب أو جانبوه ، ويرى أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله « أن هذه الظاهرة ليست في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هي حذف الآخر من الكلمة <sup>(٥)</sup> ، والهاء للسكت » فما خيل للنحاة أنه هاء متطرفة مبدلة من التاء كابن يعيش والسيوطي والأشموني وصاحب التصريح ليس بصحيح ، وإنما الصحيح أن التاء حذفت ، وهذا يتفق ومذهب طيء في الحيف على أواخر الصيغ ، ومعروف لدينا من ذلك : قُطْعَة طيء ، ثم إن قبائل البدو عامة كانت تشيع فيهم تلك الظواهر يقول ابن جنى « إن عامة عقيل تقول في القرات : القراة <sup>(٦)</sup> » وما عقيل إلا قبيلة بدوية كطيء ، يؤيد هذا قراءة الكسائي والبزى « هيهاه هيهاه <sup>(٧)</sup> » ، وهي معزوة في الأشموني لطيء <sup>(٨)</sup>.

\* \* \*

- (١) وانظر أمثلة أخرى في الإنصاف لابن الأنباري ٢ / ٣٣١ ط حجازي .  
(٢) البحر ٥ / ٢٢٦ ، المحتسب ١ / ٣٢٢ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .  
(٣) من لهجات الجزيرة وآدابها بالسودان ٣٣٦ دكتور عبد الحميد طلب مخطوطة بجامعة القاهرة .  
(٤) التصريح ٢ / ٣٤٣ ، شرح المفصل ١٠ / ٤٥  
(٥) في اللهجات العربية ١٢٤ ط ٢ د . أنيس  
(٦) المحتسب ١ / ١٤٣ تيمور (خط) .  
(٧) المؤمنون ٣٦ ، وانظر التصريح ٢ - ٣٤٣ ، مختصر شواذ القرآن ٩٨ لابن خالويه .  
(٨) الأشموني ٤ / ٢١٤



هـ - وأعرض الآن عدة قضايا يأخذ بعضها بحجز بعض :

الأولى : أن الفتحة تظهر لخفتها على الياء في المنقوص ، وقد تحذف في ضرورة الشعر كقول رؤبة يصف إبلا :

( ١ ) كَأَنَّ ( أَيديهن ) بالقاع القرق  
أيدى تجوار يتعاطين السورق<sup>(١)</sup>

وكان حقه أن يقول : كَأَنَّ « أَيديهن »  
ولكن لما وجد الياء ليننة أرسلها عن لينها  
ولم يفتحها وهو في ذلك كقول زهير :  
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه

مطيع ( العوالي ) ركبت كل لهزم

وكان حقه أن يفتح الياء من ( العوالي )  
لأنه مفعول به ، ولكنه أرسل الياء للينها<sup>(٢)</sup>.  
وفي كتاب عبث الوليد<sup>(٣)</sup> :

( ب ) إن ( الغواني ) غداة البين نطن لنا  
ما أمل الدنف المضي بما خافا

فقد حذف الفتحة من ياء ( الغواني )  
وذلك جائز بلا اختلاف ، وهو عند سيبويه  
ضرورة ، وعند الفراء لغة .

( ج ) وقول الشاعر يصف إبلا دميت  
أخفاقها :

كَأَنَّ ( أَيديهن ) بالموماة  
أيدى جوار بتن ناعمات<sup>(٤)</sup>

( د ) وقول رؤبة :

سوى ( مساحيهن ) تقطيظ الحقق  
تقليل ما قارعن من سمر الطرق<sup>(٥)</sup>

( هـ ) وقال بعض السعديين :

\* يا دار هند عفت إلا ( أئافيتها )<sup>(٦)</sup> \*

(١) ديوان رؤبة ١٧٩ ، شرح أبيات سبوية للنحاس ص ١٥ تحقيق خطاب . حلب ١٩٧٤ ،  
شرح السيراني على سبوية ٤ / ٣٦٩ مخطوط بالتيموريه ٥٢٨ نحو ، المحتسب لابن جني ١ / ١٢٥ ط المجلس  
الأعلى ، مع المواع ١ / ٥٣

(٢) شرح أبيات سبويه للنحاس ص ١٥-١٦

(٣) ص ١٤٥ ط الترق ١٩٣٦ .

(٤) المحتسب ١ / ١٣٥ ط المجلس الأعلى .

(٥) ديوان رؤبة ١٠٦ ، المحتسب ١ / ٣٥٩ مخطوط بالتيمورية ، شرح أبيات سبوية للنحاس ٣١٨ والرواية  
من كم ، شرح السيراني على سبوية ٤ / ٣٦٩ بالتيمورية .

(٦) شرح أبيات سبوية للنحاس ٣١٩ ، شرح السيراني ٢ / ١٨١ ، الكتاب ٥٥ / ٢ ، المحتسب ١ / ١٢٥ ط  
المجلس الأعلى ، ماجوز للشاعر في الضرورة للقرزاز ص ١٠٦ تحقيق المنجي الكمي تونس ، وانظر شواهد أخرى  
في الجمع ١ / ٥٣ ، الدرر اللوامع ١ / ٢٩ ، شرح المفصل لابن يعين ١٠ / ١٠٣

وسكان أبو العباس يذهب إلى أن إسكان هذه اليباء في موضع النصب من أحسن الضرورات ، وذلك لأن الألف ساكنة في الأحوال كلها ، فكذلك جعلت هذه . ويقول النحاس : وهذا كله مسكن في موضع النصب استخفافاً في الشعر ؛ لأن ( اليباء والواو ) معتلان فيخفان بالسكون<sup>(١)</sup> .

ويلاحظ أن النحاة قرنوا بعض

القراءات القرآنية بتلك الشواهد الشعرية السابقة ، والتي كانت محطاً للضرورات ، وضعوا الشعر بموازاة القرآن ، ونشير إلى جوانب من ذلك : قراءة طلحة بن سليمان : ( أن يُحْيِي الموتى )<sup>(٢)</sup> ساكنة اليباء . قال ابن جنى : معنى قول ابن مجاهد أنه قرأه على سكون اليباء من " : يُحْيِي على لغة من قال :

\* « يادار هند عفت إلا أثافيها » \*  
فأسكن اليباء في موضع النصب<sup>(٣)</sup> .

فانظر معي إلى قول ابن جنى يصف القراءة السابقة بأنها جاءت محمولة على

الشاهد الشعري ، والشاهد محمول على الضرورة عند النحاة ، فكأنه يعارض القراءة من طرف خفي .

يؤكد هذا أن أبا العباس يقول : إسكان هذه اليباء في موضع النصب من أحسن الضرورات<sup>(٤)</sup> .

فهذه معارضة صريحة للقراءة من أبي العباس ، وكيف تكون القراءة القرآنية ضرورة ، مع أن الظاهرة وردت في النثر العربي حين قالوا : لا أكلمك حيرى دهر . فأسكن اليباء من حيرى - وهي في موضع نصب - وهناك قراءات قرآنية تؤكد ما سبق منها :

\* ثاني عطفه<sup>(٥)</sup> .

\* ثاني اثنين<sup>(٦)</sup> .

\* من أوسط ما تطعمون أهاليكم<sup>(٧)</sup> .  
بإسكان اليباء .

\* نعمتى التي أنعمت عليكم<sup>(٨)</sup> .

(١) شرح أبيات سيبويه للنحاس ١٣٩ .

(٢) المحتجب ٢ / ٤١١ بالميمورية .

(٣) الحج : ٩ .

(٤) التوبة ٤٠ .

(٥) القيامة ٥٠ .

(٦) المحتجب ٢ / ٤١١ بالميمورية .

(٧) الحج ١ / ٥٢ .

(٨) البقرة ٤٠ .

وجميع ما سبق من القراءات تقف  
سداً منيعاً في وجه النحاة، فالقرآن موضع  
اختيار لا اضطرار .

الـثانية : المضارع الذي آخره واو أو ياء  
تقدر الضمة عليه لثقلها، ولخفة الفتحة  
عليها ظهرت، وخلاف ذلك ضرورة<sup>(١)</sup>

وفي نظر النحاة تعتبر الشواهد الآتية  
من الضرورات :

١- قول الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها<sup>(٢)</sup> .

٢- وقول عامر بن الطفيل :

فما سودتني عامر عن وراثته

أبي الله أن أسمى بأُم ولا أب<sup>(٣)</sup>

٣- وقول حندج ابن حندج المري :

ما أقدر الله أن (يُدني) على شحط

من داره الحزن من داره صول<sup>(٤)</sup> \*

وحكم الشنقيطي على هذا الشاهد،<sup>(٥)</sup>  
وأضربه بالضرورة .

٤- وقول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما (رضي) لكم  
ماضي العزيمة ما في حكمه جنف<sup>(٦)</sup>

لكن النحاة حملوا قراءات قرآنية  
على هذا الشعر السابق، والذي كان محلاً  
للضرورات الشعرية، وقد حاولت أن  
أجمع قدرًا صالحاً من ذلك :

\* « أو يعفُو الذي بيده<sup>(٧)</sup> » . ساكنة

الواو، وهي قراءة الحسن .

\* « أن يأتى يوم<sup>(٨)</sup> » بإسكان الياء،

حكاه أبو زيد عن الكلابيين<sup>(٩)</sup> .

\* « وذروا ما بقي من الربا<sup>(١٠)</sup> » بكسر

القاف، ساكنة الياء، وهي قراءة أبي<sup>(١١)</sup>

(١) الهمع ١ / ٥٣

(٢) ديوان الأخطل ٩١ والخصائص ٢ / ٣٤٢

، والهمع ١ - ٥٣

(٣) الخصائص ٢ / ٣٤٢ والمختص ١ / ٢٥ ط المجلس الأعلى والأشموني ١ / ١٠١

(٤) الأشموني ١ / ١٠١ صول : اسم مدينة في بلاد الخرز / الأمل ط / ١ / ١٣١ ط / الهيئة العامة للكتاب

(٥) المختص ١ / ١٤١ ط المجلس الأعلى

(٦) الدرر اللوامع ٢ / ٢٢٤ .

(٧) مختصر شواذ القرآن ص ١٥ الهمع ١ / ٥٣ والمختص ١ / ١٣٧ مطبوع بالمجلس الأعلى .

(٨) نخصر شواذ القرآن لابن خالدويه ١٦ .

(٩) البقرة ٢٥٤ .

(١٠) مختصر شواذ القرآن ١٧ .

(١١) البقرة ٢٧٨ .

وقد أنكر الزجاج سكون الواو والياء  
 في : هو ، وهي ، محتجاً بأن كل مضمّر  
 حركته إذا انفرد : الفتح نحو : أنا -  
 فكما لا يستقيم سكون هذه النون ، كذلك  
 لا تسكن هذه الواو ، وردّ عليه أبو علي  
 بسكون النون في : أنت - لأنّ التاء حرف  
 خطاب<sup>(٧)</sup> .

والحق أنه يجوز حذف الحركة من  
 الواو والياء للروايات الكثيرة في :  
 ( ١ ) الشعر كما سبق ، ومن ذلك قول  
 الشاعر :

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا  
 فأصبحت قد جاورت قوماً أعادياً<sup>(٨)</sup>  
 (ب) النثر مثل قولهم : هي قالته ،  
 وهو قاله<sup>(٩)</sup> . وهي فعلت بإسكان  
 الياء<sup>(١٠)</sup> .

(ج) كما أن هذه الظاهرة عزيزت لغة  
 لقبيلة قيس<sup>(١١)</sup> .

وينسب أبو حيان في البحر المحيط<sup>(١)</sup> ،  
 هذه القراءة إلى الحسن ، ومن العجيب  
 أن ابن جنى<sup>(٢)</sup> يقول عن هذه القراءة  
 « ومجازها مجاز بيت نهشل بن حري :

فلما تبين غبّ أمرى وأمره  
 وولت بإعجاز الأمور صدور  
 فهو يحمل القراءة على الضرورة ؛  
 لأنّ الشاهد به ضرورة .

\* « فاستمسك بالذي أوحى إليك<sup>(٣)</sup> »  
 بإسكان الياء عن بعض أهل الشام<sup>(٤)</sup>

الثالثة : وقد حذفّت حركة البناء  
 في الضمير : هو ، هي ، وعُدّ هذا الحذف  
 ضرورة ، ورد في ضرائر الألويسي<sup>(٥)</sup> : إن  
 تحذف المتحرك من : هو ، هي - معجول  
 على الضرورة عند غير بني أسد ، وأنشد  
 أبو الهيثم :

وكنّا إذا ما كان يومٌ كريهية  
 فقد علموا أنّي وهو فتبان<sup>(٦)</sup>

- (١) ٣٣٧ / ٢ . (٢) الخصائص ١ / ٧٤ . (٣) الزخرف ٤٣ .  
 (٤) مختصر شواذ القرآن ١٣٧ . (٥) ص ١٧٨ . (٦) أنظر اللسان ٢٠ / ٣٦٨ .  
 (٧) الدرر اللوامع ١ - ٣٧ . (٨) الهمع ١ / ١٦ سطر ٦ ، وانظر الدرر ١ / ٣٧ . (٩) اللسان ٢٠ / ٣٦٨ .  
 (١٠) الجاسوس ٤٧ ، وانظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة ١١٧ للقرّاز . ط تونس .  
 (١١) الدرر اللوامع ١ / ٣٧ .

وقد حذفت الهمزة في العربية وأبدلت  
واوًا في المذكر وياءً في المؤنث فصارت  
هُوَ، هِيَ في العربية الفصحى ، و (هُوَ) (هِيَ)  
في العبرية والسريانية ، فحذفت  
الحركة كما ترى من هذا العرض في تلك  
الضمائر كان في أخوات العربية والسامية  
الأخرى ، ولهذا لم أسرُ سير النحاة العرب  
حيناً رأوا تحويل فتحة الواو والياء  
إلى سكون ، ضرورة ؛ لأن هذه العملية  
لها جذور في الساميات : العبرية والسريانية  
وغيرهما ، وبقيت منها أمثلة يسيرة في  
العربية : رميت بالضرورة من جانب -  
النحاة العرب ، ولكن القراءات القرآنية  
- وإن كانت شاذة - فقد حذفت الحركة  
وحل محلها السكون ، وبذلك تكون قد  
احتفظت بالجذور القديمة في الساميات ؛  
وقد جمعت قدرًا يؤكد ما أذهب إليه .  
\* « حتى يلج الجمل » بسكون الميم ،  
وقد أنكر ذلك النحاة : منهم سيبويه  
والسيرافي وابن جنى وغيرهم .

كما حكيت لغة لأسد وقيس<sup>(١)</sup> .  
فالظاهرة قد تكون لغة ، كما حكيت عن  
تلك القبائل في الشعر والنثر ، وقد تكون  
ضرورة عند غير هذه القبائل ، وأما الإنكار  
كما ورد عن الزجاج وأضرابه من النحاة ،  
أو القول بالضرورة لا غير كما سبق -  
فلا معنى له ، لاسيما إذا عرفنا أن حذف  
الحركة في المبني ورد في قراءات قرآنية  
نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :  
« وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا<sup>(٢)</sup> » بكسر القاف  
وسكون الياء ، وهي قراءة أبي والحسن .  
فلو حملنا الظاهرة على الضرورة وحدها  
كما ورد عند كثير من النحاة ، كان علينا  
أن نحمل القراءة القرآنية السابقة على  
الضرورة ، والقرآن محط اختيار لا اضطرار  
وقديكون من المفيد أن ننظر من الجانب  
التاريخي لهذين الضميرين : هُوَ ، هِيَ ،  
فقد مرَّ بأطوار منها : أن الأصل (هُوَ)  
hūa و (هِيَ) hīa ، إذ أنهما  
في العبرية والآرامية القديمة **הוּא** و **היא**  
بألف في الآخر ، وهي تشير إلى الهمزة<sup>(٣)</sup> .

(١) الجاسوس ٤٧ .

(٢) مختصر شواذ القرآن ١١٧ .

(٣) التطور النحوي ٥٢ برجستراسر ، وانظر مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة مجلد ١٠ جزء ١ ص ٣٨ .

أبو علي « والوجهان » (ويقصد جواز الفتح  
والسكون في الضميرين : هو ، هي ) -  
متكافئان في العمل إلا أن الفتح هو المشهور  
نقلاً<sup>(٢)</sup> .

فهذا اعتراف من واحد من النحاة ،  
ثم إننا نرى الفتح والسكون يتقاودان  
ويجريان مجرى واحداً كما رأينا<sup>(٣)</sup> ، بل  
كان ذلك في العربية شرعة ومنهاجاً .

(للبحث بقية )

أحمد علم الدين النجدي

\* « ويدعوننا رغبا ورهبا » بالإسكان .  
\* « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ساكنة  
القاء . وقد حكم النحاة على تلك -  
القراءة بأنها غايية في الشذوذ والوهن<sup>(١)</sup> .

\* « وذروا ما بقى من الربا » بكسر  
القاف وسكون الياء وهي قراءة أبي .

والحق أن أبا علي قد فطن لشيء من  
هذا في جملة ساقها الشنقيطى ، يقول

(١) أنظر مقالنا : دراسة في حركية عين الكلمة الثلاثية في العربية ؛ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٢٩

(٢) الدرر اللوامع ١ / ٣٧ .

(٣) أنظر أمثلة في : المختص لا بن جنى ١ / ٤٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق الأستاذ على النجدي  
والدكتور . عبد الفتاح شلبي - القاهرة .

# طارة في القاموس على شرحها مستخرج للعروس للأستاذ مصطفى حجازي

من بينهم من نقل عن المؤلف في ذلك  
الموضع .

فإذا لم تكن هذه المحاولات شيئاً ،  
فحسبه أن ينبه إلى هذا السقط ، لعل من  
بين القراء من يهتدى إليه فيهدى إلى  
إصلاحه ، ليتدارك في طبعه لاحقة ،  
وهذا شيء مألوف للعاملين في ميدان  
تحقيق التراث ، وكثيراً ما ينبه  
مصححو الكتب القديمة في حواشي  
طبعتها على مثل هذا بعبارات مألوفة ، كقولهم :  
« كذا بالأصل وحرر » أو « كذا في  
النسخة التي بأيدينا ، ولعل هنا سقطاً ،  
وحرر » .

وقد صادفتني من ذلك شيء غير قليل  
أثناء عملي في تحقيق أجزاء من شرح

ما يعرض للمحقق أثناء



عمله في كتاب ما ، أن

يجد سقطاً في سياق الكلام ، فيلجأ إلى النسخ  
المختلفة باحثاً عن هذا السقط ليعيده إلى موضعه ،  
حتى يصبح السياق ، ويستقيم التعبير .

فإذا لم تكن ثمة نسخ غير تلك التي  
اعتمدها أصلاً في عمله - والتي بها ذلك  
السقط - ذهب يبحث عن مصادر المؤلف  
التي أخذ عنها في هذا الموضع ، ويهون  
عليه الخطب إذا كان المؤلف قد أشار إلى مصدره  
الذي نقل عنه ، أما إذا لم يشر إليه فقد أحوج  
المحقق إلى الاجتهاد في البحث عنه في مظانه

المختلفة ، حتى يجد النص كاملاً في  
واحدة منها ، وربما احتاج الأمر أيضاً إلى مراجعة  
كتب من ألفوا في هذا الفن من بعده ، فقد يكون

القاموس المحيط المسمى ( تاج العروس )<sup>(١)</sup> للزبيدي ، ولم يكن هذا السقط في غالب الأمر يزيد على الجملة أو الجملتين ، وقليل ما بلغ السطر والسطرين ، وقد هدى الله إلى إصلاح ما صادفني من ذلك فيما حققته من أجزاءه ، وفيما راجعته من تحقيق غيري ، ولعل مرد ذلك إلى أنني صحبت هذا الكتاب صحبة طويلة أكسبته معرفة بمصادره المختلفة التي نقل عنها ، وصرت أورد نقوله إلى مواضعها من هذه المصادر - حتى ولو لم يشر إليها -

و كنت - في مطلع هذا العام - أعمل في تحقيق الجزء الخامس والعشرين منه ( بتجزئة الطبعة الجديدة المحققة ) ويشتمل هذا الجزء على المواد من أول

( برق ) إلى أول ( صدق ) - فصادفت من هذا السقط ما هو خارج عن المؤلف الذي يمكن إصلاحه بالتماسه في مظانه ، أو سد خياله بالقليل من العبارات أو الأسطر التي تسقط أحياناً من ثناياها ينقله المصنف ، فناتمسها في بعض مصادره ، ونعيها إلى مكانها من الكلام ، فيستقيم النص ، ويطرد السياق .

أقول : لم يكن ما صادفته في هذه المرة من ذلك النوع المؤلف ، بل كان فمداً كبيراً يشمل شرح مادة كثيرة المعاني ، واسعة التصرف ، وجد رأسها ، وضاع سائرها ، وعلينا أن نبحث عن هذا الضائع لنعيده إلى مكانه من الرأس حتى تكتمل المادة : وتستوى في صورتها الصحيحة ، فتصبح مثل غيرها

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، صنفه محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، نزيل مصر ( المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ) وقد قضى في تأليفه أربع عشرة سنة ، وفرغ منه في ثاني شهر رجب سنة ١١٨٨ هـ وجمع في ثنيائه كثيراً من أمهات كتب اللغة والبلدان والأرجم ، فأذني به عن الرجوع إليها . وجاء كما قالوا : « كل الصيد في جوف الفرا » وقد طبع لأول مرة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ في عشرة مجلدات كبار . ومنذ أكثر من عشر سنوات كانت تلك الطبعة تعد نافذة حتى أصبح العثور على نسخة منها تكليفاً بما لا يكاد يطاق ، وعند ذلك نشطت إحدى دور النشر في بيروت . - بجاسة التاجر الذي يعرف كيف يشيم بروق الربح - فأعدت نشر هذه الطبعة بطريقة التصوير ( الأوفست ) فكان سعيها ذلك - كصنيعها في غيره من الطبعات القديمة لكتب كثيرة - ميسراً للحصول على نسخ تلك الطبعة النافذة ، ومحققاً لأرباح مؤكدة دون أية فائدة علمية .

وفي سنة ١٩٦٢ م . أقرح الأستاذ المحقق عبد الستار أحمد فراج - المراقب العام لمجمع اللغة العربية حينذاك - على وزارة الإعلام في دولة الكويت أن تعنى بتحقيق هذا الكتاب القيم ونشره ، فاستجابت لذلك ، وعهدت إليه أن يختار المحققين ، وأن يرسم المنهج لتحقيقه ، فنهض بذلك مشاركاً بتحقيق بعض الأجزاء ، ثم تفرغ للإشراف عليه تحقيقاً ومراجعة ، حتى آتمه بعون الله ، ولا يزال يتابع ما تخرجه المطبعة من أجزاءه التي صدر منها حتى الآن سبعة عشر جزءاً ، ويظهر سائرها تباعاً - إن شاء الله -



من مواد الكتاب ، وهذه المادة هي مادة (رفق) فقد قدر لنا أن يختفى شرحها من الطبعة الأولى لتاج العروس ، وإذا رجعت إلى هذه المادة في تلك الطبعة وجدت الزبيدي - رحمه الله - يبدأ في شرح المادة مميّزاً عبارة القاموس بين قوسيتها ، ومنضّداً شرحه خارج تلك الأقواس - جرياً على عادته - ولكن سياقه ينقطع بعد سطر واحد من بداية الشرح ليورد من المادة ما اعتاد إيراده في المستدرك مما فات صاحب القاموس .

وقد لفت ذلك نظر الذين أشرفوا على تصحيح تلك الطبعة ، فنبهوا إليه في هامشه بقولهم : ( لم يوجد في نسخة الشارح التي بأيدينا هنا زيادة عما شرحه ، وأضفنا بقية المتن « يعنى نص القاموس المحيط » بعد كلام الشارح ، أولعل شرح باقي المادة سقط من الناسخ وليحرق ) أهـ

والمطالب بالتحريير هنا قبل غيره هو من يتصدى لإخراج طبعة جديدة محققة لهذا الكتاب ، تسلم من عيوب الطبعة القديمة ، وتخلو من أخطائها الكثيرة ،

فكان علينا أن نستجيب لهذا الأمر ، ونحرق الكلام في هذا الموضوع .

ورجعت إلى عمدة الزبيدي في شرحه وهو لسان العرب - لابن منظور - وإلى أصوله المعروفة ( الصحاح للجوهري ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والنهية في غريب الحديث لابن الأثير ، وحواشي ابن بري ) وإلى مصادر الزبيدي الأخرى ، وأخصها التكملة ، والذيل ، والصلة ، والعياب الزاخر - وهما للصاغاني - والأساس للزمخشري ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، فوجدت المادة مشروحة في هذه الاصول شرحاً وافياً ، ورأيت أيضاً أن أرجع في بعض مفردات هذه المادة كما جاءت في القاموس - إلى ما اعتاد الزبيدي أن يرجع إليه في أمثالها من الكتب الأخرى ، مثل : معجم البلدان لياقوت ، ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني ، وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للمفiroزآبادى ، وتبصير المنتبه بتحريير المشتبه لابن حجر ، وغيره من كتب الرجال ، فوجدت هذه المفردات - وغيرها من فروع المادة - واردة في مواضعها من هذه الكتب ، فرجحت أن يكون هذا القدر الناقص من شرحها قد سقط من الناسخ ، أو لعله فقد

من النسخة الأصل ، وأن شرح المادة لن يستقيم إلا بالرجوع إلى نسخة أخرى نلتمس فيها هذا السقط ، والأمانة العلمية تقتضينا أن نبحث عن تلك النسخة الأخرى ، وأن نرجع إليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

### البحث عن مخطوطة لتاج العروس :

استوقفتني غير مرة - وأنا أعمل في تحقيق أجزاء من تاج العروس - عبارات نقلها الزبيدي عن بعض مصادره التي لم تتح لنا حتى الآن ، وكنت كلما عرض لي شيء من ذلك أتمنى أن أجد نسخة مخطوطة من تاج العروس أرجع إليها في تحرير هذه العبارات ، ولذلك كنت شديد العناية بالبحث عن المخطوطات اللغوية في فهارس المكتبات المختلفة ، ولا أذكر أنني صادفت فيما اطلعت عليه من هذه الفهارس - وهو غير قليل - نسخا لتاج العروس ، وكنت أذهب إلى القول بأن

هذا الكتاب لا توجد له نسخة خطية غير تلك التي اعتمد عليها في طبعته الأولى ، واجتمعت لدى قرائن يقوى بها مثل هذا الظن ، منها :

١- أن المطبعة الحربية ظهرت في مصر بعد وفاة الزبيدي بزمن قصير<sup>(١)</sup> فلم يحوج تراخي الزمن بين ظهور المطبعة وتصنيف الكتاب إلى تداوله مخطوطا حتى تكثر نسخه - كغيره من كتب قدامى المؤلفين - وحين ظهرت المطبعة قوى الأدل لدى المعنيين بهذا الكتاب في قرب طبعه ، فانصرفت المهتم عن استنساخه ، هو وأمثاله من الكتب ذات الأجزاء الكثيرة .

٢- أن فهارس المخطوطات في مكاتب القاهرة لم تشر إلى وجود نسخ من التاج ، وإذا لم توجد نسخة أخرى في القاهرة - حيث عاش مؤلفه حياته العلمية ، وصنف كتابه

(١) كانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ ، وتاريخ طباعة أول كتاب صدر عن المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٢٣٨ هـ وكانت معظم المطابع حتى سنة ١٢٥٥ هـ حجرية ، وقد جرى الاتفاق سنة ١٢٦٢ هـ على طبع القاموس المحيط بتصحيح الشيخ التونسي (محمد بن عمر : ت ١٢٧٤ هـ) انظر تاريخ الطباعة للدكتور خليل صابات ص ١٤٦ وما بعدها ، ١٧٨ (ط دار المعارف ١٩٦٦ م).

وفي تقديرنا أن المطبعة كانت عنايتها في بداية عهدها موجهة إلى الكتب العلمية المترجمة ، والمصطلحات المعربة ، ونحو ذلك مما تحتاج إليه النهضة الناشئة حينذاك ، ولم يحظ التراث الادبي واللغوي بالاهتمام إلا في مرحلة متأخرة شيئا ما .

فيها - فإن الظن يستبعد وجود مثل هذه النسخة في بلد آخر غير القاهرة .

٣- أن الذين أشرفوا على طبعة التاج الأولى ( سنة ١٢٨٣ هـ وما بعدها ) كانوا يعدون العثور على نسخة منه يومذاك من قبيل المستحيل ، فهذا محمد باشا

عارف يقول - وهو يتحدث عن القاموس المحيط - « . . . ومع تعدد شروحه وحواشيه بالمخطوط لم يطبع منها شيء إلى الآن [ سنة ١٢٨٣ هـ ] فنحمد الله إذ بتوفيقه جمعية المعارف سهّل هذا المقصود ، وظهر هذا الشرح [ يعنى تاج العروس ] إلى الوجود ، فإن الحصول عليه كان من قبيل المستحيل ؛ لأن استكتابه - مع كثرة ما يقع فيه من غلطات النساخ - يحتاج إلى مبلغ وافر وزمن طويل . . . »

وقد بدا لي - بعد قراءة هذه العبارة - أن محاولة البحث اليوم عن مخطوطة

لتاج العروس تعد عبثا ، فهؤلاء الذين أشرفوا على طبعته الأولى منذ أكثر من مائة سنة كانوا يعدون العثور على مثل تلك النسخة - حينذاك - من قبل المستحيل ، فما بالنا نبحث عنها اليوم ؟

ولكن هل تكفى كل هذه القرائن ليقطع المرء بأنه لا توجد نسخة أخرى من تاج العروس غير تلك التي كانت أصحلا لطبعته الأولى ؟

إن الدقة العلمية تأبى علينا مثل ذلك على الرغم من كل هذه القرائن ، ونظل مطالبين بمواصلة البحث في تتبع واستقصاء ، واتقأ أهمي ذلك ، فرحت أطلب المزيد من فهارس المخطوطات باحثا فيها ومنقباً .

العثور على نسخة من « تاج العروس »

حين ندبت للعمل في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامى - بجامعة

(١) في عجائب الآثار (٢/١٩٦ - ٢١٠) يذكر الجبرقي أن الزبيدي : « حين أم شرحه على قاموس المحيط أولم وليمة حافلة بمنزلة في عطفة الغسال جمع فيها طلاب العلم ، وأشياخ الوقت وذلك في سنة ١١٨٨ هـ وأطلعهم عليه ، فأغتبوا به ، وشهدوا بفضله ، وسعة اطلاعه ، ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقارظهم نظما ونثرا » وأنظر أيضا : الخطط التوفيقية ٣/٩٣ و ٩٤ .

(٢) محمد باشا عارف كان وكيلًا لجمعية المعارف ، وهي التي عثرت بطبع تاج العروس طبعته الأولى . في المطبعة الوهبية ١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ

(٣) أنظر تاج العروس (الجزء الأول ، القسم الثالث ص ١٨٣ ط الوهبية) حاشية في نهاية باب الثاء ، وهو آخر هذا القسم .

الملك عبد العزيز في مكة المكرمة - كان من جملة عملي أن أختار من المخطوطات المحفوظة في المكتبات المختلفة ، في البلاد العربية وغيرها ، طائفة من الكتب القيمة التي ينبغي أن يقتنيها المركز لتكون بين المراجع التي يحتاج إليها الباحثون ، وطلاب الدراسات العليا ، ولينشر المركز من بين هذا المقتنى ما يراه جديرا بالتحقيق والنشر من تراثنا المجيد ، فأتاح ذلك لي فرصة المعاودة بالبحث عن نسخة من « تاج العروس » فقد زادت<sup>(١)</sup> صلتى بفهارس المخطوطات . واجتمع<sup>(٢)</sup> لدى منها ما لم أطلع عليه من قبل ، وأصبح البحث فيها استقراءً وتتبعاً فاحصاً ، وبقي العثور على تلك النسخة أمنيه تترجح بي بين اليأس والرجاء طيلة عملي في اختيار المخطوطات : ولاحت لي بارقة أمل حين وجدت قطعة من تاج العروس أشار إليها الاستاذ عبد الحفيظ منصور بين مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس<sup>(٣)</sup> ، غير أنه وصفها وصفا موجزا ، فذكر أنها

بخط مشرق ، وعدد أوراقها ٤٩٢ ورقة من القطع الكبير ( ٣٠ × ٢١ سم ) ومسطرتها ٣٩ سطرا ، ورقمها في المكتبة الأحمدية هو ( ٣٩٣٥ لغة ) ولم يشير إلى ما اشتملت عليه هذه القطعة من المواد ؛ لنعرف أي الأجزاء هي ، ولم يذكر تاريخ نسخها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إليها ، والاطلاع عليها .

ثم كانت فرحتي الكبرى حين وجدت نسخة من « تاج العروس » أشار إليها الاستاذ عمر رضا كحالة<sup>(٢)</sup> بين مخطوطات « مكتبه عارف حكمت » بالمدينة المنورة ، ووصفها بعبارة موجزة جاء فيها « أنها في تسع مجلدات لأ. الفيض محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الملقب بمرتضى ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ وتاريخ نسخها ١٢٦٧ - ١٢٧٣<sup>(٣)</sup> » وأنها محفوظة تحت رقم ( ٦٧ - ٧٥ لغة ) ومثل هذا الوصف لا يجد شيئا أكثر من الدلالة على وجود نسخة من الكتاب ، ولا بد لنا من الاطلاع عليها ، ومقابلة مادة ( رف ق ) فيها بما جاء في مطبوع التاج

( ١ ) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس - قسم اللغة - ( ط دار الفتح بيروت سنة ١٩٦٩ )

( ٢ ) المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة ص ٥٠ ( ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣ )

( ٣ ) في المنتخب من مخطوطات المدينة « ١٢٧٢ هـ » والتصحيح من نهاية المجلد التاسع في مخطوط التاج

لمعرفة مقدار السقط ، وإثباته في موضعه من المادة .

### وصف نسخة الناج المحفوظة بمكتبة عارف حكمت

زرت مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة ، واطلعت على النسخة فوجدتها في تسعة مجلدات ضخمة ، وهي مكتوبة بخط فارسي جيد، اختلفت عليه أقلام النساخ ، وتتراوح مسطرتها بين ٢٧ ، ٢٥ سطرا ، ومتوسط الكلمات في كل سطر ١٣ كلمة ، وورقها من القطع الكبير ( ٢٣ × ٢٢ سم ) وصفحاتها غير مرقمة ، وقد أعتمدنا نسخها في ضبط تتابع أوراقها على التعقيب وترتيب المواد ، وميزت فيها رؤوس المواد فكتبت بالحمرة ، وكذلك عبارة القاموس - في بعض الاجزاء ، وفي بعضها الآخر اكتفى الناسخ بوضع خط بالمداد الأحمر فوقها - والضبط بالشكل فيها نادر جدا ، وتجد في كثير من صفحاتها خاتما نقشه ( وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ) وفي نهايات الأجزاء خاتم كبير نقشه : ( مما وقفه الفقير إلى ربه الغني أحمد

عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مكتبة الرسول الكريم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط ألا يخرج من خزانته ، والمؤمن محمول على أمانته سنة ١٢٦٦ ) والنسخة ناقصة من آخرها فقد انتهى المجلد التاسع بنهاية باب اللام ، وآخره مادة ( ليل ) ويبدو أن الناسخ قد وقف عند هذا الحد ، وتاريخ نسخه سنة ١١٧٣ هـ - وربما كان الذي حال دون تكملته مرض الشيخ عارف حكمت ، ثم وفاته بعد ذلك في سنة ١٢٧٥ هـ . ونجمل فيما يلي بيان أجزائها التسعة :

**الجزء الأول :** وعدد صفحاته ١٥٣٠ ويشمل أبواب : الهمزة والباء والتاء والثاء وينتهي بمادة ( يافث )

**الجزء الثاني :** ويقع في ١٤١٤ صفحة ، واشتمل على أبواب : الجيم ، والحاء ، والخاء ، والذال ، والذال .

**الجزء الثالث :** وقد خُص لباب الراء وحده ، وجاء في ١٤٨٠ صفحة ، وفيه أختلف القلم ، وميزت عبارة القاموس فكتبت بالمداد الأحمر

الجزء الرابع : وأشتمل على أبواب :  
الزاي ، والسين ، والشين ، وشدد  
صفحاته ١٠١٠ صفحة .

الجزء الخامس : وعدد صفحاته  
١٠٥٢ صفحة، وشمل أبواب : الصاد ،  
والضاد ، والطاء ، والظاء وآخره مادة  
( يقظ ) وتاريخ نسخه جمادى الأولى  
سنة ١٢٦٨ هـ وناسخه « ذو الفقار  
فرغانى »

الجزء السادس : واشتمل على بابي :  
العين والغين ، وآخرد مادة « يرغ » .  
الجزء السابع : وفيه مواد بابي : الفاء  
والقاف ، وينهى بمادة « ينافر » وعدد  
صفحاته ١٢٢٨ صفحة ، وتاريخ نسخه  
شهر رجب من سنة ١٢٦٩ هـ ، وناسخه  
الحاج محمد يارسا خواجه الحسينى  
الحنفى النقشبندى البخارى .

الجزء الثامن : واشتمل على باب  
الكاف وقسم من باب اللام من أوله إلى  
آخر فصل الضاد ، وعدد صفحاته ٦٦٠  
صفحة .

الجزء التاسع : وشمل بقية اللام ،  
من أول فصل الطاء إلى آخر الباب ،  
وعدد صفحاته ٥١٦ صفحة .

وفى نهايته كتب ناسخه بالفارسية :  
« اتمام شد اين كتاب بفرمايش حضرت  
ولينعمتى أم - سلمه الله تعالى فى الدارين  
دردهم جمادى الاولى سنة هزار وصد  
هفت غوسه » بيد أحقر العباد ، ملا  
اسماعيل ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه »  
وترجمته : تم هذا الكتاب بأمر  
حضرة ولي نعمتى ( يعنى الشيخ عارف  
حكمت ) سلمه الله تعالى فى الدارين فى  
١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٧٣ هـ .

#### توثيق مادة ( رفق ) :

وظابت مادة « رف ق » فى ترتيبها من  
الجزء السابع فى مخطوط التاج ، ورحت أقابلهما  
بما فى المطبوع ، فوجدتها فى نسقهما من فصل الراء  
فى باب القاف ، وقد بدأ المصنف شرحها  
من السطر الثانى عشر فى الصفحة  
التي بها رأس المادة - وقد ميزه الناسخ

( ١ ) تاج العروس ج ٦ ص ٣٥٨ ( ط الخيرية ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ )

فكتبه بالحمر - ثم يتلو ذلك ثلاث صفحات كاملة ، في كل صفحة خمسة وعشرون سطرا ، وتنتهي المادة في منتصف الصفحة الرابعة ، فكانت عدة سطورها ( ١٠٢ ) اثنين ومائة سطر ، ليس في مطبوع التاج منها غير خمسة أسطر .

ورحمت أعرض المادة - كما وجدتها في مخطوطة التاج - على مراجع الزبيدي التي اعتدت الرجوع إليها في توثيق نقراه في الأجزاء الأخرى ، فبالإلى أسلوبه واضحا في هذه المادة كما عهدته في غيرها ، وتؤكد لي أن شرح هذه المادة قد سقط من الطبعة الأولى ، ورجحت أن يكون هذا السقط مقدار ورقة كاملة فقدت من النسخة التي اتخذت أصلا لتلك الطبعة ، ولم يجد المدين أشرفوا عليها بدأ من تكملة المادة بعبارة القاموس وحدها ، منبهين في الحاشية إلى هذا السقط ، مطالبين بتحريره ، وقدّر لنا أن نقف عليه ، وأن نعيده إلى موضعه من المادة .

ونورد فيما يلي المادة بحالتها - كما جاءت في مطبوع التاج ، وكما وجدناها في مخطوطة مكتبة عارف حكمت - :

أولا : مادة ( ر ف ق ) في مطبوع التاج ( ١ ) :

( الرِّفْقُ ، بالكسر : ما استعِينَ بِهِ )  
وقال العَصْدُ : الرِّفْقُ : حُسْنُ الأَنْقِيَادِ لما يُؤدَى إِلَى الجَمِيلِ .

والرِّفَاقُ ، ككِتَابٍ : مصدرٌ رَافَقَهُ فِي السَّفَرِ ، وَأَيْضًا بِمَعْنَى النُّقَاقِ ، وَبِهِ فُسْرٌ حَدِيثٌ طَهْفَةٌ : « ما لم تُضْمَرُوا الرِّفَاقَ »

ومَرْفَقٌ ، كَمَقْعَدٍ : اسمٌ رَجُلٍ من بَنِي بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ، قَتَلَتْهُ بَنُو فَمْعَسٍ ، قال المَرَارُ الفَمْعَسِيُّ :

وَعَادَرَ مَرْفَقًا وَالخَيْلُ تَرْدِي  
بَسْبِيلِ العَرِضِ مُسْتَأْبًا صَرِيعًا  
وَأَسْتَرْفَقَهُ : اسْتَنْفَعَهُ .

وَأَرْتَفَقَ بِهِ : ارْتَفَعَ .  
وَالرِّافِقَةُ : قَرْيَةٌ بِمِصْرَ من أَعْمَالِ الشَّرْقِيَّةِ<sup>(٢)</sup>

(١) تاج العروس ج ٦ ص ٣٥٨ (ط الخيرية ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ)

(٢) في هامش المطبوع : «لم يوجد في نسخة الشارح التي بأيدينا هنا زيادة عما شرحه ، فأضفنا بقية المتن المطبوع بعد كلام ، الشارح أولعل شرح باقي المادة سقط من النسخ ، وليحرر ( ١ هـ ) .

(واللطف<sup>(١)</sup> ، رَفَقَ بِهِ وَعَلَيْهِ، مُثَلَّثَةً ،  
 رَفَقًا وَمَرْفَقًا ، كَمَجْلِسٍ ، وَمَقْعَدٍ ،  
 وَمَنْبَرٍ ، وَالْمَرْفَقُ كَمَنْبَرٍ وَمَجْلِسٍ :  
 مَوْصِلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَضُدِ . وَمَرْفِقُ  
 الدَّارِ: مَصَابُ الْمَاءِ وَنَحْوَهَا . وَكَمِ كُنْسَةٍ :  
 الْمِخْدَةَ . وَالرَّفْقَةُ مُثَلَّثَةٌ ، وَكُشْمَامَةٌ ،  
 جِمَاعَةٌ تُرَافِقُهُمْ ، ج : ككِتَابٍ ، وَأَصْحَابٍ ،  
 وَضُرْدٍ . وَالرَّفِيقُ : الْمَرِيفُ ، ج :  
 رَفَقَاءُ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا ذَهَبَ اسْمُ الرَّفْقَةِ  
 لِأَنَّ اسْمَ الرَّفِيقِ ، لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ .  
 وَالْمَصْدَرُ الرَّفَاقَةُ ، كَالسَّمَاةِ .

وَالرَّفْقَةُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، ج :  
 كَعَنْبٍ ، وَضُرْدٍ ، وَجِبَالٍ ، وَالرَّفِيقُ  
 ضِدُّ الْأَخْرَقِ . وَرَفَقَ فَلَانًا : نَفَعَهُ  
 كَأَرْفَقَهُ ، وَضَرَبَ مِرْفَقَهُ . وَالنَّاقَةُ :  
 شَدَّ عَضُدَهَا إِذَا خِيفَ أَنْ تَنْزِعَ إِلَى  
 وَطَنِهَا ، وَذَلِكَ الْحَبْلُ رِفَاقٌ ، ككِتَابٍ ،  
 وَيَعْبُرُ مَرْفُوقٌ : يَشْتَكِي مِرْفَقَهُ ،  
 وَأَرْفَقَ بَيْنَ الرَّفَقِ ، مُحَرَّكَةً : مُنْفَتِلٌ  
 الْمَرْفَقِ عَنِ جَنْبِهِ ، وَنَاقَةُ رَفَقَاءُ وَرَفِيقَةٌ  
 كَفَرِحَةٍ : مَنْسَدٌ إِحْلِيلٌ خَلْفِهَا ، وَبِهَا

رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ ، أَوْ الرَّفِقُ : فَسَادٌ فِي  
 الإِحْلِيلِ مِنْ سُوءِ حَلْبِ الْحَالِبِ ،  
 أَوْ تَرَكَ نَفْضِهِ إِيَّاهُ ، فَيَرْتَدُّ اللَّبَنُ  
 فِي الضَّرَّةِ ، فَيَعُودُ دَمًا أَوْ خَرْطًا ، وَالْمِرْفَاقُ  
 مِنَ الْجَمَالِ : مَا يُصِيبُ مِرْفَقَهُ  
 جَنْبُهُ . وَمِنَ الْوَرَقِ : مَا إِذَا صُرَّتْ  
 أَوْجَعَهَا الصَّرَارُ ، وَإِذَا حُلِبَتْ خَرَجَ  
 مِنْهَا دَمٌ . وَمَاءٌ رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ : سَهْلٌ ،  
 أَوْ قَصِيرُ الرَّشَاءِ ، وَحَاجَةٌ رَفَقٌ الْبَغِيَّةُ :  
 سَهْلَةٌ . وَرَفِيقٌ كَزَبِيرٍ : ابْنُ عَبِيدٍ ،  
 وَأَبُو رَفِيقٍ : مُحَدَّثَانِ ، وَالرَّفَاقَةُ :  
 دُ ، عَلَى الْفُرَاتِ ، وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّفْقَةِ ، بَنَاهَا  
 الْمَنْصُورُ ، وَ : بِالْبَحْرَيْنِ ، وَالرَّفِقُ :  
 وَاللُّطْفُ وَحَسَنُ الصَّنِيعِ ، وَأَرْفَقَهُ : رَفَقَ  
 بِهِ ، وَنَفَعَهُ ، وَشَاةٌ مُرْفَقَةٌ ، -  
 كَمَعْظَمَةٍ - : يَدَاهَا بَيضَاوَانٌ إِلَى مِرْفَقَيْهَا ،  
 وَارْتَفَقَ : اتَّكَأَ عَلَى مِرْفَقِ يَدِهِ ، أَوْ  
 عَلَى الْمِخْدَةِ ، وَأَمْتَلَأَ . وَالْمُرْتَفِقُ :  
 الْوَاقِفُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ . وَتَرَفَّقَ بِهِ :  
 رَفَقَ . وَرَافَقَهُ : صَارَ رَفِيقَهُ . وَتَرَاَفَقَا<sup>(٢)</sup> .

(١) ابتداء من قوله : « والطف . . . إلى آخر المادة هونص القاموس المحيط

(٢) آخر عبارة القاموس في مادة رفق كما جاءت في مطبوع الناج .



## ثانياً : مادة ( ر ف ق ) في مخطوطة مكتبة عارف حكمت

( الرَّفْقُ ، بالكسرِ : ما اسْتُعِينَ بِهِ )

وقال العُضدُ : الرَّفْقُ : حُسْنُ الانْتِقَادِ  
لِما يُودَى إِلَى الجَمِيلِ .

(و) <sup>(١)</sup> الرَّفْقُ : ( اللُّطْفُ ) وهو ضِدُّ  
العُنْفِ ، ومنهُ الحَدِيثُ : « ما كانَ الرَّفْقُ  
في شَيْءٍ إِلَّا زانَهُ » <sup>(٢)</sup> وقد ( رَفَقَ بِهِ ،  
وعليه ) كلاهُما عن أبي زَيْدٍ ، زادَ غيرُهُ  
ورَفَقَ لَهُ ( مُثَلَّثَةً ) اقتصرَ الجوهريُّ على  
رَفَقَ ، كَنَصَرَ ، وكَعَلِمَ ، وكَرَّمَ نَقَلَهُما  
الصاغانيُّ ، وقالَ : هما لُغَتانِ ، وفي الحَدِيثِ  
« من رَفَقَ <sup>(٣)</sup> بابْنِي رَفَقَ اللهُ بِهِ »

وقال اللَّيْثُ : الرَّفْقُ : لِينُ الجانِبِ ،  
ولَطافَةُ الفِعلِ ، وصاحِبُهُ رَفِيقٌ ، وقد رَفَقَ

يَرَفِقُ ( رِفْقًا ) بالكسْرِ ( ومَرَفِقًا ، كَمَجْلِسٍ ،  
و ( مَرَفِقًا ، مثل ( مَقْعَدٌ ، و ( مِرْفَقًا ،  
مثل : ( مَنبَرٍ ) الأول والثاني والرابع عن  
أبي زَيْدٍ ، والثالثُ عن غيرِهِ ، وقُرِئَ  
قوله تعالى : ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ  
مِرْفَقًا ﴾ <sup>(٤)</sup> بِالوَجْهِينِ ، أَي : ما تَرْتَفِقُونَ  
به ، قرأَ بفتحِ الميمِ وكسرِ الفاءِ أبو جَعْفَرٍ  
ونافعٌ ، وابنُ عامرٌ ، والأعمشُ <sup>(٥)</sup> ،  
والبرجُميُّ عن أبي بَكْرٍ عن عاصمٍ ،  
والباقونَ بكسرِ الميمِ وفتحِ الفاءِ ، ولم يقرأ  
بفتحِ الميمِ والفاءِ أَحَدٌ ، وفي التهذيبِ :  
كسَرَ الحَسَنُ والأعمشُ الميمَ من مِرْفَقٍ ،  
ونَصَبَها أَهلُ المدينةِ ، وعاصمٌ ، فكانَ  
الذينَ فَتَحُوا الميمَ وكسروا الفاءَ ، أرادوا  
أَن يُفَرِّقُوا بينَ مِرْفَقٍ من الأَمْرِ ، وبينَ  
المِرْفَقِ من الإنسانِ .

( ١ ) بداية ما سقط من مطبوع التاج

( ٢ ) النهاية لابن الاثير

( ٣ ) انظر ( مسند أحمد بن حنبل ٦/٦٢ ، ٩٣ ) وفيه أيضا ( ٦/٣٢٩ ) « ارفق بابني » ، وفي سنن ابن ماجه ١٥٥٩ /  
( جنان ١٩٧ ) « ارفقوا به رفق الله به ، انه كان يحب الله ورسوله » وكلها شواهد .

( ٤ ) سورة الكهف الآية ١٦

( ٥ ) في المخطوطة الاعشى والمثبت من اللسان والتهذيب ، والملقب بالأعشى من القراء الكبار أبو يوسف الأعشى ، وهو :  
يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي ، عده الذهبي في الطبقة الخامسة ، قرأ عليه الصيرفي والشموني ( معرفة القراء الكبار للذهبي  
١٣١/١ طدار الكتب الحديثة بالقاهرة ) .

أما الأعمش فهو سليمان بن مهران أبو محمد الأسيدي من كبار القراء من الطبقة الثالثة قرأ على يحيى بن وثاب ، وزيد بن وهب ، وزر  
ابن حبيش ، وعرض القرآن على أبي العالقة الرياحي ومجاهد وعاصم بن هذلة ( معرفة القراء الكبار للذهبي ٧٨/١ )

اسْتَقْبِلَ بِهَا الْقَبِيلَةَ (٢) « يُرِيدُ الْكُنْفَ  
وَالْحُشُوشَ ، وَيُرْوَى « مُرَاحِيضُهُمْ » :

( وَالْمِرْفَقَةُ ، كَمِ كَنْسَةٍ : ( الْمِخْدَةُ )  
وَالْمُتَّكَا .

( وَالرَّفْقَةُ ، مُثَلَّثَةٌ ) ( وَ ) الرُّفَاقَةُ  
( كَثْمَامَةٌ : جَمَاعَةٌ تُرَافِقُهُمْ ) فِي سَفَرِكَ  
( ج ) رِفَاقٌ ، وَأَرْفَاقٌ ، وَرُفُقٌ ( كَبَيْتَابٍ ،  
وَأَصْحَابٍ ، وَصُرْدٍ ) قَالَ الْأَعَشِيُّ - يَصِفُ  
الْجِمَالَ - :

قَاطَعَاتِ بَطْنِ الْعَتِيكَ كَمَا تَمُّ

نَضِي رِفَاقٌ أَمَا مَهَنَ رِفَاقٌ (٣)

وَقَالَ تَابِطٌ شَرًّا :

سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ

مُرْجَعِ الصَّوْتِ هَذَا بَيْنَ أَرْفَاقِ (٤)

وَقَالَ رُوْبَةُ :

\* حِينَ احْتَدَاهَا رُفْقَةٌ مِنَ الرُّفُقِ \*

( وَالْمِرْفَقُ كَمِنْبَرٍ ، وَمَجْلِسٍ ) : مَوْصِلٌ  
الذَّرَاعِ فِي الْعَضُدِ . كَمَا فِي الصَّحَاحِ .  
وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : - الْمِرْفَقُ ، مِنَ الْإِنْسَانِ  
وَالذَّابَّةِ : أَعْلَى الذَّرَاعِ ، وَأَسْفَلَ الْعَضُدِ  
وَالْجَمْعُ الْمِرْفَاقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَأَيْدِيكُمْ  
إِلَى الْمِرْفَاقِ ) (١)

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ عَلَى كَسْرِ  
الْمِيمِ لِلْمِرْفَقِ مِنَ الْأَمْرِ ، وَمَنْ مِرْفَقِ الْإِنْسَانِ ،  
قَالَ : وَالْعَرَبُ أَيْضًا تَفْتَحُ الْمِيمَ مِنْ مِرْفَقِ  
الْإِنْسَانِ ، لُغْتَانِ فِي هَذَا وَفِي هَذَا ،  
وَقَالَ يُونُسُ : الَّذِي أَخْتَارَهُ الْمِرْفَقُ فِي  
الْأَمْرِ ، وَالْمِرْفَقُ فِي الْيَدِ .

( وَمِرْفَاقُ الدَّارِ : مَصَابُ الْمَاءِ ،  
وَنَحْوُهَا ) وَكَانَ ابْنُ سَيَّرِينَ إِذَا دَخَلَ  
الْمِرْفَقَ كَفَّ كُمَّهُ عَلَى فَكِّهِ ، وَفِي التَّهْنِيْبِ :  
الْمِرْفَقُ مِنَ مِرْفَاقِ الدَّارِ مِنَ الْمُعْتَسَلِ  
وَالْكَنْيْفِ وَنَحْوِهِ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَجَدْنَا مِرْفَاقَهُمْ قَدْ

( ١ ) سُورَةُ الْمَائِدَةِ الْآيَةُ ٦

( ٢ ) النِّهَايَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

( ٣ ) دِيْوَانُهُ / ١٢٥ ( ط بِيْرُوت ) وَفِيهِ ، « . . رِفَاقٌ أَمَا مَهَنَ رِفَاقٌ » بِالْقَافِ مَكَانَ الْفَاءِ وَفَسَّرَ الرِّفَاقَ بِالنِّيَاقِ الضَّعِيفَةِ ،  
وَفِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ ( الْعَتِيكَ ) رِوَايَتُهُ

جَازَعَاتِ بَطْنِ الْعَتِيكَ كَمَا تَمُّ نَضِي رِفَاقٌ تَحْمِنُ رِفَاقٌ

( ٤ ) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي الْفَضْلِيَّاتِ ٢٩ / ١ وَهِيَ الْمَفْضَلِيَّةُ الْأُولَى ، وَرِوَايَتُهَا « هَذَا » بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ :

« أَيْ رَافِعًا صَوْتَهُ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَقَعَ حَالًا . »

( والرَّفِيقُ : المُرَاقِبُ ) وقيل : هو  
الصاحبُ في السَّفَرِ خاصَّةً ( ج : رُفَقَاءُ )  
ككريمٍ وكرماءٍ ، وقيلَ : إذا عدا الرَّجُلانِ  
بلا عَمَلٍ فهما رَفِيقانِ ، فإن عَمِلَا على  
بَعِيرَيْهِمَا فهما زَمِيلانِ ( فإذا تَفَرَّقُوا  
ذَهَبَ اسْمُ الرُّفْقَةِ ) و ( لا ) يذهبُ ( اسم  
الرَّفِيقِ ) وهو أيضاً ( للواحدِ والجَمِيعِ ) مثل  
الصَّدِيقِ ، والخَلِيطِ ، ومنه قوله تعالى :  
﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيائِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(١)</sup> وفي الحديث :  
« بل الرَّفِيقُ الأعلى من الجنَّةِ »<sup>(٢)</sup> أي :  
جَماعةُ الأنبياءِ .

والمصدرُ الرِّفَاقَةُ ، كالمساحةِ ) وقال  
الفراءُ : سمعتُ رجلاً بعرفاتٍ يقولُ :  
« جَعَلَكُمُ اللهُ في رِفاقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ  
عليه وسلم »

( أو ) الرُّفْقَةُ بالكسر : جمعُ رَفِيقٍ ،  
و ( الرُّفْقَةُ ) بالضمُّ : ( اسمٌ للجَمْعِ )  
رِفْقٌ ، ورَفْقٌ ، ورِفاقٌ ( كعَنْبٍ ، وضرَدٍ ،  
وجِبَالٍ ) قاله ابنُ سيده ؛ وقال ابنُ بَرِّي :  
الرِّفاقُ : جمعُ رُفْقَةٍ ، كعَلْبَةٍ وعِلابٍ ،  
قال ذو الرِّمَّةِ :

قياماً يَنْظُرُونَ إلى بِلالٍ

رِفاقَ الحَجِّ أَبْصَرَتِ الهِلالَ<sup>(٣)</sup>

قالوا في تفسير الرِّفاقِ : جمعُ رُفْقَةٍ ،  
ويُجْمَعُ رُفْقٌ أيضاً ، ومن قال : رُفْقَةٌ  
قال : رِفْقٌ ورِفاقٌ ، وقيسُ تقولُ :  
رِفْقَةٌ ، ونميسٌ تقولُ : رُفْقَةٌ .  
ورِفاقٌ أيضاً : جمعُ رَفِيقٍ ، ككريمٍ وكِرامٍ .  
والرِّفاقُ : مصدرُ رافَقْتُهُ ، وقال الليثُ :  
الرُّفْقَةُ يُسمَوْنَ رُفْقَةً ما داموا مُنْضَمِّينَ - في  
مَجْلِسٍ واحدٍ . ومسيرٌ واحدٍ - فإذا تَفَرَّقُوا  
ذهبَ عنهم اسمُ الرُّفْقَةِ .

والرُّفْقَةُ : القومُ يَنْهَضُونَ في سَفَرٍ ،  
ويسيرونَ معاً ، وينزلونَ معاً ، ولا يفتَرِقونَ ،  
وأكثرُ ما يُسمَوْنَ رُفْقَةً إذا نهَضوا سِياراً .  
( والرَّفِيقُ ) أيضاً : ( ضِدُّ الأخرقِ )  
وقدرُفُقٌ ، ككُرْمٍ .

( ورَفَقَ ) فلانٌ ( فُلاناً ) : إذا ( نَفَعَهُ )  
وكذلك : رَفَقَ به ( كأرْفَقَهُ ) ومنه  
الحديثُ « في إرْفاقِ ضَعِيفِهِمْ ، وسَدِّ خَلْتِهِمْ »  
أي : إيصالِ الرَّفْقِ إليهم .

( ١ ) سورة النساء الآية ٦٩

( ٢ ) النهاية وهو في صحيح البخارى ( ٦ / ١٢ - ١٦ ط الشعب ) عن عائشة من طرق مختلفة ، وفي جميعها لفظ ( الرفيق )

( ٣ ) ديوان شعر ذى الرمة ٤٤٣ واللسان

(و) رَفَقَةٌ رَفَقًا: (ضَرَبَ مِرْفَقَهُ) كعَضَدَهُ ، وَرَأَسَهُ ، وَصَدْرَهُ .

(و) رَفَقَ (النَّاقَةُ) يَرْفُقُهَا رَفَقًا : (شَدَّ عَضُدَهَا) بِالْحَبْلِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَذَلِكَ ( إِذَا خِيفَ أَنْ تَنْزِعَ ) أَي تَشْتَاقَ ( إِلَى وَطَنِهَا ، وَذَلِكَ الْحَبْلُ رِفَاقٌ ، ككِتَابِ ) وَالْجَمْعُ رُفُقٌ بَضْمَتَيْنِ ، وَهُوَ حَبْلٌ يُشَدُّ مِنْ الْوِظِيفِ إِلَى الْعَضُدِ ، وَقِيلَ : يُشَدُّ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ إِلَى رُسْغِهِ ، قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ :

فَأِنِّي وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَأَمِ

كذاتِ الضَّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ<sup>(١)</sup>

يقول : أَنَا مُمَسِّكٌ عَنْ هِجَائِهِمْ ، كَهَذِهِ النَّاقَةُ الَّتِي حَنَّتْ إِلَى وَطَنِهَا ، وَشُدَّتْ وَحُبِسَتْ ، فَإِنْ صَارُوا إِلَى مَا أُحِبُّ ، وَإِلَّا أَطَلَقْتُ لِسَانِي بِهِجَائِهِمْ .

(و) قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ (بَعِيرٌ مَرْفُوقٌ) : إِذَا كَانَ يَشْتَكِي مِرْفَقَهُ .

(و) قَالَ اللَّيْثُ : جَمَلٌ (أَرْفُقُ بَيْنَ الرَّفَقِ ، مَحْرُكَةٌ) : أَي (مُنْفَتِلُ الْمِرْفَقِ عَنْ جَنْبِهِ) وَقَدْ رَفِقَ كَفَرِحَ ، وَهِيَ رَفَقَاءُ .

وقال الأزهري : الذي حفِظْتُهُ مِنْ الْعَرَبِ : جَمَلٌ أَدْفَقُ ، وَنَاقَةٌ دَفَقَاءُ : إِذَا انْفَتَقَ<sup>(٢)</sup> مِرْفَقُهُ عَنْ جَنْبِهِ ، بِالذَّالِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

( وَنَاقَةٌ رَفِقَاءُ ) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ( وَرَفِقَةٌ كَفَرِحَةٌ ) عَنِ زَيْدِ بْنِ كَثُوفَةَ ، أَي : ( مُنْسَدٌ إِحْلِيلٌ خَلْفِهَا ) فَتَحَلَبُ دَمًا ( وَبِهَا رَفَقٌ مَحْرُكَةٌ ) قَالَ الْأَخِيرُ : وَهُوَ حَرْفٌ غَرِيبٌ ، وَقِيلَ : نَاقَةٌ رَفِقَةٌ : إِذَا وَرِمَ ضَرْعُهَا ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي تَوْضَعُ التَّوْدِيَةَ عَلَى إِحْلِيلِهَا فَيَقْرَحُ ( أَوْ الرَّفَقُ : فَسَادٌ فِي الْإِحْلِيلِ مِنْ سُوءِ حَلَبِ الْحَالِبِ ، أَوْ تَرِكَ نَفْضِهِ إِتْيَاهُ فَيَرْتَدُّ اللَّبَنُ فِي الضَّرَّةِ ، فَيَعُودُ دَمًا وَخَرَطًا ) .

( وَالْمِرْفَاقُ ، مِنَ الْجِمَالِ ) كَمِحْرَابٍ : ( مَا يُصِيبُ مِرْفَقَهُ جَنْبَهُ ) .

(و) الْمِرْفَاقُ ( مِنْ النَّوْقِ ) وَفِي الْعَيْنِ : مِنْ الْإِبِلِ : ( مَا إِذَا صُرَّتْ أَوْجَعَهَا الصَّرَارُ ، وَإِذَا حَلَبَتْ خَرَجَ مِنْهَا دَمٌ ) . وَهِيَ الرَّفِيقَةُ أَيْضًا ، كَمَا تَقَدَّمَ ، قَالَ اللَّيْثُ .

(١) ديوانه ١٦٣ واللسان ، ومادة (ضغن) وفيه « فألك والشكاة من ال لأم » والصحاح والتهذيب (١١٣/٩) وعجزه في المقاييس (٤١٨/٢) .

(٢) الذي في التكملة والتهذيب (١١٣/٩) « انفتل مرفقة عن جنبه »

( وماء رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ ) وكذا : مَرْتَعٌ  
رَفَقٌ ، أَى : ( سَهْلٌ ) المَطْلَبِ ( أَوْ ) ماءٌ  
رَفَقٌ ، أَى : ( قَصِيرُ الرِّشَاءِ ) ومَرْتَعٌ رَفَقٌ :  
ليس بكثير .

( و ) يُقَالُ : طَلَبْتُ ( حَاجَةً ) فَوَجَدْتُهَا  
( رَفَقَ البِغْيَةَ ) بالتَحْرِيكِ : إِذَا كَانَتْ  
( سَهْلَةً ) .

( وَرَفِيقٌ ، كزُبَيْرٍ : ابن عبيد )  
عن وهب بن مُنَبِّهٍ ، وعنه مرداسُ  
ابن سائته ( وأبورا فقة : <sup>(١)</sup> مُحدثان )

( والرَّافِقَةُ : د ) متصل البناء  
بالرَّقَّةِ ، وهى ( على ) ضففة ( الفراتِ )  
قال ابن الأثير : تعرفُ اليومُ بالرَّقَّةِ ،  
كان محمدُ بن خالد بن جبلة ينزلها ،  
يقال : إنَّ البخارىَّ حَدَّثَ عنه فى  
الصَّحِيحِ ، وقال اليعقوبىُّ : الرَّافِقَةُ :  
مدينةٌ جانبَ الرَّقَّةِ ( بناها المنصور )  
العباسىُّ أبو جعفر ، وأتمها المهديُّ ،  
ونزلها الرشيدُ ، منها : مُعافى بنُ  
مُدرِكٍ ، عن أيوب بن سوار .

وقولُ شيخنا : فالرافقة والرقة بلدٌ

واحدٌ لا بلدان ، كما يتوهم من تعداد  
الاسم واختلافه ، فيه نظرٌ ظاهر ،  
( و ) الرَّافِقَةُ أَيضًا : ( ة ، بالبحرين )

( و ) قَالَ ابنُ دريدٍ : يقال : :  
أولى فلانٌ فلانًا رافقَةً ، وهو ( الرَّفْقُ  
واللُّطْفُ وحسنُ الصَّنِيعِ ) .

وحكى أبو زيدٍ : ( أَرَفَقَهُ ) أَى :  
( رَفَقَ به ) ويقالُ أَيضًا : أَرَفَقَهُ ، أَى :  
( نَفَعَهُ ) وهو مجاز .

ويقال : ( شاةٌ مُرْفَقَةٌ ، كمُعْظَمَةٍ )  
أَى : ( يداها بيضاوان إلى مُرْفَقَيْهَا )  
نقله الصاغانيُّ .

( وارْتَفَقَ الرَّجُلُ : اتكأَ على مُرْفَقِ  
يَدِهِ ) ومته التحديثُ « هو الأبييضُ .  
المُرتَفِقُ <sup>(٢)</sup> » وبات فلانٌ مُرتَفِقًا ، أَى :  
مُتَكِيًا على مُرْفَقِ يَدِهِ ، وأنشد ابن  
برى لأعشى باهلة :

فبتُ مُرتَفِقًا والعينُ سَاهِرَةٌ  
كَأَنَّ نومي على اللَّيْلِ محجورٌ <sup>(٣)</sup>

( ١ ) فى القاموس : « وأبورفيق » والمثبت من المخطوطة

( ٢ ) النهاية ، وتامة : « أيكم ابن عبد المطلب ؟ قالوا : هو الأبييض المرتفق » .

( ٣ ) اللسان

بَيْنَ مُرْتَفِقٍ . . . وقد تقدم في « رت ق »  
 ( وترَفَّقَ به ) بمعنى ( رَفَّقَ ) وارفَقَ  
 ( ورافَقَهُ ) مُرافَقَةً ، وِرِفاقاً : ( صار  
 رَفِيقَهُ ) في السَّفَرِ والمسيرَةِ .

( وترافَقا ) في السَّفَرِ : صارارُفاقاءَ .  
 ومما يُستدركُ عليه :

يُقال : هذا الأمرُ رَفِيقٌ بك ،  
 ورافِقٌ بك ، ورافِقٌ عليك ، أى : نافعٌ ،  
 نَقَلَهُ اللَّيْثُ ، وأنشَد :

فبعضُ هذا الوجِبِ ياعجِردٌ<sup>(٣)</sup>  
 ماذا على قومِك بالرافِقِ  
 وهو مجازٌ ، وكذا قولهم : هذا أرفِقُ  
 بك ، أى : أنفعُ .

( أو ) ارتَفَقَ : إذا اتَّكأَ ( على  
 المِخْدَةَ ) ، ومنه حَدِيثُ ابنِ ذِي يَرَنَ :  
 \* فاشربْ هَنِيئاً عليك التَّاجُ مُرتَفِقاً<sup>(١)</sup> \*

( و ) ارتَفَقَ : إذا ( أَمْتَلَأَ )

( و ) منه ( المُرْتَفِقُ ) من القِيَعانِ ،  
 وهو ( الواقِفُ الثابتُ الدائمُ ) كَرَبِ  
 أَنْ يَمْتَلِي ، أو أَمْتَلَأَ ، قاله شَمِرٌ عن  
 ابنِ الأعرابيِّ ، وبه فُسِّرَ بيتُ عُبَيْدِ  
 ابنِ الأبرصِ :

فأَصْبَحَ الرَوْضُ والقِيَعانُ مُترَعَةً  
 مِنْ بَيْنِ مُرتَفِقِ مِنْهَا وَمُنْصاح<sup>(٢)</sup>

وفُسِّرَ المُنْصاحُ بالفائِضِ الجارى  
 على الأرضِ ، ورواه أبو عُبَيْدٍ : « من

( ١ ) اللسان ، والنهاية ( رفق ) وفي معجم البلدان ( غمدان ) ونسبه إلى أبي الصلت يمدح ذا يزن ، وعجزه .  
 \* في رأس غمدان دارامنك محلا \*  
 وقبله :

أرسلت أسداً على بقع الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلا

وبعده :

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

( ٢ ) ديوانه ٧٧ وفيه « والقيمان مترعة . . . ومنطاح ، وهو في التكملة وعجزه في اللسان ( رفق ) والتهذيب ( ١١٣/٩ )  
 وينسب أيضا إلى أوس بن حجر وانظر ديوانه / ١٧ ( ط بيروت ) .  
 ( ٣ ) وهذه الرواية أنشده ابن ممتور في اللسان ( صوح ) .

( ٤ ) في الجمهرة ( ٢٩٤/٢ ) عزاه لرجل من بني قيس بن ثعلبة ، في خبر أورده ، وقبله :

ياقوم من يعذر من عجرد القاتل المرء على الدائق

لما رأى ميزانه شائلا وجاه بين الجيد والعاتق

فخر من وجأته ميتا كأنما دهنه من حالق

وجاه : مخفف وجأه ، أى : ضربه .

وَرَفَّقَ ، كَنَصَرَ : اِنْتَظَرَ ، عَنْ ابْنِ  
ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَيُقَالُ لِلْمُتَطَيِّبِ : مُتَرَفِّقٌ ،  
وَرَفِيقٌ .

وَأَرْتَفِقُ بِهِ : تَرَفَّقُ .

وَالْمُرْتَفِقُ : الْمَتَكِّكُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ  
تَعَالَى : ﴿ وَحَسُنَتْ لِرَفِيقِنَا ﴾<sup>(١)</sup> . قَالَ  
ابْنُ السَّكَيْتِ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ : أَنْتَ  
الْفِعْلُ عَلَى مَعْنَى الْجَنَّةِ .

وَالْمِرْفَقُ : كِمَنْبَرٍ : الْمَتَكُّ ، قَالَ اللَّيْثُ .  
وَتَمَرَفَّقَ : أَخَذَ مِرْفَقًا .

وَنَاقَةٌ رَفِيقَةٌ ، كَفِرْحَةٍ : مُدْعِنَةٌ .  
وَأَرْتَفَقُوا : تَرَفَّقُوا .

وَقَالَ أَبُو عَدْنَانَ : قَوْلُهُ فِي الدُّعَاءِ  
: « اللَّهُمَّ الْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى »<sup>(٢)</sup>

سَمِعْتُ أَبَا الْقَهْدِ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ :  
إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ وَفِيقٌ ، فَكَانَ

مَعْنَاهُ : الْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ ، أَيْ : بِاللَّهِ ،  
يُقَالُ : اللَّهُ رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ ، مِنْ الرَّفِيقِ

وَالرَّافِقَةِ ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، قَالَ  
الْأَزْهَرِيُّ : وَالْعُلَمَاءُ عَلَى أَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِي

بِجَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ اسْمٌ جَاءَ عَلَى

فَعِيلٍ ، وَمَعْنَاهُ الْجَمَاعَةُ ، قَالَ : وَلَا  
أَعْرِفُ الرَّفِيقَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ .

وَرَفِيقَةُ الرَّجُلِ : امْرَأَتُهُ ، هَذِهِ عَنْ

عَنِ اللَّحْيَانِيِّ ، قَالَ : وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ ،

فِي حَدِيثِهِ : سَأَلَنِي رَفِيقِي ، أَرَادَ

زَوْجَتِي ، قَالَ : وَرَفِيقُ الْمَرْأَةِ : زَوْجُهَا .

وَقَالَ : فِي مَالِهِ رَفَقٌ ، مُحْرَكَةٌ ،

أَيْ : قِلَّةٌ ، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِقَافَيْنِ .

وَالرَّفَاقُ ، كَكِتَابٍ : مُصَدِّرٌ رَافِقُهُ فِي

السَّفَرِ ، وَأَيْضًا بِمَعْنَى النِّفَاقِ ، وَبِهِ

فُسِّرَ حَدِيثُ طَهْفَةَ : « مَا لَمْ تُضْمِرُوا  
الرَّفَاقَ »<sup>(٣)</sup>

وَمَرَفَقٌ ، كَمَقْعَدٍ : اسْمٌ رَجُلٍ مِنْ

بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ قَتَلَتْهُ بَنُو فُقْعَسَ ،

قَالَ الْمَرَّازُ الْفَقْعَسِيُّ :

وَعَادَ رَمَرَفَقًا وَالْخَيْلُ تُرْدِي

بَسِيلِ الْعِرْضِ مُسْتَلْبِصًا صَرِيحًا<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الكهف ، الآية ٣١

(٢) النهاية وفي صحيح البخاري (١٣/٦ ط الشعب) عن عائشة رضي الله عنها من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير ، ولفظه :  
« اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق » .

(٣) النهاية .

(٤) اللسان ، والحكم (٢٣٤/٦)

واسترفقه : استنفعه .

وارتفق به : انتفع به .

والرافقة : قرية بمصر من أعمال الشرقية .

\*\*\*

وبعد فهذه مادة (رفق) كما وجدتها في مخطوطة « تاج العروس » للزبيدي ، المحفوظة في مكتبة عارف حكمت ، وهكذا كانت عجلة المطبعة الأميرية تدور في القاهرة لتطبع القاموس المحيط - لأول مرة - بتصحيح الشيخ التونسي ( سنة ١٢٦٢هـ - ١٨٤٥م ) وفي الوقت الذي ظن بعض الناس « أن استكتاب نسخة من تاج العروس تكليف بما لا يطاق ؛ إذ هو يحتاج إلى مبلغ وافر ، وزمن طويل » كان هنالك في المدينة المنورة عالم جليل ، لم يبخل بالمال الوافر ، ولم يستكثر الزمن

في استنساخ شرح القاموس المحيط المسمى « تاج العروس » ذلكم هو شيخ الإسلام أحمد عارف حكمة الله الحسيني (المتوفى ١٢٧٥هـ) الذي لم يطق صبورا على أن تخلو خزانه كتبه من هذا الكتاب القيم ، إذ أن ذلك لا يليق بأمشاله ، ولذلك أمر بكتابة نسخة منه في الفترة من ١٢٦٧ - ١٢٧٣ هـ بقي لنا منها تسعة مجلدات ، جعلها وقفا على مكتبة الرسول الكريم ، وكان من توفيق الله أن هدانا إليها ، فأصبنا فيها هذا السقط ، وأعدنا إلى موضعه من شرح القاموس ، فاستقام السياق ، واستوت المادة في صورتها الصحيحة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

مصطفى حجازي

المراقب العام للمعجمات وإحياء التراث بالمجمع

نهاية مادة (رفق) كما جاءت في مخطوطة مكتبة عارف حكمت المجلد السابع .

(٣) هو محمد بن عمر التونسي (ت ١٢٧٥هـ) من علماء اللغة في القرن الثالث عشر .

(٤) المعنى هنا هو محمد باشا عارف وكيل جمعية المعارف التي عنت بطبع التاج للمرة الأولى في المطبعة الخيرية سنة ١٢٨٥هـ

انظر التاج الجزء الأول القسم الثالث صفحة ١٨٣ .

(٥) أشرنا إلى مراجع البحث والتحقيق في حواشي الصفحات السابقة ، فأغنى لك عن اعادة مجتمعة في أخوه



# موقف الشعر من الإعلام

## للكاتبة محمد عمارة عبد اللطيف

### للشعر

موقف خاص من الإعلام لم يلتفت إليه النحاة بوصفه ظاهرة معينة ، ولكنهم تناولوا هذا الموقف في مواضع مختلفة وبمصطلحات متعددة تسوغ لنا أن نعد معظمها من التغييرات الصرفية بوصفها تغييراً في بنية الكلمة في الشعر لإقامة وزنه وتسوية قوافيه : وقبل أن نتناول موقف الشعر من الإعلام نود أن نضع في حسابنا هذه الملاحظات الآتية :

أولاً : إن الإعلام ، دون سائر المعارف تتعرف بنفسها من غير حاجة إلى وسيلة من وسائل التعريف التي تحتاج إليها ألوان المعارف الأخرى ، فقد « خرجت الإعلام عن شياخ الأجناس إلى خصوصها بأنفسها لا بحرف يفيد التعريف فيها<sup>(١)</sup> » ولذلك عرفوا العلم - والذي يعيننا في هذا المجال هو العلم الشخصي - بأنه « اسم يعين مسماه تعييناً مطلقاً<sup>(٢)</sup> ». فالتعريف في العلم آت من ارتباط الاسم بمسماه ارتباطاً

وثيقاً في الذهن ، بحيث يستحضر الذهن أحدهما عند وجود الآخر ، فهو - إذن - « الاسم الخاص الذي لا أخص منه<sup>(٣)</sup> » ومناطق التعريف في العلم بقاؤه على هذا الارتباط الوثيق بمسماه وعدم شياخه فيه وفي غيره ؛ ولذلك لا يعامل معاملة بقية الأسماء من حيث الإضافة ودخول أداة التعريف ، إلا إذا « شورك في اسمه ، أو اعتقد ذلك ، فيخرج عن أن يكون معرفة ، وبصير من أمة كل واحد له مثل اسمه ، ويجرى حينئذ مجرى الأسماء الشائعة نحو : رجل و فرس ، فحينئذ يجترأ على إضافته وإدخال الألف واللام عليه كما يفعل ذلك في الأسماء الشائعة<sup>(٤)</sup> »

ثانياً : أجاز النحاة ترخيم المنادى وشرطوا لذلك أن يكون مبنياً على الضم والمنادى المبنى على الضم هو العلم المفرد والنكرة المقصودة وهي كالعلم في التعيين للإقبال<sup>(٥)</sup> وشرط المبرد في ترخيم المؤنث

(١) الخصائص لابن جني ٣ - ٨١ .

(٢) أوضح المسالك لابن هشام ١ - ٦٦ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش : ١ - ٢٧ .

(٤) السابق ١ - ٤٤ .

(٥) انظر الأشموني ٣ - ١٣٨ .

بالهاء : العامية (١) « وعللوا ذلك بأن « العلم لكثرة ندائه يناسبه الترخيم بالترخيم (٢) » ويقول سيبويه : « وليس الحذف لشيء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر وذلك لأنهم استعمواها كثيراً في الشعر وأكثرها التسمية بها للرجال ... وهو في الشعر أكثر من أن أحصيه (٣) .

وعلى ذلك فإن الأعلام : زينب وسعاد وجعفر وسعيد وأسماء ومروان ومنصور وشلال وقنديل تصير إلى : يازين ، وياسعا وياعفف ، وياعسى ، ويأسم ، ويامرو ، ويامنص ، ويشمل ، وياقند : ولغة « من لا ينتظر » تعامل الاسم حينئذ على أنه اسم مستقل ، والذي جوز الحذف في هذه الأعلام أنها متعينة لأصحابها ، وكونها مناداة يطلب إليها الإقبال لا يجعلها تلتبس بغيرها ويكنى مع هذا أن يذكر بعض الاسم فيذكر صاحبه ومن حوله أنه هو المقصود لذلك فيخف وحده لما نودي من أجله ، ويلاحظ - هنا - أن كل ما استشهد به النحاة في باب الترخيم لم يكن إلا من الشعر ، غير قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود - رضي الله

عنها - ويحيى والأعمش (٤) (ونادوا بآمال (٥) التي يقول عنها ابن فارس « والله أعلم بصحة ذلك » (٦) ولكن ابن جنى يرى في هذه القراءة سرّاً جديداً - على حد تعبيره - ، يقول : « وذلك أنهم ، عظم ما هم عليه ، ضعفت قواهم ، وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه ، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوته ، القادر على التصرف في منطقه (٧) وهناك عبارة نثرية يستشهدون بها في هذا الباب ، وهي « يا شا ادجني » (٨) وهي عبارة غريبة ، لأن الحيوانات لا تخاطب إلا بالزجر أو طلب الإقبال ويكون ذلك بأصوات مخصوصة ، أما أن يطلب إلى الشاة ان تدجن - أي تقيم في المكان - فذلك مما تسمح به لغة الشعر ، لما فيها من كثرة المجاز والتصوير ، ولعل هذه العبارة مقتطعة من رجز لم يشأ النحاة أن يذكروه ، ولذلك جاء فيها الترخيم . وقد قصر النحاة ، كذلك - ما عدا الفراء وابن مالك - تصغير الترخيم على الأعلام وحدها (٩) .

(١) السابق ٣ - ١٧٣ .

(٢) حاشية الصبان على الأسموني ٣ - ١٧٥ .

(٣) الكتاب لسيبويه ( بولاق ) ١ - ٣٣٥ .

(٤) انظر المحتسب لابن جنى ٢ - ٢٥٧ والإنصاف لابن الأنباري : ٢٢١ .

(٥) سورة الزخرف الآية ٧٧ .

(٦) الصحاح لابن فارس : ١٩٥ .

(٧) المحتسب لابن جنى : ٢ - ٢٥٧ .

(٨) الأسموني ٣ - ١٧٣ .

(٩) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك : ٢٨٩ .

ثالثاً : تنفرد الأعلام في الاستعمال العام بمجيتها على غير المألوف من قياس النحاة « ومن ذلك قولهم في العلم : حيوة ، وهذه صورة لولا العلمية لم يجز مثلها لاجتماع الواو والياء وسبق الأولى منهما بالسكون ، وعلّة مجيء هذه الأعلام مخالفة للأجناس هو ما هي عليه من كثرة استعمالها ، وهم لما كثرت استعماله أشدّ تغييراً » (١) لأن كثرة الاستعمال تزيد من ارتباط الاسم بالمسمى حتى إنه ليكنّى مع هذا الارتباط الوثيق ذكر بعض أصوات الاسم ، يقول ابن جنى « الأسماء الأعلام قد تغير كثيراً عما عليه غيرها مما ليس علماً نحو قولهم : رجاء بن حيوة وشهل ومزيد ومكوزة ومعد يكرب وموهب وموظب ومورق » (٢) ويبين السبب في هذا فيقول « فإن قلت : ولم جاز في الأعلام هذا التغيير كله ؟ قيل : لأنها كثيرة الاستعمال معروفة المواضع ، والشئ إذا كثرت استعماله وعرف موضعه ؛ جاز فيه من التغيير ما لا يجوز في غيره » (٣) وليس التغيير في الاسم العلم مقصوداً على التغيير في بنيته الصرفية فحسب ، بل إن ذلك ليتخطاها إلى الإعراب « ولما غيرت الأعلام في ذواتها ؛ جاز أن تغير في إعرابها ، فمن هنا جاز في الحكاية « من زيدا » و « من زيد »

ولم يجز ذلك في الرجل والغلام ونحوهما مما ليس بعلم هكذا قال أبو علي وهو الصواب « (٤) »

رابعاً : ما نزال - إلى الآن - نحرف الاسم العلم عن صورته الأصلية ويكون ذلك في مواقف مختلفة كالتخفيف من ذكر الاسم كاملاً أو التذليل أو التمليح أو غير ذلك من دواع ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان العلم مرتبطاً بصاحبه أو ثقت الارتباط وأقواه بحيث لا يؤدي ذلك إلى لبس أو غموض ، فضلاً عن أن بعض اللهجات في أقاليم مصر المختلفة تقطع الحرف الأخير من الاسم ، أو تكنى الشخص باسم أبيه ، كأن يكون اسم الشخص « محمد إبراهيم » فيتحدث عنه من يعرفونه باسم « محمد أبو إبراهيم » . وكل ذلك يتم بين أبناء البيئة اللغوية في وضوح تام دون نكير من أحد لأنه عرف سائغ .

ويمكن أن نجمل هذه الملاحظات التي التي قررها النحاة في عبارة موجزة هي أنه يجوز أن تغير بنية العلم في الاستعمال لعدم اللبس وإذا وضعنا هذا في الحسبان ؛ أمكن على ضوءه تحديد موقف الشعر من العلم .

إن الاسم العلم حينما يرد في الشعر لابد أن يكون معروفاً متعيناً لدى البيئة التي قيل

(١) الخصائص : ٣ - ٣٤ .

(٢) المنصف لابن جنى : ١ - ١٤٢ .

(٣) السابق : ١ - ١٤٣ .

(٤) السابق : ١ - ١٤٣ .

فيها هذا الشعر ، بحيث تكفى الإشارة إلى بعض حروفه أحياناً ، أو الصورة المغير إليها الاسم أحياناً أخرى ولا سيما إن كان الشعر الشعر « كثيراً ما تحرف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله»<sup>(١)</sup> كما يقول أبو الفتح . ويقول التميمي القزاز «ومما يجوز له في الاضطرار الإتيان باسم وهو يريد غيره ، ولكن فيما أتى بعض الدليل على ما يريد»<sup>(٢)</sup> ويقول أيضا «ومما يجوز له له تغيير الأسماء كما قال الأول :

\* ونسج سليم كل قضاء ذائل \*

يريد بقوله سليم : سليمان»<sup>(٣)</sup> وهكذا يكون موقف الشعر من الأعلام . وتكون عبارة القزاز دقيقة لو فهمنا الاضطرار على أنه الاستعمال الشعري الخاص لا الإلجاء والاحتياج ، ولا تهم - هنا - قواعد النحاة ، فما دام المعنى واضحاً مستقيماً ؛ فإن العيب ليس عيب الشعراء ؛ فإنهم هم أنفسهم الذين يحتج بشعرهم ، ولكن العيب عيب تلك القواعد التي قصرت عن شمول كل الظواهر لضيقها ضيقاً يكفل لها الاطراد :

لقد جاء الاستعمال الشعري على هذا النهج ، وهو الاعتماد على معرفة العلم في بيئته معرفة واضحة ، ولذلك كان الشعر يكتفى من العلم ببعض حروفه ، والتحرير فيه ، فجميل بن معمر يسمى « بثينه » ( بثنة ) في قوله :

لا ، لا أبوح بحب بثنة إنها  
أخذت على موثقا وعهوداً<sup>(٤)</sup>

ودو الرمة يسمى حبيته مية ( مى ) في قوله :

ديار مية إذ مى تساعفنا  
ولا ترى مثلها عرب ولا عجم<sup>(٥)</sup>

وفاطمة تصير إلى ( فاطا ) في قول الشاعر :  
فيا ليتنى من بعد ( فاطا ) وأهلها

هلكت ولم أسمع بها صوت إيسان<sup>(٦)</sup>  
ودريدين الصمة يسمى أخاه عبد لله ( معبدا )  
( في قوله يرثيه :

وإن تعقب الأيام والدهر تعلموا  
بنى قارب أنا غضاب لمعبد<sup>(٧)</sup>

(١) الخصائص ٣ - ١٨٨ .

(٢) مايجوز للشاعر في الضرورة : ٢١٠ .

(٣) السابق : ٢١٢ .

(٤) الأشموني ٣ - ٨٤ ، والهمع للسيوطي ٢ - ١٢٥ .

(٥) شرح السيرافي لكتاب سيوييه ١ - ٢١٩ (مخطوط) .

(٦) المحتسب لابن جني ٢ - ٢٠٣ .

(٧) الأصمعيات : ١٠٧ وشرح السيرافي ١ - ٢٣٦ .

وقد جعل السير في تحريف الاسم على هذا النحو في (عثمان أبو عفان) غلطا لا يجوز في الشعر ولا في الكلام .  
 وإذا كان الاسم أعجميا فإن التحريف فيه أكثر مثل (إبراهيم) فإنه يجيء على هذا النحو في قول الراجز :  
 أنفى لك اللهم عان راغم  
 مهما تجشمنى فإنى جاشم  
 عذت بما عاذ به إبراهيم<sup>(٦)</sup>  
 أو يجيء على هذا النحو :  
 نحن آل الله في كعبه  
 لم يزل ذلك على عهد إبراهيم<sup>(٧)</sup>  
 « وذلك أن إبراهيم اسم أعجمي ، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه » كما يقول ابن خالوية<sup>(٨)</sup> .  
 والنماذج لأنواع التحريف في صيغة العلم كثيرة في الشعر كما يقول ابن جنى ، وقد جعل بعض النحاة هذه الاستعمالات ضرورة في الشعر<sup>(٩)</sup> ، وبعضهم يسمي بعضها تحريفا كما فعل ابن جنى ، وبعضهم عد ذلك خطأ كما فعل ابن فارس . والواقع أن هذا كله ليس

ومن يسمى حازوقا يصير إلى (حزاق) في قول أمه ترثيه :  
 أقلب طرفي في الفوارس لأرى  
 (حزاقا) وعيني كالحجاة من القطر<sup>(١)</sup>  
 وثعلبة بن سيار يسمى (ثعلبة بن سير) في قول المفضل النكري :  
 وسائلة بثعلبة بن سير  
 وقد علقت بثعلبة العلوق<sup>(٢)</sup>  
 والبغيث يسمى عطية الخطفي أبا جرير (عطاء) في قوله يهجو جريرا :  
 أبوك عطاء الأم الناس كلهم  
 فقبح من فحل وقبحت من نجل<sup>(٣)</sup>  
 وعبد الأشهل يصير في الشعر إلى (عبد الأشل) في قول ابن الزبيري :  
 حين ألت بقباء بركها  
 واستحر القتل في عبد الأشل<sup>(٤)</sup>  
 وعثمان بن عفان يسميه الشاعر (عثمان أبو عفان) في قوله :  
 والشيخ عثمان أبو عفانا<sup>(٥)</sup>

(١) الأصمعيات : ٢٠١ والخصائص ٣ - ١٨٨ .

(٢) الخصائص ٢ - ٤٣٧ واللسان ١٢ - ١٣٨ (علق) .

(٣) الخصائص ٢ - ٤٣٧ واللسان ١٩ - ٣٠٢ (عطى) .

(٤) الخصائص ١ - ٨١ ، ٣ - ٤٣٨ واللسان ١٣ - ٣٩٧ (شهل) .

(٥) شرح السيراني ١ - ٢٣٦ .

(٦) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤ والرجز في اللسان مع خلاف في التقديم والتأخير ١٤ - ٣١٤ (برهم) .

(٧) إعراب ثلاثين سورة : ٤ .

(٨) السابق نفسه .

(٩) انظر مايجوز للشاعر في الضرورة : ٢١٠ ، ٢١٢ .

شيئاً من ذلك ، ولكنه نهج الشعر مع الأعلام اعتماداً على ما هو متعارف عليه بين الناس في نداء الأعلام أو التحدث عنها من جانب ، واعتماداً على توفز النفس وشحنه الاهتمام واستحضار كل دواعي الفهم عند تلقي الشعر من جانب آخر بحيث تصبح الإشارة والإيماء مغنية عن البسط والإسهاب فضلاً عما يدل عليه تغيير صورة الاسم من معان تختلف باختلاف الموقف .

ولعل عدم نظرة النحاة للشعر على أن له استعمالاً خاصاً للأعلام هو الذي دفعهم للاختلاف حول ترخيمها في غير النداء فجعله سيبويه ضرورة من ضرورات الشعر وعقد لذلك باباً خاصاً في كتابته<sup>(١)</sup> ، وأجاز في الاسم المرخم في غير النداء أن يجعل ما بقي منه اسماً مستقلاً ، « وليس بين النحويين خلاف أنه جائز له في غير النداء على أن يجعله اسماً مفرداً ويعر به بما يستحقه من الإعراب »<sup>(٢)</sup> ويجز سيبويه أيضاً وغيره من المتقدمين البصريين والكوفيين أن يبقى الاسم بعد الحذف على حاله « على لغة من ينتظر » ولكن المبرد

كان ينكر هذا ولا يجيزه في الشعر ويعلل الأبيات<sup>(٣)</sup> ، وحجته في ذلك أنه « حذف في غير النداء فأشبه حذف دم ويد فكما أن يداً ودماً وأمثالهم ( كذا ) يجرى آخرها بالإعراب فكذلك ينبغي أن يجرى آخر المرخم في غير النداء ضرورة »<sup>(٤)</sup> ، ويقول عن ذلك ابن عصفور : « وهذا الذي ذكره ليس بشيء »<sup>(٥)</sup> ، والذي أراه أن رأى سيبويه أشبه بما يتطلبه الشعر ولذلك لا أوافق المبرد على معياريته .

وبناء على ذلك لا نستطيع أن نوافق الكوفيين وابن مالك<sup>(٦)</sup> في تعميمهم وفرضهم لغة الشعر على النثر ؛ إذ يجيزون ترخيم المضاف في النداء بحيث يوقعون الترخيم في آخر الاسم المضاف إليه في الشعر والنثر على السواء مثل قول الشاعر :

أبا عرو لا تبعد فكل ابن حرة  
سيدعوه داعي مية فيجيب

وقول الآخر :

إما تريني اليوم أم حمز

قاربت بن عنزي وجمزي

(١) انظر : الكتاب ١ - ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) انظر الكتاب ١ - ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٣) شرح السير في ١ - ٢١٧ .

(٤) شرح السير في ١ - ٢١٨ .

(٥) شرح الجمل لابن عصفور ورقة ١٥٦ (مخطوط)

(٦) السابق نفسه .

(٧) انظر الهمع للسيوطي ١ - ١٨١ .

الواردة في هذا الباب كان أكثرها أعلاما  
معارف فامتنع الصرف « (٥) ويرى أن  
النصوص الواردة في هذا الباب ليس من السهل  
ردها (٦) ؛ ولذلك كان من النحاة من أجازها  
في فصيح الكلام (٧) ، وينقل السيوطي في ذلك  
أربعة آراء رابعها أنه يجوز في العلم خاصة (٨) ،  
والبصريون بأبون ذلك ويمنعونه ؛ ولذلك  
أولوا الأبيات الواردة في ذلك أو غيروا روايتها  
وتغير الرواية كثير في التراث النحوي - ومن  
أمثلة ذلك قول الشاعر :

فما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس في مجمع (٩)

وقول الآخر :

ومصعب حين جد الأ

مر أكثرها وأطيها (١٠)

وقول الآخر :

لتجدني بالأمير برا

وبالقناة مدعسا مكررا

إذا غطيف السلمي فرا (١١)

ولا يجيز البصريون ذلك في غير الشعر ، على  
أنه ضرورة (١) ، والذي نراه أن هذا استعمال  
شعري خاص بالأعلام ، ولاداعي لفرضه على  
النثر لأنه لا يرخم في غير النداء إلا العلم وحده  
لأنه المسموع ولا شاهد في غيره (٢) ، كما أنه  
لاداعي أيضا لأن نصفه بالضرورة لأن وصفه  
بالضرورة إنما هو بالقياس إلى عدم جوازه  
في النثر ، والذي تؤمن به وندعو إليه أن يفصل  
بين الشعر والنثر في التععيد النحوي لأن ذلك  
سيوفر الكثير من الحكم بالعلة والندرة والشذوذ  
والضرورة وغير ذلك ، وسوف يصحح ذلك  
كثيرا من الأحكام وينحرف كثيرا من القواعد  
التي أثقلت كاهل النحو زما ليس بالقصير .

ومن الاستعمالات الشعرية الخاصة بالأعلام  
والتي أثارت خلافا بين النحاة حذف التنوين  
من العلم في الموضع الذي ينبغي أن ينون فيه  
حسب قواعد النحاة ، ومن هنا أجاز الكوفيون  
منع العلم من الصرف لسبب واحد هو العلمية (٣)  
وأجاز ذلك ثعلب في الاختيار وتابعه أبو حيان (٤)  
ويقول ابن يعيش : « فاذا اعتبرت النصوص

(١) انظر المسألة ٤٨ من الإنصاف ١ - ٢١٤ .

(٢) انظر الهمع ١ - ١٨١ .

(٣) انظر المفصل للزنجشري : ١٧ .

(٤) انظر : الهمع ١ - ٣٧ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ١ - ٦٩ .

(٦) انظر السابق ١ - ٦٨ .

(٧) انظر شرح الصقار الفقيه لكتاب سيبويه ورقة ٢٦ (مخطوط)

(٨) انظر الهمع ١ - ٣٧ .

(٩) شرح السيراني ١ - ٢٠٤ وشرح المفصل ١ - ٦٨ .

(١٠) شرح السيراني ١ - ٢٠٤ .

(١١) اللسان ٧ - ٣٨٧ (دعس) .

وقول حسان بن ثابت :

أو من بنى زهرة الأخيار قد علموا

أو من بنى خلف الخضر الجلاعيد<sup>(١)</sup>

وقول الآخر :

عمرو الذي هشم الريد لقومه

ورجال مكة مستنون عجاف<sup>(٢)</sup>

وقول الآخر :

حميد الذي أمج داره

أخو الخمر ذو الشيبة الأصابع<sup>(٣)</sup>

ومن الاستعمال الشعري للعلم أيضاً أن يفعل

به عكس ماسبق أى يتونه في الموضع الذي

ينبغي ألاينون فيه حسبما تنص قواعد النحاة

كقول الشاعر :

جارية من قيس بن ثعلبة

كأنها حلية سيف مذهبة<sup>(٤)</sup>

وقول الآخر :

فان لم يكن مال يثاب فانه

سيأتى ثنائى زيداً بن مهلهل

وقول الآخر :

سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يامطر السلام<sup>(٥)</sup>

وقول الآخر :

ضربت صدرها إلى وقالت

يا عديا لقد وقتك الأواق<sup>(٦)</sup>

ومن الاستعمال الشعري للأعلام تنوين

الاسم العلم الذي حقه أن يمنع من الصرف ،

وشواهد أكثر وأشهر من أن تذكر ، وإن

كان هذا يدل على تطور في اللغة إذا نظرنا

إلى عدم صرف الاسم الممنوع من الصرف

على أنه بقايا تاريخية لما كان يستخدم في

مرحلة سابقة<sup>(٧)</sup> ثم أدت عوامل التخفيف

في العلم إلى نزع التنوين منه ، ثم نظر

إليها الشعراء فيما بعد على أنه من تقاليد الشعر

الخاصة فاستعملوه .

(١) شرح السير في ١ - ٢٣٣ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب .

وانظر الديوان : ٣٤٥ والبيت ملفق من بيتين هما في ديوانه :

أوفى الذراية من تيم وإخوتها أو من بنى جمع الخضر الجلاعيد

أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا أو من بنى خلف الزهر الأماجد

وانظر الكامل للمبرد : ٢٩/١

(٢) مايجوز للشاعر في الضرورة : ١٢٥ واللسان ٢ - ٣٥٢ ( سنت ) والرواية فيه « عمرو العلاء . . . »

(٣) المقتضب للمبرد ٢ - ٣١٣ واللسان ٣ - ٣٠ ( أمج )

(٤) الكتاب لسبوية : ٢ - ١٤٨ وشرح المفصل ٢ - ٦ .

(٥) هذا البيت وما قبله من شرح السير في ١ - ٢٠٣ .

(٦) الأشموني ٣ - ١٤٥

(٧) هذا إذا أخذنا بقول النحاة ، وهو أن التنوين هو الأصل ، ومنع الصرف طارئ لعله ، وإذا كان هذا

القول صحيحاً كذلك نحويًا وتاريخيًا ، وإلا فإن نولده يرى أن العربية - كما كان يتكلمها النبطيون قبل ميلاد المسيح وبعده

بقليل - كانت تستخدم الأسماء بدون تنوين ، والأسماء الممنوعة من الصرف كانت بلا نهایات إعرابية على الإطلاق ،

ومقتضى قوله أن هناك تطورا حدث في العربية إذ استخدمت الأسماء المنصرفة التنوين وأعربت الأسماء الممنوعة من الصرف

بلا تنوين . ( انظر اللغات السامية ٧٣ وما بعدها )



لقد أردت - فحسب - أن ألفت النظر إلى جانب من جوانب الدرس النحوي شتته النحاة وشعثوا ما يجب أن يجتمع من أمره، وأرى لدراسة هذه الظاهرة دراسة وافية مجدية أن نحدد فترة زمنية معينة نجتمع شعرها، ونستخرج الأعلام من هذا الشعر، ثم نصنفها ونصف استخداماتها دون أن نقول إن هذا الاستعمال أو ذلك ضرورة أو خطأ أو غلط أو غير ذلك من أحكام، بل ننظر إليه على أنه استعمال شعري خاص مادام غير موجود في النثر؛ وبذلك نريح النحاة من الخلافات التي نشبت بينهم بسبب بعض هذه الاستعمالات، ومن لجوء بعضهم إلى إنكار الرواية جملة لبعض الأبيات، وكأن ذلك يعنى من تفسيرها ودراستها، أو تخريجها وتأولها على غير ماوردت به مما أثقل كاهل النحو.

محمد حماسة عبد اللطيف

كما أن من الاستعمال الشعري للعلم كذلك أن يمد إذا كان مقصوداً مثل قول الشاعر :  
قد علمت أخت بني السعلاء<sup>(١)</sup>  
أو يقصر إذا كان ممدوداً مثل قول  
الشاعر :

لا بد من صنعا وإن طال السفر<sup>(٢)</sup>

وقول جرير :

ونبئت جواباً وسكنناً يسبني

وعمر بن عفرا لاسلام على عمرو<sup>(٣)</sup>

أو يزيد في حروفه كقول الشاعر وذكر

( ميسان ) فجعلها ( ميسان ) :

وما دمية من دمي ميسان

بمعجبة نظراً واتصافاً<sup>(٤)</sup>

وقول الأسدي :

وخافت من جبال السغد نفسى

وخافت من جبال خوارزم<sup>(٥)</sup>

وقد قال أبو الفتح ابن جنى عن مثل

هذا الاستعمال : « وهذا - لعمرى -

تحريف بتعجرف عار من الصنعة »<sup>(٦)</sup> :

(١) شرح الجمل لابن عصفور : ١٣٨ والسعلاء أخبث الغيلان وكذلك السعلاء يمد ويقصر اللسان ١٣ - ٣٥٧

(سمل)

(٢) السابق نفسه .

(٣) الكتاب لسيبويه ١ - ٣٥٧ .

والبيت في ديوانه صفحة ٤٢٥ وانظر اللسان : ٨٢/١٨ وطبقات فحول الشعراء لابن الإسلام ٣٢٨

(٤) الحصائص ١ - ٢٨٢ - ٢٠٤٧ م

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جنى ١ - ٢٠٦ .

(٦) الحصائص ١ - ٢٨٢ .

# ملاحظات على تطور التأليف للمعجمي عند العرب للأستاذ تيمس بلاشير ترجمة الأستاذ أحمد درويش

والتي لم يعد يكفي المطبوع منها للاستجابة  
لحاجة القراء التي أصبحت ملحة ، ومع  
ذلك فليس من التزيد دون شك ، العودة  
إلى دراسة مرحلة المنابع المعجمية  
وخاصة تلك التي شكلت الهيكل الرئيسي  
للتأليف المعجمي ، بدءاً من القرن الثاني  
الهجري ، حتى ظهور ذلك السفر الحليل  
« لسان العرب » ، وخلال تلك الحقبة الطويلة  
كان ما فعله التأليف المعجمي العربي  
يتجاوز في قيمته مجرد القول بأنه نجح في  
إكمال رسالته ، فلقد غير في خلالها مرات

كان تطور التأليف المعجمي عند العرب  
موضوعاً لدراسات عميقة بدرجة أو بأخرى، (١)  
وبفضل هذه الدراسات لم تعد معرفة المصادر  
التي تشكل الهيكل الرئيسي في هذا الفرع  
تطرح مشاكل تستعصى على الحل ، وتبقى  
الأهداف التي يراد إنجازها بعد ذلك في هذا  
المجال ، سهلة الإحاطة والمعالجة .

لقد تمت مهمة بالغة ، إنجاز طبقات  
أمهات المعاجم التي لم تكن قد طبعت من قبل  
مثل « تهذيب الأزهري » ، وفي الوقت نفسه  
تمت إعادة طبقات المعاجم الكثيرة الاستعمال ،

(١) مثل دراسة جولديزير : Batir zwy Geschichte des Sprachgelehrsamkeit bei der

Arabern Sizinglerichteder Ak Wien Lxxii ( 872 ) 587 299 . والتي ظهرت في

وإلى دراسة Krenkow بعنوان : (1929) Suppl.J. R.A . S. في The beginnigs of Arabic lexicography

وإلى دراسة Rosenthal بعنوان : The techniqie nnd anproache of Muslin Scheel - Arship . 2 .

وإلى دراسة Kraemer بعنوان : Studien Zur Altavabischen Lexikogrophis والمنشورة في مجلة  
Oyiens VI (1923) 20 - 238 .

وإلى الدراسات غير المطبوعة . فهو بصفة رئيسية بدراسة عبد الله درويش : المعاجم العربية .  
القاهرة ١٩٥٦ \*

\* اطلع كاتب المقال على المؤلف مخطوطاً ، وقد طبع دكتور عبد الله درويش بعد ذلك كتابه  
تحت نفس العنوان : المعاجم العربية . القاهرة سنة ١٩٥٦ م ( المترجم )

عديدة ، أهدافه ومقاصده ، واتسمت بعض  
مراحله كذلك بالتقصير .

ونريد هنا إعادة النظر في الأثر الذي  
أحدثته بعض آيات القرآن في المرحلة الأولى  
بصفة عامة على الجهود التي كانت تهدف  
إلى الجمع المعجمي للغة العربية .

لقد تعرضت التقاليد العبرية قبل الإسلام  
بقرون لقضية أصل اللغة ، ويمكن أن نقرأ  
عن ذلك في الإصحاح الثاني من سفر التكوين :

١٩- وجبل الرب الإله من الأرض كل  
حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ،  
فأحضرها إلى آدم ، ليرى ماذا يدعوها ،  
وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها .

٢٠- فدعا آدم بأسماء جميع البهائم ،  
وطيور السماء ، وجميع حيوانات البرية ،  
وأما لنفسه فلم يجد معيماً نظيره .

وكما نرى هنا فإن اكتساب اللغة ، كان  
نتيجة لتجربة الإنسان ذاته ، والحدث الإلهي

لم يتدخل إلا لكي يظهر إلى أي حد خلق  
آدم مميّزاً بعقريته تفضله على المخلوقات الأخرى  
أما في القرآن فإن نشأة اللغة تبدو على  
العكس من ذلك ، وكأنها عطاء مفضل به  
على الإنسان ، ذلك المخلوق المميز ، كما جاء  
في سورة الرحمن في بداية نزول القرآن بمكة  
(حوالي ٦١٢ م) : « الرحمن ، علم القرآن ،  
خلق الإنسان ، علمه البيان » ( ١ - ٤ ) ؛  
وفي آيات أخرى نزلت بالمدينة ، نجد  
سمة أخرى ، ذات مغزى كبير ، لذلك  
التصور الذي سيفرض نفسه على الجيل  
الأول من المسلمين ، فيما يتصل باللغة كعطاء  
معجز\* : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم  
على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم  
صادقين ، قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا  
ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم  
أنبئهم بأسمائهم . ( البقرة ٣١ - ٣٣ )

وهن المناسب أن نضيف إلى هذين النصين  
ثلاثاً وثلاثين آية وردت في القرآن بهذا الصدد (\*) .

(\*) الآيات التي يشير لها بلاشير بعد ذلك بقليل ، أورد ثبتنا بأرقامها في فهرس ترجمته الفرنسية للقرآن تحت عنوان «المصدر  
الإلهي للوحى القرآني» وهي الآيات التالية : ( إنه لقول رسول كريم ) التكوين : ١٩ ( تنزيل من رب  
العالمين ) الواقعة : ٨٠ ( إن هو إلا وحي يوحى ) النجم : ٤٠ ( فأوحى إلى عبده ما أوحى ) النجم : ١٠ ( تنزيل من  
خلق الأرض والسموات العلى ) طه : ٤ ( وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ) طه : ١١٢ ( وإنه لتنزيل رب  
العالمين ) الشعراء : ١٩٢ ( الذين جعلوا القرآن عضين ) الحجر : ٩١ ( قال ربني يعلم القول في السماء والأرض وهو  
السميع العليم ) الأنبياء : ٤ ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ) الأنبياء : ٥٠ ( تنزيل من الرحمن الرحيم )  
فصلت : ٢ ( لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) فصلت : ٤٢ ( تنزيل الكتب من  
الله العزيز الحكيم ) الجاثية : ٢٠ ( تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم ) غافر : ٢ ( تلك آيت الكتب المبين ) القصص : ٢  
( كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ) الشورى : ٣ ( فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين  
يقرءون الكتب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين ) يونس : ٩٤ ( وإذا لم تأتكم بآية قالوا  
لولا اجئتنا قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) الأعراف : ٢٠٣  
( تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ) الأحقاف : ٢ ( قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن

لقد وجدت إذن مسلمة دينية ، وجهت بصفة رئيسية ، « عملية الجمع اللغوية » لدى علماء المعاجم المسلمين في العراق منذ بدايات بحوثهم ، حيث الاعتقاد بأن الكلام منحة من الله ، ولغة العرب هي أسمى اللغات ما دامت هي تلك التي فضلها الله على جميع اللغات واختارها لغة لرسالته الأخيرة للإنسانية. ولقد لعبت التفاسير الإسلامية دوراً هاماً في أن تنسج من هذه المسلمة نظرية كاملة حول قضية « أصل اللغة » ، ومن هنا كانت مهمة المعجميين محوطة تماماً بالاستجابة للون من التعاليم الدينية ، وكانت المشكلة قبل كل شيء هي اكتشاف كل المدلولات التي كان ينبغي أن تنطوي تحت لفظ « البيان » ( في

مثل قوله : علمه البيان ) وأهم من ذلك اكتشاف كل المدلولات المنطوية تحت اللفظ الأكثر غموضاً « الأسماء » ( في مثل قوله : « وعلم آدم الأسماء » ) ، وهو لفظ عام يطلق على « الدال » ولكنه هنا ينبغي أن يؤخذ على أنه مراد به « المسميات » .

ولقد عكست بوضوح روايات المشافهة ، التي كانت روافد التفسير ، « التصور العائم » لمعنى كلمة « الأسماء » لدى الأجيال التي تلت الجيل الأول من المسلمين ؛ ففي نهاية القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) حفظ لنا التفسير ، الذي لا تقدر نفاسته ، تفسير الطبري ( متوفى ٩٢٣ م ) عبر سلاسل الإسناد المختلفة صدى لهذه التأويلات المترددة<sup>(١)</sup> :

== أتبع إلا ما يوحى لك وما أنا إلا نذير مبين ( الأحقاف : ٩ ) قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ( الأحقاف : ٣٠ ) ( وأوحى إلى هذا القرآن لآ نذركم به ومن بلغ ) الأنعام : ١٩ ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ) الأنعام : ٩٢ ( أفغير الله أتبعي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتب مفصلاً ، والذين أتيتهم الكتب يعلمون أنه نزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) الأنعام : ١١٤ ( المر تلك آيت الكتب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون )<sup>(١)</sup> الرعد : ( وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ) البقرة : ٩١ ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ) البقرة : ١٧٠ ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ) البقرة : ١٨٥ ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) النساء : ٨٢ ( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً ) النساء : ١٧٤ ( سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات ) النور : ١<sup>(\*)</sup>

(\*) ثبت أرقام الآيات لدى بلاشير ورد في الترجمة الفرنسية للقرآن . وقد لاحظنا أثناء كتابة الآيات المقابلة للأرقام أن هناك أرقاماً واضحة أنها كتبت خطأ مطبعياً بالتقديم أو التأخير الطفيف فأثبتنا ما يتمشى مع السياق العام ونورد هنا أرقام ما غيرناه كما أتت بلاشير ( الواقعة : ٨٠ ) ، الشعراء : ٢٠١ ، الأحقاف : ٢٨ ، البقرة : ١٨١ ، آل عمران : ٣٩ . وقد أثبتنا في قائمة الآيات ما رأيناه قريباً منها فليراجع . « المترجم » .

(١) يورد الطبري في تفسيره « جامع البيان في تفسير القرآن » ( ١ : ٤٨٢ - ٤٨٦ ) سلسلة من الأسانيد تنتهي إلى العباس ، وأحياناً إلى قتادة ، حيث نجد كلمة « أسماء » تحمل معنى الأسماء التي يتعارف بها الناس كإنسان وداية وأرض وسهل . أو لاسم كل شيء ( حتى الهنة والهنية ) ، وفي أسانيد أخرى في نفس الكتاب ، يقدم تأويلات أخرى تفسر « الأسماء » ( في قوله : وعلم آدم الأسماء ) . فإنها أسماء ذريلا آدم وأسماء الملائكة ، وبين هاتين السلسلتين من التأويلات يفضل الطبري التأويل الثاني ( ذريته والملائكة ) الذي يعشى مع بقية النص في رأي الطبري . =

وفي نفس الوقت ، سوف تنمو حركة طبيعية ، برغم مخالفتها للمألوف السائد آنثد ؛ لقد فهم النص القرآني « وعلم آدم الأسماء كلها » فهماً حرفياً ، وكان من الطبيعي ، بناء على هذا الفهم ، أن يحدد المجموع الضخم للكلمات التي وهبها الإنسان عندما منحت اللغة له ، ويبدو أن مدرسة نحويي البصرة ، كانت أول من شغل بتقديم إجابة على القضايا التي أثيرت في هذا الصدد ، وهنا فرض منهج « العد والإحصاء » نفسه ووصل الأمر ببعضهم إلى إحصاء مجموع ما منحه الإنسان الأول من ملايين الكلمات التي كان يوضح بها حاجاته ، والتي امتازها على مجموع المخلوقات الأخرى<sup>(١)</sup> .

إن التناقض بين منهج « العد والإحصاء » هذا وبين « الحقيقة اللغوية » بدا واضح البداهة لدرجة كان يمكن معها أن تدعو البعض إلى الدهشة من هذا الفهم غير المريح ، ويبدو أن مبدأ « التناقض الصوتي » كان قد فرض نفسه منذ فترة مبكرة على المنظرين أنفسهم ، وقادهم ذلك إلى التفريق بين « ما يمكن تفصيله » و « ما لا يمكن تفصيله » ، أو إذا شئنا بين المعجم الحي والمعجم النظري .

على هذا النحو ، انفتح مجال واسع لانتهائى « للإحصاء » اللغوي المعتمد على ذاته ، إذا صح هذا التعبير ، والمتحرر من القانون الدينى ( القائل بأن اللغة منحة للإنسان ) :

وبالتوازي مع حركة الإحصاء الشاملة للغة تلك ، نرى تطوراً واسعاً في « الرغبة في البحث » لدى كل من فقهاء اللغة في مدرستي البصرة والكوفة على السواء ؛ حيث نرى إشباع الفضول العلمى هو المحرك الأساسى للباحث. والتنقيب في حياة علماء اللغة المعروفين آنثد ، يؤكد حدة ذلك الفضول ، والتي تبدو في عناوين الكتب التي خلفتها هذه الشخصيات ؛ فكثيراً ما نجد « كتيبات » يحدد فيها العالم جهده ، دون كثير من الغرور والادعاء ، في ملاحظة المفردات التي ثبتت نسبياً لديه ، والمتصلة بموضوع ما من موضوعات الحياة الصحراوية ، في الحضارة البدوية ، أو في حيوانات أو نباتات الأعراب وعبر هذا المنحنى ، كان يتجه العلماء بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن « الغريب » الذي كان يكثر وروده في القصائد ، التي كانت تجمع أصالتها موضع نزاع ، والتي كانت تجمع من أفواه رواة البادية . وتدين لهذا المنحنى

= ولقد أحسن « فخر الدين الرازى » في تفسيره « مفاتيح الغيب » بعدم إقذاع التأويلات الحرفية والنحوية للطبرى ، ولقد نجح في أن يشعرنا بكل ما في كلام الطبرى من غموض ، بعد تمحيصه لهذه التأويلات غير المحددة ، وعند الرازى ، أن « الأسماء » في قوله : وعلم آدم الأسماء كلها ، تعنى « صفات الأشياء ونوعاتها وخواصها » ، ولقد أخذ الرازى هذا المعنى من الجذر الأصلى للكلمة وهو « وسم » التي تعطى تماماً معنى « السمات » ( والخصائص ) وقد أكد البيضاوى بدوره كذلك ، على المعنى الأصلى العام لكلمة « أسماء » .

(١) السهولى : المزهرة ١ : ٧٤ مع إحالته إلى حمزة الأصمغفاني .

أيضاً ، إعادة بناء جزء من المعجم الحضري بطريقة غير منتظمة إلى حد ما .

إن دراسة بعض الأعمال ، التي وضعت تحت عنوان « فقه اللغة » في ذلك الوقت تؤكّد أصالة هذا المنهج الرائع ، الذي تبعه هؤلاء الباحثون ، وإذا كان مؤلفو بعض هذه الكتب لم يتعدوا أحياناً طبقة « المدونين » فلقد كان الأمر على العكس من ذلك في حالات أخرى كثيرة ، خاصة في كتب « النبات » حيث يرتفع البعض إلى مستوى الملاحظات الدقيقة المدونة بمصطلحات تجرّ على الإعجاب لدقتها ، ويرد على الدهن هنا خاصة ، أعمال « أبي حنيفة الدينوري » .

وابتداء من القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) سوف يكتسب هدف البحث المعجمي شكلاً جديداً ، بمعنى أنه سيفصل عن المسلمة الدينية ، التي كان مديناً لها بولادته ، وسوف تنتظم هذه الأبحاث تحت تأثيرات جديدة ، ويظهر هذا في إنتاجين رئيسيين هما : « الجمهرة » لابن دريد ( المتوفى عام ٩٣٣ م ) و « تهذيب الأزهري » ( المتوفى عام ٩٨٠ م ) ، ولحسن الحظ فإن كلا من هذين المعجمين قد صدر بمقدمة وضح فيها المؤلف هدفه ، ومنهجه بطريقة تجعل من الممكن بالنسبة لنا ، أن نقوم ، من خلال النصوص ، تطور المفاهيم المعجمية بالقياس إلى تلك التي كانت سائدة في المرحلة الأولى لدى الخليل :

وواضح أن مؤلفي هذين المعلمين ، يتجهان على السواء ، إلى أن يضعوا أمام القارئ ، إحصاء كاملاً للغة ، وإلى أن يعيدا تناول العناصر التقليدية ، وضبطها بدرجة أو بأخرى طامحين إلى التزويد بأداة لغوية للبحث تكون صورتها الوحيدة ، اللسان العربي النحوي :

وفي بداية القرن الرابع ، جاء العربي - الفارسي ، ابن فارس ( المتوفى عام ١٠١٤ م ) فغذى طموحاً مماثلاً ، لكنه ، فيما يبدو ، لم يكن له نفس القدر من الصدى الذي كان لسلفيه ، ومن ناحية أخرى ، تميز كل ذلك الإنتاج ، بصعوبة الاستعمال ، لأن الجذور لم ترتب إطلاقاً وفق الترتيب الألفبائي الذي يتطابق مع ما تقتضيه ضرورة الاستعمال ، ومن ثم فقد تمخض القرن الرابع عن ثورة معجمية ثانية ، ومن المحتمل أن يكون قد حدث ذلك ، تحت ضغط الحاجة التطبيقية التي وجدت في الحواضر الثقافية في إيران والعراق . وبطل هذا التجديد ، مرة أخرى ، عربي فارسي هو « الجوهري » ( المتوفى نحو عام ١٠١٥ م ) والشهرة التي لقيها صحاح الجوهري ، ليست عفوية ، فعلى مدى عدة قرون ، ظل هذا الكتاب صامداً ، مما يوضح إلى أي حد لبي حاجات الناس في هذا النهج الجديد .

في هذا الاتجاه ، دخل « الغرب الإسلامي » بدوره . باتجاهين قويين مختلفين ؛ فلقد استطاع المعجمي الضمير « ابن سيده »

عدم اهتمامهم إلى سر نجاح هذا القاموس .  
وحتى « دوزى » نفسه ، لم يكن لديه دائماً  
تفسير لسر رواجه .

لقد كان ينبغي الانتظار حتى نهاية القرن  
التاسع عشر ، وطبع « لسان العرب » لابن  
منظور الإفريقي ، لكي نرى من جديد ،  
ظهور قضايا التأليف المعجمي العربي في قمتها  
عبر كتاب مدهش ومثير ، وهذا المعلم لا يبدو  
لنا فقط معجماً جامعاً ينبغي الرجوع إليه  
على الدوام ، إنه كذلك ، وربما قبل كل  
شيء ، الدليل في مجال التأليف المعجمي ،  
كالشأن في مجالات أخرى كثيرة ، على أن  
الزعة الإنسانية الإسلامية العربية ، كانت  
قد عرفت الارتفاع إلى مستوى الاحتياجات  
الكبرى للثقافة .

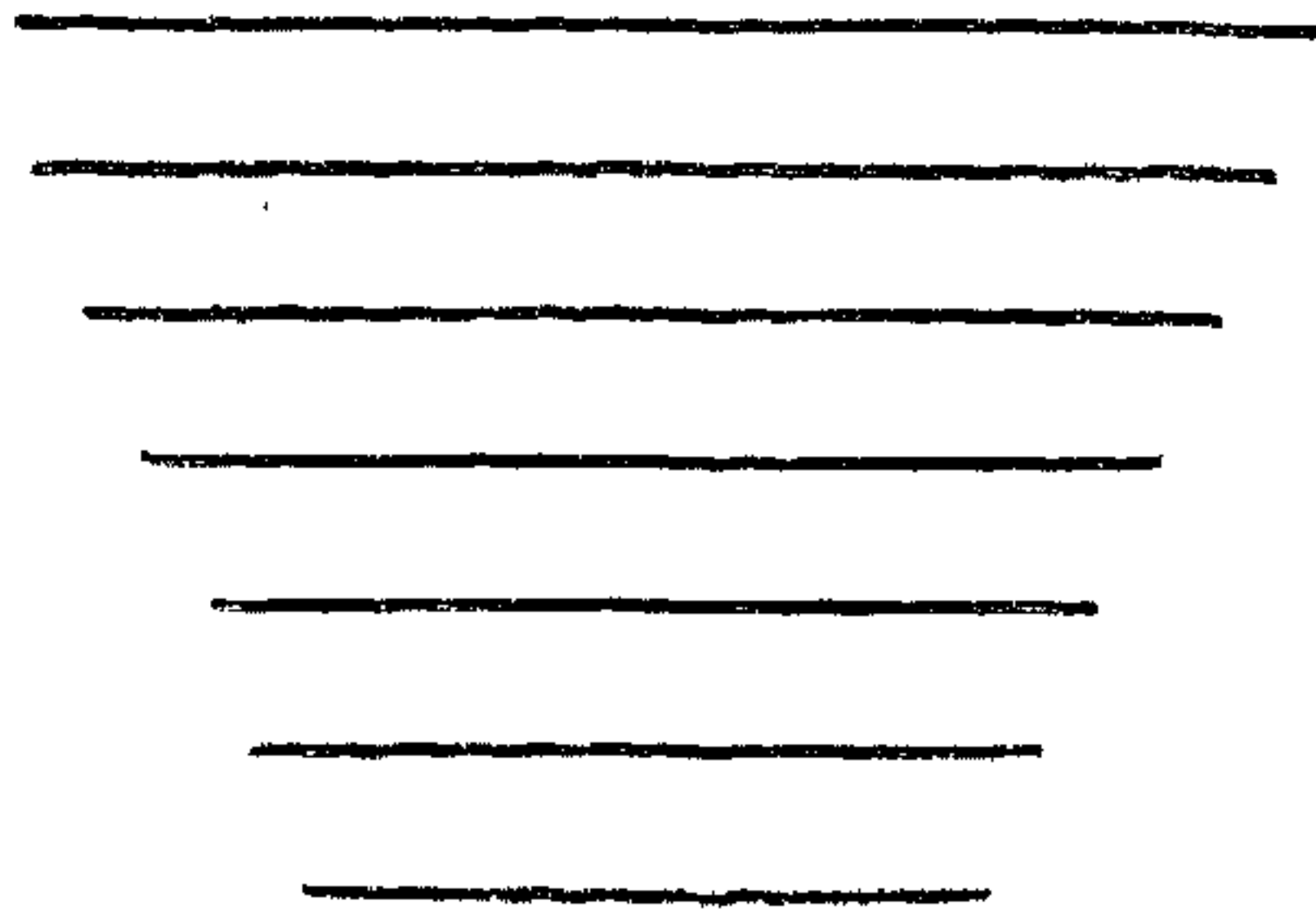
**ريجيس بلاشير**

( المتوفى عام ١٠٦٦ م ) أن يبدو ، في ذات  
الوقت ، مجلاً و متمماً لابن دريد والجوهري في  
« المحيط » ، ومجدداً في « المخصص » الذي  
يبدو لنا محاولة نجحت في الوصول إلى ماتسميه  
معجم المتشابهات

Dictionnaire analogique

لكن عبر أية ظروف تجمد الشرق بعد  
ثلاثة قرون من ذلك أمام أنماط كان قد  
تجاوزها وحقق نكوصاً بالقياس إلى ما قدمه  
الصحيح ؟

تلك مشكلة يطرحها « القاموس » الشهير  
للفيرزبادي (المتوفى عام ١٤١٥ م ) ؛ فتعليل  
رواج هذا القاموس المحمل ، بسهولة استعماله  
فقط ، هو لا شك تعليل مغر ، ولكنه  
لا يشكل وحده تسويغاً كافياً ، والحق  
أن المهتمين بالدراسات الشرقية ، عانوا من



# علم الأرض وفقه اللغة العربية للدكتور علي السكري

من عمل حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدي :  
وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي ( المتوفى  
سنة ٥٤٢٩ هـ - ١٠٣٨ م ) توجد ثلاثة أبواب  
في علم الظواهر الجوية وعلم الأرض  
الطبيعي وعلم المعادن وبيانها كالاتي : الباب  
الخامس والعشرون في الآثار العلوية وما يتلو  
الأمطار من ذكر المياه وأماكنها : الباب  
السادس والعشرون في الأرضين والرمال  
والجبال والأماكن والمواضع وما يتصل  
بها. الباب السابع والعشرون في الحجارة ،  
بالإضافة إلى أبواب أخرى في ذكر ضروب  
الحيوان وأوصافها ( الباب السابع عشر )  
وفي النبات والزرع والنخل ( الباب الثامن  
والعشرون ) :

وتشمل هذه الأبواب عرض الكثير  
من المصطلحات العربية الأصل بحسب  
موضوع كل باب ثم التعريف بالمصطلح ،  
بالإضافة إلى تصنيف الباب الواحد إلى  
عدة فصول يربطها وحدة الموضوع .  
وتتدرج بعض الفصول في تعريف الظاهرة  
الواحدة من الأصغر للأكبر أو من القليل  
للكثير مع توضيح الفروق والاختلافات  
الدقيقة بين الدرجات المختلفة :

**تمهيد**  
اللغة العربية عن سائر  
اللغات بما تحويه من ثروة  
لفظية ضخمة ومرادفات للكلمة الواحدة ،  
الأمر الذي يمكن هذه اللغة من إبراز  
المعاني بصورة واضحة كما يمكنها من  
دقة التعبير : وللأسف فنحن اليوم  
لا نستخدم من ألفاظ اللغة العربية إلا القليل ،  
في حين قد تركنا أكثرها وراء ظهورنا .  
فإذا أضفنا إلى ذلك استعمال الكثير من  
الألفاظ الدخيلة والغريبة ظهر لنا مدى  
بعدنا عن اللغة العربية . ونتيجة لهذا البعد بدت  
اللغة العربية أمام البعض وكأنها قاصرة  
عن تلبية احتياجاتنا اللغوية وبالأخص في  
المجالات العلمية .

ولحسن الحظ فإن الثروة اللفظية لهذه  
اللغة مازالت تزخر بها الكثير من المعجمات  
الضخمة بجانب العديد من كتب فقه اللغة .  
وفي كتب فقه اللغة نجد تأصيلا لمعاني  
الكلمات وتعريفا بها ثم تصنيفا لها حسب  
الموضوع : ومن بين هذه الكتب القيمة  
كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب المخصص  
لابن سيده الأندلسي ثم كتاب الإفصاح



وهكذا فكأن هذه الأبواب اللغوية الأصل تمثل بدايات فريدة للعلوم المقابلة . فمثلاً الباب الذى يعالج الآثار العلوية ومايتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها كأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الظواهر الجوية الحديث ، والباب الذى يعالج الأرضين والرمال والجبال فكأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الأرض الطبيعي ، والباب الذى يعالج الحجارة فكأنه يمثل بدايات علم المعادن . وهنا فقط تتداخل اللغة فى العلم ؛ ويتداخل العلم فى اللغة . وساعد تصنيف المصطلحات فى أبواب موضوعية فى كتب فقه اللغة على إعطاء بعض العلوم معالم شخصية مستقلة له ، فالباب الذى يشمل الألفاظ الخاصة بالآثار العلوية ساعد فى نمو واستقلال علم الظواهر الجوية .

وإذا رجعنا إلى الباب الخامس والعشرين من كتاب فقه اللغة للثعالبي وهو يعالج الآثار العلوية ( أى علم الظواهر الجوية ) وجدناه يشمل الفصول الآتية : الفصل الأول : الرياح - الفصل الثانى فيما يذكر منها بلفظ الجمع - الفصل الثالث فى تفصيل السحاب وأسمائها - الفصل الرابع فى ترتيب المطر الضعيف - الفصل الخامس فى ترتيب الأمطار - الفصل السادس فى ترتيب صوت الرعد على القياس والتقريب - الفصل السابع فى ترتيب البرق - الفصل الثامن فى فعل

السحاب والمطر - الفصل التاسع فى أمطار الأزمنة - الفصل العاشر فى تفصيل أسماء المطر وأوصافه - الفصل الحادى عشر فى تقسيم خروج الماء وسيلانه من أماكنه - الفصل الثانى عشر فى تفصيل كمية الماء وكيفيةها - الفصل الثالث عشر فى تفصيل مجامع الماء ومستنقعاتها - الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار - الفصل الخامس عشر فى تفصيل أسماء الآبار وأوصافها - الفصل السادس عشر فى ذكر الأحوال عند حفر الآبار - الفصل السابع عشر فى الحياض - الفصل الثامن عشر فى ترتيب السيل تفصيله :

ونستعرض فيما بعد محتويات بعض الفصول المشار إليها . فالفصل الثانى وهو يتعلق فيما ما يذكر من الرياح بلفظ الجمع يستطرد هكذا : الرياح الحواشك المختلفة والشديدة ، البوارح الشمال الحارة فى الصيف ، الأعاصير التى تهيج الغبار ، اللواحق التى تلتفح الأشجار ، المعصرات التى تأتى بالأمطار ، المشرات التى تأتى بالسحاب والغيث ، السوائى التى تسنى التراب . وانظر إلى محتويات الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار ، يقول الثعالبي عن الأئمة : أصغر الأنهار الفلج ، ثم الجدول أكبر منه قليلاً ، ثم السرى ، ثم الجعفر ، ثم الربيع ، ثم الطبع ، ثم الخليج .

تصف ظاهرة بعينها قد تكون أحيانا من  
التعدد والكثرة بحيث يصعب إيجاد مقابل  
لها في اللغات الأجنبية الأخرى. وبهذا  
تتميز اللغة العربية عن بعض اللغات الأجنبية  
بوفرة ثروتها اللفظية بالإضافة إلى قدرتها  
التامة على التعبير :

**كشاف بعض المصطلحات العربية في الأحجار  
التي تتخذ أدوات ( مختارات مما ذكر ) :**

الصلاية : الحجر العريض يسحق عليه  
الطيب .

المسحنة : الحجر يدق به حجارة الذهب .

النشفة : الحجر الذي تدلك به الأقدام :

الربيعة : الحجر الذي يرفع لتجربة  
شدته والقوة .

المسن : الحجر الذي يسن عليه الحديد أي  
يحدد .

الملطاس : الحجر الذي يدق به في المهراس .

المرداس : الحجر الذي يرمى به في البئر  
ليعلم أفياها ماء أم لا أو يعلم مقدار  
غورها .

المرجاس : الحجر الذي يرمى به في البئر  
ليطيب ماءها ويفتح عيونها .

الظزر : الحجر المحدد الذي يقوم مقام  
السكين .

الحمرة : الحجر يستجمر به في جمار  
المناسك .

وفي السفر العاشر من كتاب المخصص  
لابن سيده الأندلسي ( المتوفى سنة ٥٤٥٨هـ /  
١١٨١م ) ذكر أسماء الوادي و نعوته  
وتضم ١٤ اسما مميزا تصف الأنواع المختلفة  
من الأودية بيانها كالاتي : الخندق -  
العرض - الوادي - الغال - السليل - واد  
هيجج - الرغيب أي الضخم - الزهيد -  
مسلطح إذا لم يكن الوادي عميقا - لاخ  
خفيف إذا كان عميقا - واد نخضار  
وهو كثير الشجر والخرج - الأفجيج  
وهو الوادي الضيق العميق - الكركور  
وهو واد بعيد القعر - الشانخة نوع  
من الأودية ينبت نباتا حسنا .

وهكذا يتضح أن اللغة العربية ثرية في  
ألفاظها ومصطلحاتها وبالأخص في المجالات  
العلمية المختلفة . وبين الكشاف المرفق  
بعض المصطلحات التي استعملها العرب  
في وصف الحجارة ، وهي مأخوذة  
من كتاب فقه اللغة للثعالبي . ونحن ندعو  
لنشر هذه المصطلحات وغيرها في فروع  
العلم المختلفة والتعريف بها حتى تنتشر  
ويعم استعمالها ، كما أنها قد تساعد في عملية  
ترجمة العلوم إلى العربية . وحبذا لو اتبعنا  
أسلوبا جديدا في ترجمة المصطلحات  
العلمية ، فبدلا من أن نترجم المصطلح  
الأجنبي إلى العربية نبدأ بالمصطلحات  
العربية الأصل ونحاول إيجاد المقابل  
لها في الأجنبية سواء أكانت الإنجليزية  
أو الفرنسية أو الألمانية . هذا ويرى بعض  
الباحثين أن المصطلحات العربية التي

الظرب : كل حجر ثابت الأصل حديد  
الطرف :

العقاب : صخرة ناشزة في قاع البئر .  
الكديد : الحجر تسترة الأرض ويبرزه  
الحفر .

اللجيفة : صخرة على الغار كاللباب .  
اللخاف : فيها عرض ورقة .  
اليهير : حجارة أمثال الأكف .  
أتان الضحل : صخرة قد غمر الماء  
بعضها وظهر بعضها .  
الصلعة : الصخرة المساء البراقة .  
الصيدان : حجر أبيض تتخذ منه البرام .

**في ترتيب مقادير الحجارة على القياس  
والنقريب :**

حصاة : إذا كانت صغيرة .  
نبلة : إذا كانت مثل الحوزة .  
قتزعة : إذا كانت أعظم من الحوزة .  
مقذاف ( ورجمة ومرادة ) : إذا كانت  
أعظم منها وصلحت للقذف .  
يهير : إذا كانت ملء الكف .  
فهر : أعظم منها .  
جندل : أكبر منها .  
جلمد : تليها في الكبر .  
صخرة : تليها في الكبر .  
قلعة : وهي التي تنقلع من عرض جبل ،  
وبها سميت القلعة التي هي الحصن .

**على السكرى**

البلطة : الحجر الذي تبلط به الدار أى  
تفرش .

الجمارة : الحجر يجعل حول الحوض لئلا  
يسيل ماؤه .  
الآرام : حجارة تنصب أعلاما .

**في تفصيل حجارة مختلفة الكيفية :**

اليرمع : حجارة بيض تلمع في الشمس .  
اليلمع : مثل ما سبق .  
الحممة : حجارة سود تراها لاصقة بالأرض  
متدانية ومتفرقة .  
البراطيل : الحجارة الطوال واحدها برطيل .  
البصرة : حجارة رخوة .  
المرو : حجارة بيض فيها نار .  
المهو : حجر أبيض يقال له بصاق القمر .  
المهاة : حجر البلور .  
الممر : حجر الرخام .  
الدملوك : الحجر المدملك .  
الدملق : الحجر المستدير .  
الراعوفة : حجر يتقدم من طى البشر .  
الرضاض : حجارة تترضرض على وجه  
الأرض أى لا تثبت .  
الصفاح : الحجارة العراض الملس .  
الرضام : صخور عظام أمثال الخزر  
واحدها رضمة .  
الرجام : دون الرضام في المقدار .  
الصلدح : الحجر العريض .  
الصيخود : الصخرة الشديدة وكذلك  
الصفاء والصفوان والصفواء .

# الترجمز

## بين قديم وحديث

### للكاتب يوسف نون

جملة

العرب بحر الرجز في المكان  
السابع بين البحور المأثورة

التي وصل إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي  
١٠٠ هـ - ١٧٤ هـ (٧١٨ - ٧٩١ م)  
وهي خمسة عشر بحراً هي : الطويل ،  
والمديد ، والبسيط ، والوافر ، والكامل ،  
والرجز ، والرمل ، والخفيف ، والمتقارب ،  
والهزج والسريع ، والمنسرح ، والمضارع ،  
والمقتضب ، والمجث .

وزاد عليها الأخفش ( ت سنة ٢٢٥ هـ ) ،  
وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، بحراً أسماه  
المتدارك ، لأنه تدارك به مافات الخليل فصار  
عددتها ستة عشر بحراً .

وقد كان الخليل لغوياً وإماماً لنحاة البصرة  
في القياس والتعليل النحوي ، ومن أشهر  
تلاميذه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل  
وكان إلى ذلك عارفاً بالموسيقى ، فاستنبط  
العروض وجعله في خمس دوائر واستخرج  
منها بحوره المذكورة .

وقامت نظراته الفنية إلى الدوائر على أساس  
التشابه بين البحور في مقاطعها ، وقد جعل

كل دائرة تتضمن مجموعة من البحور ؛ مستنداً  
إلى ما يقرره الرياضيون من أن الدائرة الهندسية  
تعتبر كل نقطة فيها صالحة لأن تكون بداية  
ونهاية معاً ، وهكذا الدائرة العروضية تصلح  
أى نقطة بها أن تكون بداية مقطع لبحر ما .

وقد حصرها في خمس دوائر هي كما يلي :  
١ - الدائرة المختلفة : وأصلها الطويل  
وتضم معه كلا من المديد ، والبسيط .

٢ - الدائرة المؤتلفة : وأصلها الوافر  
وتضم معه الكامل .

٣ - الدائرة المختلطة : وأصلها الهزج وتضم  
معه الرجز ، والرمل .

٤ - الدائرة المشتبهة : وأصلها السريع  
وتضم معه كلا من المنسرح ، والخفيف ،  
والمضارع والمقتضب ، والمجث .

٥ - والدائرة المتفقة : وأصلها المتقارب  
وتضم معها بحر المتدارك . وبذلك يصبح  
استدراك الأخفش لقيمة له فنياً ، لأن الخليل  
قد وضع تلك الدائرة التي تضم ذلك البحر ،  
كما أن من الممكن أن تسمى كل دائرة باسم  
أول بحر بها .

وحيث نريد استخراج بحر من آخر من  
الدائرة فإن ذلك يسمى فكاً ، ويستمر حتى  
نصل إلى آخر بحر في الدائرة ، وقد علمنا  
أن كل بحر يتضمن عدة تفعيلات - وتسمى  
أيضاً الأجزاء أو الأركان ، أو الأمثلة ،  
أو الأوزان ، أو الأفاعيل ، أو التفاعيل ،  
وتجمع حروفها كلمتا « لمعت سيوفنا » في  
عشرة حروف ، وتتكون التفعيلات من  
مقاطع هي الأوتاد جمع وتد ، وهو إما  
مجموع أى يتكون من حركتين فساكن  
ورمزها هكذا : // ٥ ، وإما مفروق أى  
يتكون من حركة فساكن فحركة ورمزها  
هكذا : / ٥ / كما تتكون المقاطع من الأسباب  
جمع سبب ، وهو إما خفيف أى يتكون من  
حركة فسكون مثل : / ٥ ، أو ثقيل أى  
يتكون من حركتين ورمزها هكذا : //

أمثلة :

وتد مجموع مثل : أخى ، مضى ، رمى  
( // ٥ )

وتد مفروق مثل : منك ، قال ، جاء  
( / ٥ )  
سبب خفيف مثل : لم ، لن ، من  
( ٥ / )  
سبب ثقيل مثل : لك ، بك ( // )

وقد يجتمع السبب الثقيل والسبب الخفيف  
فيسمى فاصلة صغرى ، وقد يجتمع السبب  
الثقيل والوتد المجموع فيسمى فاصلة كبرى ،  
وقد جمعوا المقاطع في قولهم : « لم أر على  
ظهر جبل سمكة » ( بتنوين سمكة ) .

فإذا بدأنا البحر الأول من الدائرة وأردنا  
أن نقف على البحر الثانى تجاوزنا المقطع  
الأول وبدأنا بالمقطع الثانى لنحصل على  
آخر وهكذا حتى تنتهى مقاطع الدائرة .

وحيث اتفقنا على الرموز الدالة على كل من  
الحركة والسكون فإننا سنكتب المقاطع بتلك الرموز  
ونتعرف على إحدى الدوائر العروضية التى  
وضعها الجليل ، ونقف عند الدائرة التى  
تتضمن بحر ( الرجز ) وهى الدائرة المحتلبة .

والدائرة المحتلبة أصلها الهزج ، وتضم معه بحرى الرجز والرمل :

فسبيين خفيفين ( عي - / ٥ لن / ٥ )

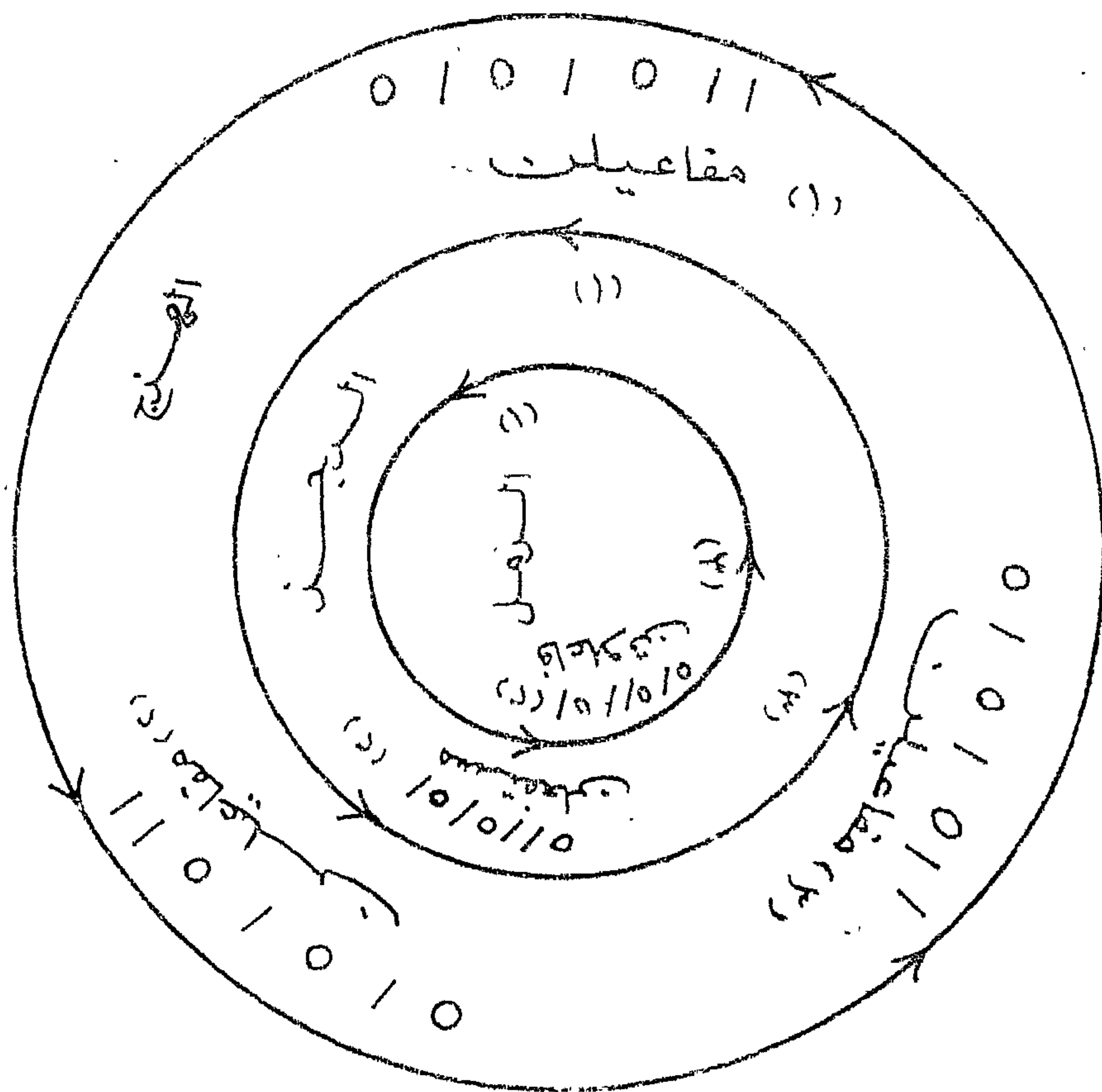
أما بحر الرجز فتفعيلاته هى مستفعلن  
( ثلاث مرات ) فى كل شطر .

أما بحر الرمل فتفعيلاته هى فاعلاتن  
( ثلاث مرات ) فى كل شطر .

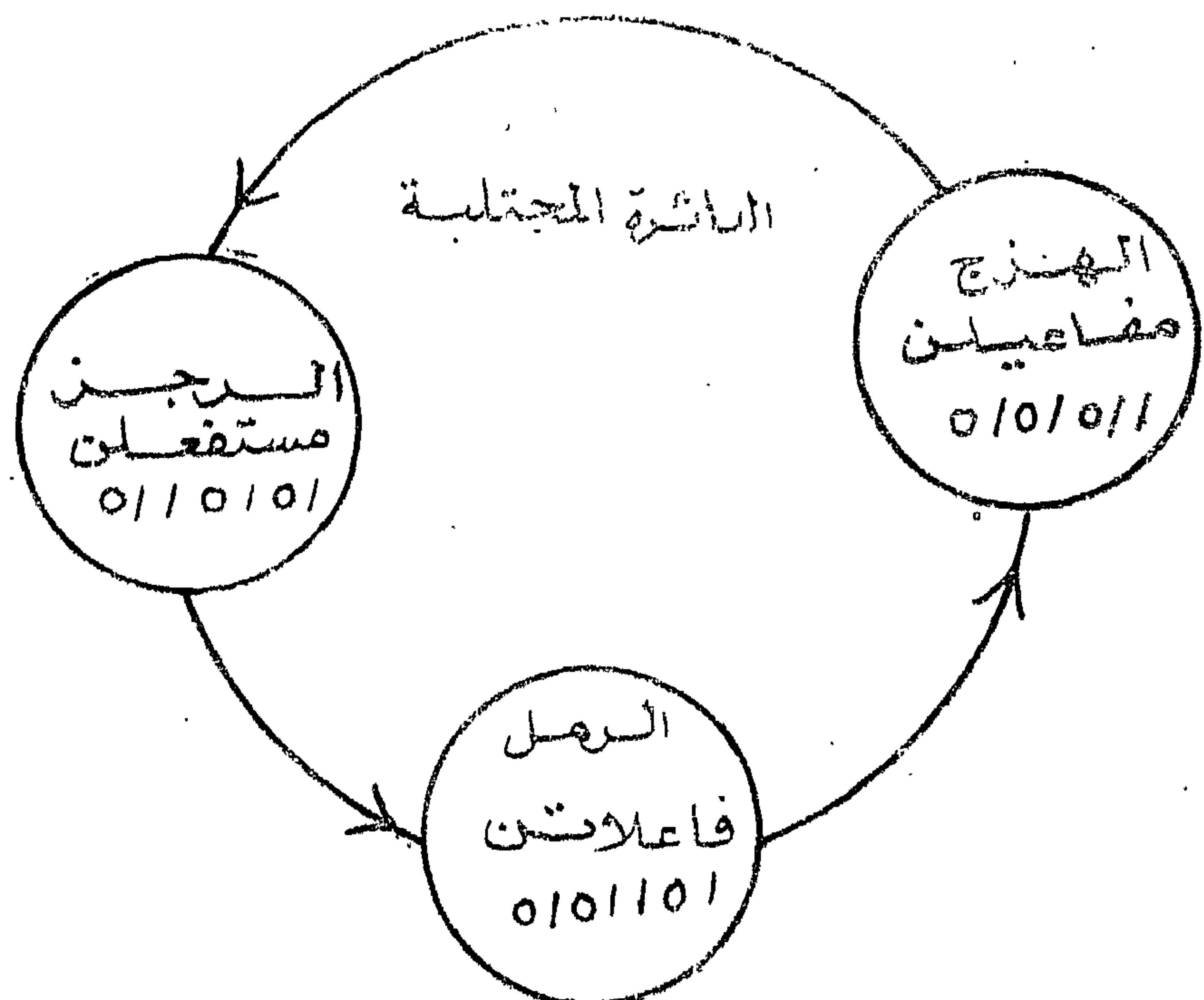
أما بحر الهزج - وهو أصل الدائرة -  
فتفعيلاته هى مفاعيلن ( ثلاث مرات )  
فى كل شطر .

وتتكون الدائرة من المقاطع التالية .

وتد مجموع ( مفا // ٥ ) :



شرح تفصيلي لطريقة استخلاص بحور الدائرة المجتلية



أصل الدائرة بحر الهزج ، ونفعيلاته  
المكررة هي ( مفاعلين ) ، وتبدأ بأول  
مقطع وهو الوند المجموع ( مفا / / ٥ ) .

وحين نريد استخلاص بحر الرجز نترك  
ذلك الوند المجموع ونبدأ بما يليه ، وهو  
السبب الخفيف فالسبب الخفيف الذي يليه  
فالوند المجموع الذي تركناه في أول الأمر ،  
لنحصل على تفعيلة ( مستفعان ٥ / ٥ / / ٥ ) :

وحين نريد استخلاص بحر الرمل نترك  
أول السببين الخفيفين ونبدأ بالثاني لنحصل  
على تفعيلة ( فاعلاتن ٥ / ٥ / / ٥ ) التي  
تتكون من السبب الخفيف الثاني والوند  
المجموع والسبب الخفيف الأول .

وهكذا تمضي الدائرة في استخلاص مستمر  
مادمنا نترك أول مقطع ونبدأ بما يليه من مقاطع .

الهزج ٥ / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / ٥ / /  
( مفاعلين ) .

الرجز ٥ / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / ٥ / /  
( مستفعان ) .

الرمل ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / /  
( فاعلاتن ) .

وتوجد تفعيلة الرجز ( مستفعان ) في  
الدوائر العروضية كلها ماعدا الدائرة المتفقة ،  
فهو في الدائرة المختلفة في تفعيلتين في بحر  
البسيط . بل وجدنا من يذهب إلى أن البسيط

هو الرجز ويرى أن تفعيلة ( فاعلان ) ماهي  
إلا ( تفعان ) من بحر الرجز أو ( تعلان )<sup>(١)</sup> ،  
وهو في الدائرة المؤتلفة في بحر الكامل إذا  
أضمرت تفعيلة ( متفاعان ) وفي تلك الحالة  
نفرق بين التفعيلتين إذا وجدنا تفعيلة محرقة  
الثاني فحينئذ يكون البحر هو الكامل .

كما توجد تفعيلة الرجز في الدائرة المشتبهة  
حيث توجد في كل من بحر السريع ، وبحر  
المنسرح ، وبحر المقتضب ، وبحر المحتث ،  
وبحر الخفيف . بل قد يحدث لبس لدى  
بعض المبتدئين بين بحر الرجز وبعض تلك  
البحور وخاصة بحر السريع ، ولعل هذا  
ما دعا باحثا إلى الذهاب إلى أن بحر السريع  
هو بحر الرجز ، ورأى ما رآه في بحر البسيط  
وهو أن ( فاعلان ) هي ( تفعان ) أو ( تفعان )  
مأخوذة من تفعيلة ( مستفعان )<sup>(٢)</sup> .

ومن وجوه الاتفاق بين بحر الرجز وبعض  
تلك البحور اتفاق السريع والرجز في مجيئهما  
مشطورين دون غيرهما من البحور ، واتفاق  
الرجز مع المنسرح في مجيئهما منهوكين ،  
وهذا في ظني ما يؤكد الصلة الفنية بين  
تلك الدوائر المذكورة ، وما يرد على من لم  
يجعل الرجز من الشعر ، وقد سبقنا كثير  
من الباحثين إلى الذهاب إلى أن كثيراً من  
أوزان الشعر يمكن إرجاعها إلى بحر الرجز  
مثلاً ذهب المستشرق ( هارتمان ) . بل قد

(١) أحمد كشك مجلة الثقافة العربية في أغسطس ١٩٧٦ ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) المصادر السابق ص ٤٥ وما بعدها .

ونظراً لأن بحر الرجز تتكرر فيه التفعيلة ذاتها على نحو ما ذكرنا فإنه يعد من البحور الصافية ومنها أيضاً :

المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن  
في كل شطر .

الهمزج : مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن في  
كل شطر :

الرملي : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن في  
كل شطر :

الكامل : متفاعلن متفاعلن متفاعلن في  
كل شطر :

الوافر : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن وتصبح  
الأخيرة مفاعل أو مفعولن :  
في كل شطر :

ومن هنا جاز لنا ألا نقبل رأي من أخرج بحر الرجز من الشعر ، أو أخرج مشطوره ومنهوكه ، كما جاز لنا ألا نقبل رأي من جعل الرجز دون الشعر (٣) منزلة ، وما روى من ازدراء الجاهليين له ، ومتابعة الإسلاميين ومن جاءوا بعدهم للسابقين في ذلك الازدراء يرجع إلى الموضوعات التي كان يختارها الراجز ، وقد كان يقتصر في معظمها على أبيات معدودة ، وكان من عادة

ذهب ( إيفالد ) (١) إلى إرجاع بحور الشعر جميعاً إلى الرجز ، وهذا ما يؤكد ما أشرنا إليه من اشتداد الصلة الفنية بين تفعيلة ( مستفعلن ) وبعض الدوائر العروضية أو معظمها .

وقد أدرك الشعراء المحدثون في العصر الحديث ذلك الواقع الفني فجاء معظم شعرهم من بحر الرجز (٢) ، وكثر استعمال ترخيصات ذلك البحر لدى هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وربما أسرف بعضهم في توسعه في استعمال هذه الترخيمات العروضية .

وقد وضح أن تفعيلة الرجز هي :  
( مستفعلن ) وهي تتكون من سبعين خفيفين هما :

هـ / و هـ / . ووتد مجموع هو هـ / / هـ / .  
ويمكن أن يطرأ عليها تغيير لتأخذ صورة من الصور التالية متفعلن : بحذف الثاني فتكون : هـ / / هـ / / .

ومستعلن : بحذف الرابع فتكون : هـ / / / هـ /

ومتعلن : بحذف هـ ( أي الثاني والرابع ) فتكون : هـ / / / / .

(١) الدكتور حسين نصار - الشعر الشعبي العربي - المكتبة الثقافية ص ٢٥ وص ٤٠ .

(٢) انظر لتفصيل القول في ذلك على نحو جديد ( الدكتور رجاء عيد - الشعر والنغم - دار الثقافة .

١٩٧٥ . ص ١٠٨ ، وما بعدها وص ١٢٨ وما بعدها وص ١٥٥ وما بعدها ) .

وقد دخلت ( مستفعلن ) في أوزان الفنون المستحدثة ومنها السلسلة ، والموالي والقوما والكان كان .

وكثر استعمال الرجز لدى نزار قباني كما كثرت ترخيصات الرجز عنده .

(٣) لم يذكره أبو الملاء المعري في تصوير جنته في رساله الففران وأورد لشعرائه جنة خاصة جعل بيوتها

أحط وأقل درجات من قصور الشعراء .



الذوق العربي ألا يستسيخ فنياً إلا القصائد وخاصة ما يطول منها ، وكان الرجز قليل الأبيات ، ومن ناحية أخرى اعتبره الذوق شعراً شعبياً لتعدد أغراضه ، ومن هنا لم يحفل به الشعراء والرواة ولم يقفوا عنده طويلاً ، حتى ليشبهه المحدثون في عصرنا بالفنون الشعبية كالزجل والمواويل (١) ، بينما يشهد الواقع أن اللغويين احتفلوا بهذا اللون كثيراً ، وأن عامة الناس أعجبوا بالرجز والرجاز ، بل أعجب به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى أن العجاج أنشد أبا هريرة أرجوزاً ته التي يقول فيها :

« ساقاً بخنداة وكعباً أورما »

فقال أبو هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه نحو هذا الشعر . وأحب العرب الرجز ورأوه فناً أصيلاً ، وقال المنتجع بن نهران لرجل من أشرف العرب : ما علمت ولدك ؟ قال : الغرائض . قال : علمهم الرجز فإنه يهت أشداقهم أى ؛ يوسعها فتفيدهم في الخطابة ؛

ومعنى هذا أن الرجز فن محبوب للعامة ، وللخاصة أيضاً ؛ ويؤكد ذلك ما يروى من أن الأصمعي كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة ، وإن كان لذلك صلة بميله للغوى وكذلك غيره من اللغويين .

وقد ذهب لمستشرق جولد تسهير إلى أن الرجز نشأ عن السجع بعد أن أخضع للأذن ، ويلتقى هذا مع حقيقة تؤكد شعبية هذا الفن وبقائه على صورته الشعرية التي نشأ عليها على حين تطورت الألوان الشعرية الأخرى وارتقت ، وقد أرجع بعض المستشرقين سبب تسمية الرجز عند العرب إلى أنهم شبهوه بصوت الرعد المتتابع إذ يهدير الراجز في هجاء خصومه ، وكان الهجاء أبرز أغراضه في الجاهلية ، وذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة مشتقة من الرجز الذي يعترى الناقة أو البعير ، وهو ارتعاد الأفخاذ والمؤخرة عند القيام ، وفي ذلك ما يصل بين الرجز والجداء ، ورغبة العربي في تنشيط الناقة ودعوتها للحركة .

وقد سبق الرجز ألوان الشعر وكان الجاهلي يعتمد إلى البيت أو البيتين أو الأبيات القلائل إذا خاصم أو شاتم أو نافر ، لكن المخضرمين أطالوها كالأغاب العجلى ، وكما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى كان العجاج أول من أطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب ووصف الناقة وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ؛ فكان في الرجاز كما مرى القيس في الشعراء (٢) وفعل مثله رجاز العصر الأموي ومنهم ابنه رؤبة ، فعنوا به ،

(١) منهم الدكتور طه حسين - انظر : الدكتور حسين نصار : الشعر الشعبي العربي ص ٣٨ و ٣٩ .

(٢) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٦ .

وتنوعوا أغراضه ، واشتدت المنافسة بينهم وبين غيرهم من الشعراء ، وأخذ جرير والفرزدق وغيرهما يقولون الرجز البدوي ، وتخصص البعض في الرجز الذي يصور الطبيعة البدوية بين القوم المتحضرين؛ ويخدم اللغة وينوع الأغراض الشعرية، فيتناول المدح والهجاء ، ولم يعد الرجز فنا شعبياً فحسب ، ووجدنا ذا الرمة يتصل بالحضارة ويصوغ الصور البدوية في شعر يعجب أهل الحضرة المهتمين بالبادية ويخدم أصحاب اللغة . وظل الرجز فنا قائماً في العصر العباسي ، وقد ساعد على ضياع كثير منه ارتجاله ، وكان هذا الارتجال سبباً في تعدد أغراض الرجز، ومنها الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام ، والحداء وهو قديم ، ووصف مظاهر الطبيعة ، ووصف الحروب : إلخ ما هنالك من موضوعات شعبية :

وكان الرجز مطواعاً لحركة التجديد على مر العصور؛ فكان منه المحزوء والمنهوك، وكانت كثرة ترخيصاته الفنية من زحافات وعلل ، وكان سريع الاستجابة إلى دواعي التجديد حين اتسعت الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي ، وكثر الغناء وانتشرت الموسيقى ، فظهرت المحزوءات في الشعر ، ووجدنا كثيراً من ذلك لدى أبي نواس ومسلم بن الوليد ، ثم ها نحن نجد الشعر الحديث في عصرنا يقبل على هذا البحر في كثير من تجاربه ، وكما اتخذه اللغويون في القديم أداة طيعة لعرض طهجات القبائل ،

واستعمال الضرورة اللغوية ، بل الشذوذ عن القاعدة اتخذ شعراء العصر الحديث بأوسع صور ترخيصاته ، فتوسعوا في العلال والزحافات فيه . ومعجم الرجز أكثر مادة من معجم الشعر ، إذ وسع الرجاز على أنفسهم ، فأفسحوا للغرابية والغموض والشذوذ عن القاعدة النحوية على عكس الشعراء .

وقد حمل الرجز قديماً لغات قبائل الشعراء ، من ذلك قلب السين تاء في قولهم :  
ياقبح الله بنى العلات  
عمرو بن يربوع شرار النات  
ليسوا أعفاء ولا أكبات  
يريد : الناس ، وأكياس :  
وقولهم بقلب الباء المشدودة جيماً :

عمى عويى وأبو عالج  
المطمعان الشحم بالعشج  
يريد : أبو على ، وبالعشى .

وأخذوا يخففون المشدد ، ويفكون المدغم ، ويدغمون المفكوك ، ويزيدون ، ويحذفون ، مما أرضى اللغويين والنحويين ، وجعل كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب لا يهتمون بالرجز .

وها نحن نجد العجاج وروبة قد أكثرا من قول الأراجيز التي صارت شواهد نحوية للغويين ، فإنهم ينسبون لروبة كثيراً من

الشواهد النحوية ومنها على سبيل المثال قوله  
في مدح عدى بن حاتم الطائي :

بأبه اقتدى . عدى في الكرم  
ومن يشابهه أبه فما ظلم

وقوله : إن أباهما وأبا أباهما  
قد بلغا في الحمد غايتها

وقوله : أعرف منها الجيد والعينا  
ومنخرين أشهباً ظيانا

وقوله : عددت قومي كعديد الطيس  
إذ ذهب القوم الكرام ليس

وقوله : نحن اللذون صبَّحوا الصباحا  
يوم النخيل غارة ما حاحا

وقوله : من يك ذابت فهدابتي  
مقيظ مصيِّف مشتى

وقوله : أكثرت في العدل ملحاداً  
لا تكثرن إني عسيت صاماً

وقوله : لتقعدن مقعد القصي  
منى ذى القاذورة الملقى

وقوله : أو تخاني بربك العلى  
أنى أبو ذىالك الصبى

كما ينسبون كثيراً من الأراجيز في صدر  
الاستشهاد النحوي لغير العجاج وروبة من

جماعة من تميم قومه في لغة ينصبون فيها اسم

إن وخبرها ، وكذلك أخواتها : ومنهم قول  
الراجز :

يأليت أيام الصبا رواجعا  
وقول محمد بن ذؤيب العماني الفقيمي

يصف فرسا :  
كأن أذنبه إذا تشوفا

قادمة أو قلما محرفاً  
وغير ذلك من الشواهد العديدة التي تحفل

بها كتب النحو - واللغة (١)

وقد كتب جمال الدين محمد بن عبد الله  
ابن عبد الله بن مالك الأندلسي ألفيته في

النحو على بحر الرجز ومطلعها قوله :

قال محمد هو ابن مالك  
أحمد ربى الله خير مالك

مصيلاً على النبى المصطفى  
وآله المستكلمين الشرفا

وأستعين الله فى ألفية  
مقاصد النحو بها محوية

تقرب الأقصى بلفظ موجز  
وتبسط البذل بوعده منجز

وقد ساعد على ذلك ما يمتاز به بحر الرجز  
من كثرة الزخافات ، ولهذا استعمل

فى الشعر التعليمى فى نظم العلوم والمتون  
كالألفية كما أشرنا ، وكانت فى النحو ،

وكالرجبية فى الميراث ، والشاطبية فى القراءات  
ونظم كليلة ودمنة لأبان بن عبد الحميد

اللاحقى ، وبعض تلك المؤلفات يلتزم التصريح

(١) انظر لما تقدم من أمثلة ابن عقيل ط ٨ سنة ١٩٥٤ صفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣

باتحاد رَوِيَّ العروض و، الضرب مثلما وجدنا  
في الألفية ومثل قول الشاعر :

إن الشباب والفرغ والحده  
مفسدة للمرء أي مفسده

وبعضها يجيء موحد الروي والقافية .

ووجدنا في العصر الحديث أمير الشعراء  
أحمد شوقي يكتب من الرجز شعراً على لسان  
الحيوان ومنه قصيدة الدجاج البلدي  
والديك الهندي وفيها يقول :

بيننا ضعاف من دجاج الريف

تخطر في بيت لها ظريف  
إذ جاء هندي كبير العرف

فقام في الباب مقام الضيف  
يقول : حيا الله ذي الوجوها

ولا أراها أبداً مكروها  
أتيكم أنشر فيكم فضلي

يوماً وأقضى بينكم بالعدل  
وقد استخدم الرجز قديماً في كثير من

مواقف العمل وغيره ؛ لخفته وجمال إيقاعه  
ومما قيل حول الماء :

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا

بحرا يجيش ماؤه غزيراً

ومما قيل أثناء بناء مسجد لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم :

لئن قعدنا والنبيُّ يعمل

لذاك منا العمل المضلل

وكان الرسول ينقل اللبن مع القوم ويقول  
من رجز ابن رواحة :

هذي الجمال لاجمال خبير

هذا أبرّ - ربنا - وأطهر

وحين هدم خالد بن الوليد صنم العزى  
ارتجز وهو يهدمها :

يا عز كفرانك لاسبحانك

إني رأيت الله قد أهانك

ومما قيل أثناء الهداء وصف الناقة  
بالهزال من الظماً والسير حتى صارت  
كالقوس :

كأنها وقد براها الإخماس

ودلج الليل وهاد قياس

شرائح النبع براها القواس

وهذه محاوره شعرية، حين نادى أبوسفیان  
متوعداً عقب غزوة أحد قائلاً :

« اعْلُ هُبْلٌ » .

فأمر الرسول أصحابه أن يجيبوه :

« الله أعلى وأجلّ » .

فرد أبوسفیان :

ألا لنا العزى ولا عزى لكم

فيأمر الرسول أن يقولوا :

الله مولانا ولا مولى لكم

وقد قذف أحد أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بتمرات كان يأكلها وذهب للقتال

قائلاً :

ركضاً إلى الله بغير زادٍ

إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد

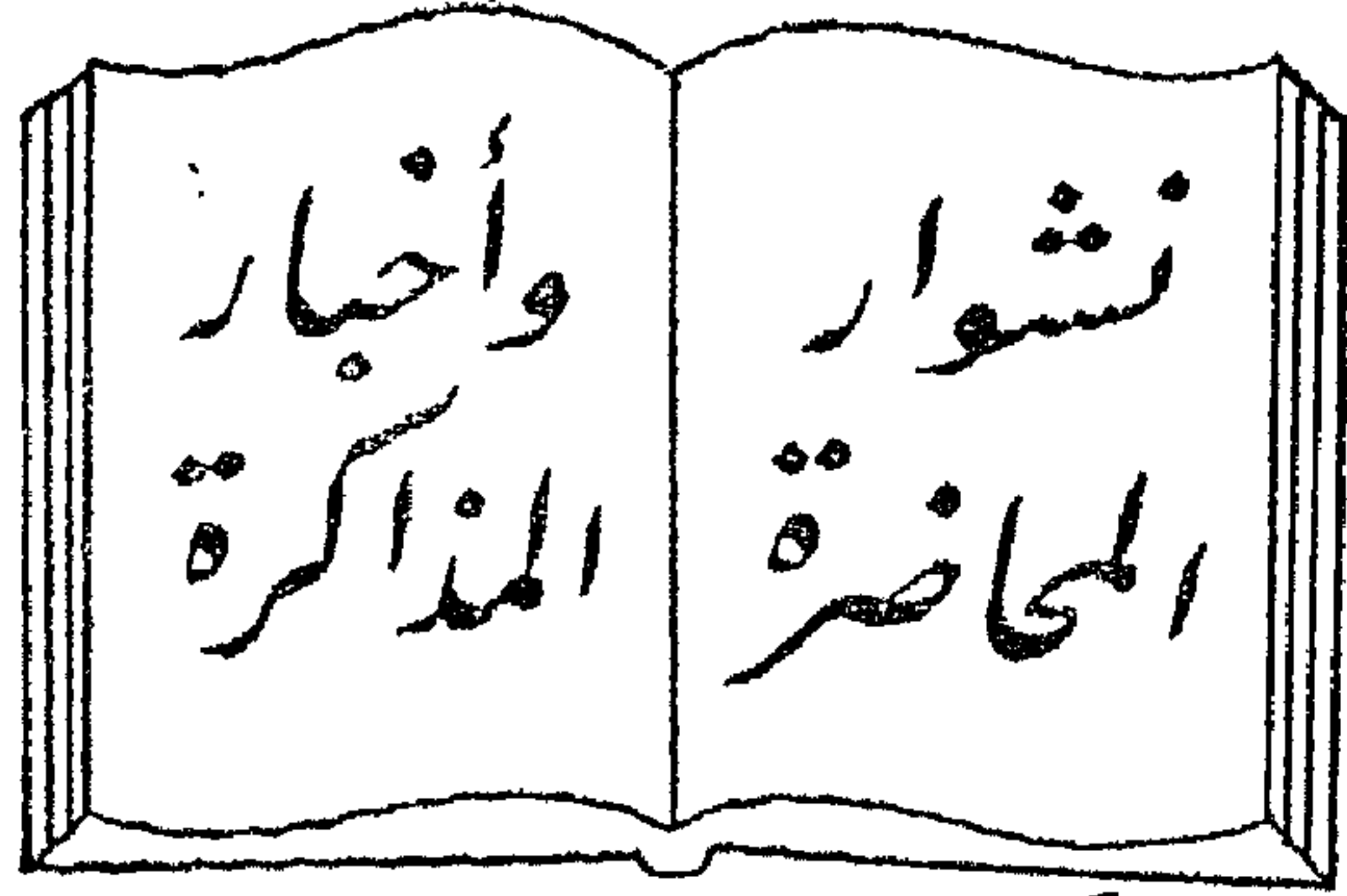
وكل زاد عرضة النقاد

غير التقى والبر والرشاد

يوسف نوفل

# تعريف ونقد

للقاضي أبي علي الحسن التنوخي



تحقيق : الأستاذ عبود الشالجي  
تصريف وتقديم : الأستاذ محمد عبد الفتاح حسن

لأن النشوار ما يظهر من كلام حسن ،  
فيقال : ( إن لفلان نشوارا حسنا . أي كلاما  
حسنا ) . وسواء أكانت كلمة ( النشوار )  
بالشين المعجمة كما وجدت في الأصول ، أو  
بالسين المهملة كما يلفظها العامة وكما وجد بخط  
القاضي أبي جعفر أحمد بن أسحاق بن  
الهنول التنوخي وهو حجة في رواية اللغة ،  
فإنها لم يصقلها الاستعمال على مدى القرون  
بدءاً من القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه  
القاضي التنوخي ، وقد ظلت قرابة ألف عام  
وهي بمنزلة عن اللسان إلا ما كان من التصاقها  
بكتاب القاضي التنوخي ، فهي لا تذكر إلا  
معه ، ولا ترد إلا متصلة به

وقد حركنا في كتاب النشوار من طرائف  
ونوادير لم ترد في نص آخر - همة أديب عربي  
معاصر هو الأستاذ العراقي عبود الشالجي  
المخاض ، حتى أن ينشر نشوار المحاضرة كاملاً ،  
استناداً إلى ما يقع له من مخطوطات لهذا  
الكتاب : فنص لهذا الغرض العظيم همته  
ودهزه ، وظل يتابع كل مخطوطة لهذا الكتاب

أذكر أن الأجزاء الثلاثة التي نشرت من  
( نشوار المحاضرة ) بهمة المستشرق البريطاني  
المعروف د.س. مرجوليوث وجميل سعيه  
كانت من الأعمال الجلية في عالم نشر التراث  
العربي حين صدر الجزء الأول سنة ١٩٢١  
مطبوعاً في مصر ، وصدر الجزء الثامن في سنة  
١٩٣٠ مطبوعاً في دمشق ، وصدر جزء ثالث  
في دمشق سنة ١٩٣٢ على أنه ثاني أجزاء الكتاب  
الذي ضاع أكثر أجزائه على توالي العصور .  
وفرح الأدباء والعلماء والمؤرخون منذ  
صدور الجزء الأول من النشوار سنة ١٩٢١ ،  
لأنهم وجدوا في الكتاب مادة ثرية خصبة  
لعرض ملامح كثيرة من المجتمعات العربية  
الاسلامية في القرن الرابع الهجري . وهي  
ملامح رآها المؤلف التنوخي رأى العين ، أو  
سمع بها من ثقافت ممن أخذ منهم وروى عنهم .  
ومع عروبة المؤلف أبي علي الحسن التنوخي  
وأصالته في النسب العربي الصميم ، فإنه لجأ  
إلى كلمة غريبة النسب واللفظ ليجعلها عنواناً  
لكتابه ، وهي لفظة ( نشوار ) التي اختارها

في أماكن وجودها ، وأغرم بهذا العمل غراما شديدا ، وظل يبحث عن الأجزاء الضائعة من هذا الكتاب ليضمها إلى المطبوعة :

وهذا البحث والتقصي إلى مخطوطة الجزء الأول بباريس : ( إلى مخطوطة تشتمل على الجزئين الأول والثاني في مكتبة براد ملا باستنبول : وقد أكدت له هذه المخطوطة الأخيرة أنها هي الجزء الثاني من النشر ، وأن ما نشر سنة ١٩٣٢ حتى أنه الجزء الثاني ليس إلا ثالث أجزاء الكتاب : : أما بقية الأجزاء فقد ظلت ضائعة : فكيف يجمعها وينشرها وليس لديه أصولها الخطية ؟

هنا لجأ محققنا الفاضل إلى عمل جرىء في عالم نشر التراث لم يسبقه إليه أحد كما يصرح هو بنفسه في مقدمته للجزء الأول من الكتاب .. واجله لم يكن محتاجا إلى هذا التصريح الذي يكشفه القارئ بأدنى نظر دون حاجة إلى اعتراف من المحقق : : ولعله أراد بذلك أن ينهزها فرصة لرد بها في إنجاز على المعارضين على منهجه الجريء هذا في التحقيق ، فقال بنص عبارته : « ولعل بعض القصص التي نقلتها كانت من رواية أبي القاسم التنوخي ، ابن المؤلف : ولعل بعض القصص ، وإن كانت من رواية المؤلف ، إلا أنه ليس ثمة دليل قاطع على أنها مما اشتمل عليه كتاب النشوار . وردى على من اعترض على إيرادها عين ما كتبه المؤلف في خاتمة مقدمة الجزء الأول من الكتاب ، حيث قال : « لو كان في إيراد هذه القصص وتسجيلها خير من موضعها بياضا ، لكانت فائدة . . . »

والحق أن المحقق الفاضل التمس الخير من طريق غير مأمون المغبة ، ولا سليم العاقبة ؛ فإن جمع نصوص مفقودة من كتاب من مصادر مختلفة ، لا يقوم في ذاته منهجا سنها نشر التراث ، أو لنشر كتاب من كتب التراث على الأقل . وهو منهج مع خطورته أو خطره اعترف المحقق بأنه موضع اعتراض من الغير الحريصين على نشر التراث سايبا كما أراد له أصحابه : ولكن الذي ألباه إلى ركوب هذا المركب الوعر ، والمزاق الخطر أنه رأى أن ذلك خير من أن تترك مواضع الكتاب بياضا . . . كما رأى ذلك المؤلف التنوخي من قبل . . . ولكن شتان بين الموقفين . فأن التنوخي حين كان يجمع الأخبار من أفواه من شاهدوها كان له مطلق الحرية والاختيار في إثارة خبر على خبر ، أو تقديم نص على نص . فالنصوص كلها بين يديه ، وهي تستوي في إيرادها جملة أو حذفها جملة أو إيراد بعض وحذف بعض . أما الأستاذ المحقق عبود الشالجي حين ركب هذا المركب لجمع أخبار توهمها للقاضي التنوخي ، أو رواها التنوخي ونقلت عنه في مصادر أدبية وتاريخية أخرى ، فإنه قد يضيف إلى التنوخي ما لم يردده أن يكون في كتابه النشوار . ونحن نشاهد من واقع تجاربنا الخاصة أن المؤلف منا قد يؤثر مؤلفا من مؤلفاته بخبر أو نادرة لا يريدونها أن تكون في كتاب آخر له . فكيف يقضى الأستاذ عبود الشالجي - متحكما وذا سلطان - بأن ما ورد للقاضي التنوخي من روايات وأخبار نقلها عنه الرواة والمؤرخون هي مما اشتمل عليه كتاب النشوار

الذي ضاعت منه أجزاء لم يوقف لها على أثر .  
وهل معنى رواية نسبت إلى القاضي التنوخي  
في كتاب مثل المنتظم لابن الجوزي ، ومعجم  
الأدباء لياقوت الحموي ، ووفيات الأعيان  
لابن خلكان أنها مما اشتمل عليه كتاب  
النشوار ؟

على أن محققنا الفاضل لا يجد في تلك  
القضية الخطيرة بأسا . بل يقول في بساطة :  
( ثم حاولت - من بعد ذلك - أن أتبع الفقرات  
الضائعة من النشوار ، في ثنايا الكتب ، فأعيد  
جمعها . وكان ذلك بدء عمل مضمّن ، بذلت  
فيه وقتا وجهدا وصبرا . وراجعت مؤلفات  
ابن الجوزي : المنتظم ، والأذكياء ، وأخبار  
الحمقى والمغفلين ، وذم الهوى ، وتلييس  
إبليس . كما راجعت تاريخ بغداد للخطيب  
البغدادي ، وتاريخ الوزراء للصابي ، ومؤلفي  
ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،  
ومعجم البلدان ، ووفيات الأعيان ، وغيرها  
من الكتب ، فوجدت فيها ينبوعا ثرا من  
القصص التي تروى عن مؤلف النشوار ، غير  
أنها وردت بأسماء مختلفة . ووجدت أن قسما  
من تلك القصص قد أثبتت في الأجزاء  
المنشورة من النشوار . فتأيد لي من ذلك أن  
القصص التي وردت مروية عن أصحاب تلك  
الأسماء ، إنما هي مروية عن صاحب النشوار ،  
وأنها قد اقتطعت من ذلك الكتاب ، فاستلثتها  
من مواضعها ، وضممتها إلى بعضها ،  
واعترتها من الفقرات الضائعة من النشوار . )

هكذا وبكل بساطة استوى من كتاب  
نشوار المحاضرة - المفقود بعض أجزائه -

بضعة أجزاء استلها المحقق من كتب أخرى  
متوهما أنها من النشوار - دون سند صحيح أو  
بينة قوية - وليس لها من سند إلا أنها وردت  
في طائفة من المؤلفات منسوبة إلى التنوخي ،  
فجزم محققنا الفاضل بأنها من نشواره .

وهنا نسأل سؤالا آخر : كيف جاز لمحققنا  
الفاضل أن يجمع هذه الأخبار الشتى من مصادر  
متفرقة ، ثم يؤلف من كل طائفة منها جزءا  
يسميه الجزء الرابع ، أو الخامس ، أو السادس  
من النشوار ؟ فهي جمعه وتنسيقه وتقسيمه هو  
لا جمع المؤلف ولا تنسيقه ولا تقسيمه . ومن  
هنا هل نجرؤ على القول إن هذا المنشور كله  
هو نشوار المحاضرة كما أراده مؤلفه وجامعه  
الأصلي ؟ وما الظن لو أن الجزء الخامس من  
النشوار المخطوط قد كتب له الظهور بعد خفاء ،  
فهل نجده مثل الجزء الخامس الذي صنعه المحقق  
الفاضل ؟

الحق أن دافعا نبيلًا ، وباعثًا عظيمًا هو الذي  
حمل الأستاذ عبود الشالجي على أن يسلك هذا  
المسلك الوعر ، حتى يضم أشتات ما تبعثر من  
أجزاء النشوار المخطوطة الضائعة ، وحتى  
يسوى من ذلك الذي جمعه كتابا يسميه هو  
نشوار المحاضرة ، ولكننا نخشى أن تكون  
المقابلة بينه وبين الكتاب الأصلي مخيبة للآمال .

على أن الأستاذ المحقق لم يلجأ إلى هذا الجمع  
استهانة به ، وتهوينا من شأنه . فقد كان يعلم  
أنه مقبل على أسر عظيم ، وأن هذا الجمع  
المتبع ، والتعقب الدقيق لمرويات القاضي



التنوخى ومأثوراته مما هو أشبه أن يكون من كتاب النشوار هو عمل شاق مضمّن اقتضاه كثيرا من الجهد ، والتنبه والتفطن ألى المظان ، كما اقتضاه أن يحمل مسئولية لا يقوى عليها كثير من أصحاب العزائم . فهو يعلم أن عمله هذا ومنهجه فى الجمع قد لا يرضى الملتزمين بأصول التحقيق ونشر التراث : ولكنه أقدم على ما توهمه صحيحا ليصون لنا كتابا ضائعا . وقد يكون - غفر الله له - قد بعد بكتاب النشوار عن أصله وعن نسقه ، ولكننا نراه راضيا عن عمله هذا ، لأنه لم يقصد به إفساد نص ولا بتره ولا التزيد عليه ، ولكنه أراد به رد الاعتبار والوجود ألى كتاب أغلبه ضائع مفقود :

وهب أن ما جمعه الأستاذ عبود الشالجي ليس النصوص الكاملة لكتاب نشوار المحاضرة ، فهل ننكر أن هذه المجلدات الثمانى الأنيقة الطبع ، الجميلة الأخراج تعد فى ذاتها ثروة أدبية تاريخية رواها القاضى التنوخى ، ولو لم تكن من متن كتابه نشوار المحاضرة ؟ وإذا جاز لبعض الملتزمين بأصول النشر ، وقواعد تحقيق التراث أن ينكروا أن نشوار المحاضرة فى هذه الأجزاء الثمانية هو نشوار التنوخى الأصيل ، فهل ينكرون أننا الآن مع كتاب رائع طريف حافل بأكثر ما روى عن القاضى التنوخى من أخبار ونوادير وأسمار ؟

فلنقبل هذه الحصيلة العظيمة الضخمة من أخبار القاضى التنوخى فى هذه الطبعة الرائعة

التي أصدرها الأستاذ عبود الشالجي ، ولنغض النظر - ونحن مستمتعون بأطيب ما فيها من طرائف - عن أنها هى نشوار المحاضرة كاملا غير منقوص ، ولا مزيد : ❦

وهل تشغلنا هذه القضية فى منهج تحقيق التراث من أن نعرف بما بذله المحقق من جهد ، وما أسداه عن فضل حين قدم لنا مجموعة نادرة من أخبار القاضى التنوخى ومذاكراته ومحاضراته الشائقة سواء كانت مما اشتمل عليه كتاب النشوار أم لا ؟ إنه فى الحق أمتعنا بثمره طيبة من ثمرات التنوخى لم يشأ أن يجعلها بياضا ، فدونها وجمع أشتاتها . ولك بعد هذا أن تسميها قصصا وأخبارا من نشوار المحاضرة للتنوخى ، أو قصصا وأخبارا من مرويات التنوخى

وقيمة هذه القصص والمرويات والأخبار الطريفة العجيبة أنها أدخل فى باب تصوير المجتمع العربى الإسلامى منها فى باب الأدب والأسرار ، فهى صور واقعية وقعت فى القرن الرابع الذى عاش فيه التنوخى ، وهى صور فيها كثير من ملامح بغداد وأهلها ، وأفراحها ومآتمها ، وعبادها وفساقها ، وقضاتها وشهودها . . . وقد خالط التنوخى كل لون من الناس ، وعاشر كل جنس ، ولقى العلماء والشعراء فى زمانه وروى عنهم :

وأشده أشعارهم أو استنشدهم إياها . وكان ممن  
لقبه المتنبي وقال عنه في مقدمة نشواره :  
( وما أحسن ما أنشدني أبو الطيب المتنبي  
لنفسه من قصيدة في وصف صورتنا :

أتى الزمان بنوه في شبيبته  
فسرهم وأتيناها على الهرم )

ولم يكتب التنوخي بأن يسمع من فم أبي الطيب  
شعره يلقيه عليه الشاعر الفحل بنفسه ، بل إنه  
ازداد على المتنبي اجترأ فسأله عن نسبه وهو  
يمر ببغداد سنة ٣٥٣ هـ ، ولكن المتنبي الغامض  
اعتذر لسأله عن الأفصاح عن حقيقة نسبه .  
والتقى التنوخي بالشاعر الماجن ابن حجاج  
البغدادي ، وروى شيئا من شعره الذي أنشده  
في مجلس الوزير أبي الفضل الشيرازي : وقد  
أعان التنوخي على الجاه في عصره صلته بأعظم  
الرجال في وقته ، فهو قريب من عضد الدولة  
البويهى ، وهو معروف عند الخليفة العباسي  
الطائع ، ومن هنا أتيج له أن يخطب في الحفل  
الذي أقيم عند زواج الخليفة الطائع بابنة الملك  
البويهى عضد الدولة

وقد أتاحت الملابس المختلفة لصاحب  
النشوار أن يرى المجتمع العربي في ظاهر أمره  
وخافيه ، وأن يدخل إلى القصور كما يتسلل إلى  
الأكواخ . ومن هنا نقع في النشوار على غرائب  
الأحداث ، فهناك حكايات واقعية عن مروءة

الوزير حامد بن العباس ومكارم أخلاقه ، وعن  
وقار الوزير على بن عيسى وتزمته ، وعن ابن  
رزق الله التاجر البغدادي الذي يوقف في بلاد  
الروم أكسية لتدفئة أسارى المسلمين ، وعن  
الوزير عبيد الله بن سليمان الذي يبيع جزءا من  
مال الدولة لأحد صنائعه . . . وعن هندي  
يقتل فيلا عظيما ببيته دون حاجة إلى سلاح ،  
وعن القصري غلام الحلاج الذي كان يصبر  
على الجوع خمسة عشر يوما ، وعن المرأة  
البغدادية التي كانت تنظرف فتحرف القرآن .  
وعن النحوى الزجاج وكيف درس النحو على  
المبرد صاحب الكامل ، وعن ابن الخواصة  
الذي فتح داره لترتكب فيها الفاحشة علانية ،  
وعن ذلك الرجل الذي نخبأ ماله في برنية ،  
فعجل ذلك بسرقتها ، وعن كردك الديلمي  
الذي اغتال رجلا استأمنه طمعا في ماله . . . :  
وغير ذلك من الأحداث التي كانت تموج  
بها بغداد والعراق والبصرة وبقاع كثيرة من  
العالم العربي . ومن أجل هذا ازدحم كتاب  
النشوار في طبيعته الجديدة بمئات ومئات من  
المصطلحات التي فهرس لها المحقق في معجم  
عمراني عام ؛ وهو معجم يهدينا إلى آلاف من  
المصطلحات التي نخلقتها طبيعة المجتمع العربي  
في عصر التنوخي وما حوله بقليل ، ولن نأخذ  
هنا في سرد بعض هذه المصطلحات ، ولكن  
القارئ للنشوار سيجد فيها حصيلة تصور له

المجالس ... فهو كتاب منقول عن الأفواه  
لا عن صفحات الكتب ، وزاد عليه التنوخي  
ما رآه هو بعينه في خلال غحاطاته الكثيرة  
في الحياة . ويبدو أن كتب النشوار قضى  
عليه أن يستغرق حقبة طويلة من الزمان  
جمعا في البداية ، وإعادة جمع في نهاية  
المطاف بعصرنا هذا ... فقد قضى التنوخي  
في تأليفه عشرين عاماً كما جاء في معجم  
الأدباء . لياقوت ، وقضى المحقق عبود الشالجي  
أعواماً كثيرة في جمع ما تصوره ضائعاً  
من أخبار النشوار ، وكذلك الكتاب العظيم  
يحتاج إلى وقت أطول ، وجهد أعظم .

وإذا كان القاضي التنوخي غير مسبوق  
فيما اتخذ لنفسه من منهج لتأليف كتاب  
نشوار المحاضرة ، وذلك عندما اشترط على  
نفسه أن لا يجمع كتابه من كتاب ، فإن  
صديقنا الروحي الأستاذ عبود الشالجي غير  
مسبق حين استخلص ما ضاع من أجزاء  
النشوار وجمعها من كتب أخرى غير  
الكتاب الذي يحققه ، وكأنه بهذا أراد أن  
يوائم بين سبق التنوخي وسبقه حتى تم  
المشكلة في العمل العظيم .

المجتمع العربي على حقيقته . وتدلنا حقيقة هذه  
الصور على أن الأول لم يترك للآخر شيئاً . . .  
وأنا اليوم نكرر ما دار بالأمس تأكيداً لمسيرة  
الإنسانية في مسارها الطويل . فعندنا اليوم ما  
يسمى ( بالمزاد ) الذي تباع فيه السلع - وخاصة  
المستعملة - عن طريق المزايدة على أسعارها ،  
فصاحب السعر الأعلى يرسو عليه المزاد . وقد  
كان ذلك في العصر العباسي ، وكان يسمى  
( النداء ) لأن إعلان السعر كان يتم بطريق  
المناداة عليها . وقد كان من عادة النعمان بن  
عبدالله - وهو أحد كبار العمال في الدولة  
العباسية - إذا كان في انسلاخ كل شتاء ، أن  
يعمد إلى جميع ما استعمله من خز وصوف  
وفرش وكوانين وآلة الشتاء فيبيعه في « النداء »  
أي في المزاد لينخلص منه .

والحق أننا لا نملك أنفسنا إزاء ما في النشوار  
من أخبار وحكايات ووقائع أن نعجب مما  
صنعه المؤلف ليجمع مادة هذا الكتاب  
الممتع الطريف . ومزية القاضي التنوخي أنه  
لم يجمع مادة كتابه من كتاب كما كان  
يصنع غيره من المؤلفين ، وإنما جمعه مما  
تناثر على أفواه الرجال ، وما دار بينهم في

ولم يقدم الأستاذ عبود الشالجي طبعته  
لكتاب الشوار عارية من الجهد الذي يدل  
على ما بذله في سبيل تحقيق النصوص التي  
جمعها من مختلف المظان، فكل صفحة  
من الكتاب في أجزاءه الثمانية المطبوعة على  
أجمل ما تكون الطباعة العربية تزدهم  
بالهوامش المزدهمة بالتعليق والتحقيق والمقابلة  
والترجمة للأعلام وغير ذلك مما تقتضيه

أصول النشر العلمي : وهذه الفهارس المتنوعة  
في كل جزء لموضوعات الكتاب وأسماء  
الأشخاص ، والفهرس الجغرافي ، والفهرس  
العمرائ وثبت المراجع والمصادر للتحقيق ،  
تدل كلها على الروح العلمية التي يتسم بها  
محققنا الجليل :

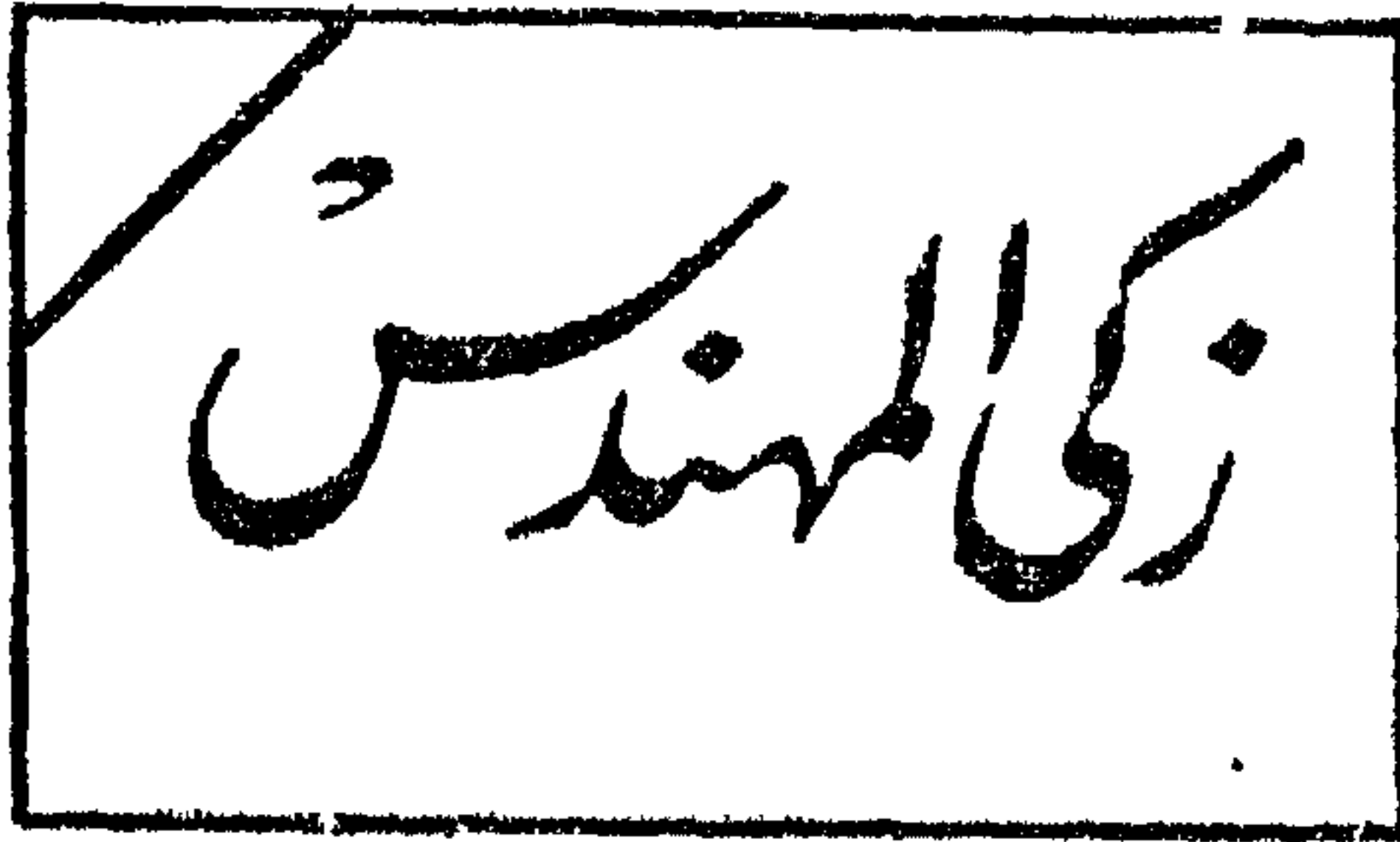
**محمد عبد الفنى حسن**



## شخصيات مجعية

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٨ من ذى القعدة  
سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أقام  
المجمع بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء  
والتشريع حفل تأبين المرحوم الاستاذ زكى المهندس نائب  
رئيس المجمع الراحل ، وفيما يلي ما القى من كلمات في  
هذا الحفل :

### كلمة الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع



### في تأبين المرحوم الأستاذ :

وأبى هؤلاء العشرة إلا أن أكون المتحدث  
باسمهم في حفل استقبالهم وإن كنت أصغرهم  
أو لأنى كنت أصغرهم ، فتحدثت  
في أمس البعيد باسم زكى المهندس يوم  
أن دخل المجمع وشاء القدر أن أتحدث عنه  
الليلة يوم أن رحل ، وما أعظم الفقد ،  
وما أقسى الحديث! ويزيده قسوة أن زكى  
المهندس كان أوثق الزملاء صلة بي ، وأطولهم  
صحبة لى ، وأقربهم إلى قلبي . قضيت معه

### زكى المهندس بين الجمعيين

سيداتي ، سادتي :

يعز عليّ حقاً أن أقف الليلة بينكم مؤبناً «زكى  
المهندس» ، فقد كنت معه بين عشرة من  
الحالدين ، دخلوا المجمع سوياً عام ٤٦ ،  
ثم رحلوا عنه الواحد تلو الآخر ، ولم يبق  
لى منهم سواه ، وما هو ذا قد جاء دوره ،  
فلم يتخلف ، وتركنى وحدي ، « وإنا لله ،  
وإنا إليه راجعون » .

ثلاثين عاماً كاملة في هذا المجمع ، نعمت فيها بزمانة كريمة ، كلها ود وإخلاص ، ورقة وعذوبة ، وسماحة ، وبشاشة لا مطمع فيها ولا مغنم ، ولا تنافس ولا تراحم ، فلم نختلف يوماً ما ، ولم تباعد بيننا الأحداث والتقلبات . وإن بدا شيء من التباين بين أبناء الأسرة الواحدة ، كان زكى المهندس همزة الوصل ، ونقطة الالتقاء ، ومبعث الرضى . اختلفنا مرة فيمن يكون نائب رئيس المجمع ، ويوم أن ذكرت اسمه زال الخلاف ، واتفق الجميع .

ويطول بي الحديث إن شئت أن أعرض لزكى المهندس المجمعى ، فقد كان مؤمناً بالإيمان كله بأن العربية لغة علم وحضارة ، وأنها حية ومتطورة . وفي وسعها أن تسد حاجات العصر ومتطلباته ، وعلينا أن نيسرها في مفرداتها وتراكيبها ، في نطقها وكتابتها ، وأن نتوسع في ألفاظها وأساليبها . وأشهد أنه من أنصار التيسير والتجديد ، لأنه كان يرى أن اللغة تعبر عن الحياة ، والحياة في تطور مستمر . والعربية لغة طيعة مرنة ، قد اتسعت - وما زالت تتسع - لكل جديد ، وتصلح للتعبير عن كل مستحدث ، وحركة التطور مطردة ماضية متصلة ، تجرى إلى غاياتها في سرعة وقوة .

وكان مؤمناً أيضاً برسالة المجمع ، حريصاً على أدائها ، فأعطاه في سخاء ، ووقف عليه جل جهوده في سنين طوال « مرحلة النضج ، والخبرة التامة » ، مرحلة الشيخوخة الحكيمة

المتزنة ، أعطاه علماً وعملاً ، توجيهاً ورأياً ، إشرافاً وإدارة . أسهم في معظم لجانها ، وأولع بمجلسه ومؤتمره ، وندر أن تخلف عن جلسة من جلسات اللجان أو المجلس أو المؤتمر ، ولم تنقطع صلته قط باللجنة الإدارية التي ترعى نشاط المجمع وسير العمل فيه ، وأشرف عدة سنوات على مجلة المجمع ، فجدد نشاطها ، ونوع غذاءها ، وحرص على أن تصدر في مواقيتها ، واختير نائباً لرئيس المجمع عام ٦٤ ، وجدد انتخابه بعد ذلك ثلاث مرات . ووقف إلى جانب المرحوم طه حسين رئيس المجمع في سني مرضه موقف الولاء والإخلاص . وألححت عليه بعد وفاته أن يقبل الترشيح لرياسة المجمع ، فاستغنى ، وأبى إلا أن يلقي العبء عن كاهله ، وأشهد أنه لم يضمن على برأى أو مشورة ، ولم يقصر في عون أو مساندة .

\* \* \*

هذا هو زكى المهندس الزميل والرئيس ، المشرف والإدارى ، أما زكى المهندس العالم والدارس ، فالحديث فيه طويل ، وأكتفى بأن أشير إلى مرقفه من ثلاث لجان من لجان المجمع كانت أثيرة لديه ، ارتبطت باسمه ، وحببت إليه ، وما أقساها من لجان ، وأعنى بها لجان : اللهجات ، وتيسير الكتابة ، والأصول .

ميدانية وبحوث متخصصة تواجه لهجات العالم العربي في مختلف أرجائه ٥

واستوقفت مشكلة الكتابة العربية المجمع في انعقاده الأول ، وأخذ يعالجها علاجاً متصلًا منذ سنة ١٩٣٨ ، ووقف عليها دورة كاملة عام ١٩٤٤ لمناقشة مشروع الحروف اللاتينية الذي تقدم به عبد العزيز فهمي . وأعلن المجمع بعد ذلك بقليل عن جائزة محترمة في مسابقة لتقديم أحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية ، وما إن أعلن عن هذه المسابقة حتى استجاب لها كثيرون ، وأربت المقترحات التي قدمت للمجمع على المائتين . وقدر لي أن أشترك مع زكي المهندس في فحص هذه المقترحات، ولم يكن من بينها مع الأسف ما يحقق التيسير المنشود ، واتصل عملي مع الفقيه الكريم في لجنة تيسير الكتابة العربية بانتظام .

والمشكلة في حقيقتها مزدوجة ، هي مشكلة قراءة وكتابة معاً ، وليس من اليسير أن يقدم لها حل يعالج الجانبين معاً . واتجهت اللجنة خاصة إلى معالجة مشكلة القراءة ، فأوصت بالتزام الشكل الكامل في كتب المرحلة الابتدائية ، وبشكل أواخر الكلم في كتب المرحلة الإعدادية ، وبشكل ما يتوقع خطأ التلميذ فيه في كتب المرحلة الثانوية، ورحبت وزارة التربية والتعليم بذلك . وفي هذا ما ينشئ التلميذ على القراءة الصحيحة والنطق السليم . ودرست اللجنة في تفصيل صور الحروف والهمزات وعلامات الترقيم

ودراسة اللهجات ليست من الأمور الهينة ، فهى علم حديث النشأة يرجع إلى النصف الأخير من القرن الماضي ، ويتطلب ضرباً من الانتجاع والرحلة ، ولا بد له أن يستعين ببعض الأجهزة والآلات ولم تكن به بعد الجامعات العربية العناية الكافية ، ومن حقنا أن نعول عليها أولاً كى تمد اللغويين والمجمعين بمادة يمكن أن يستخلصوا منها ما يستخلصون . وفي العربية لهجات قديمة وحديثة جدرة بالدرس والبحث ، وقد بذر البذرة الأولى لدراستها في مجمعنا بعض زملائنا الأول . عرب ومستعمرين ، ومنهم من كان يعد بين علماء اللهجات .

وأذكر أن الجارم حاول أن يدرس لهجة رشيد مسقط رأسه ، كما أخذ العقاد نفسه بدراسة لهجة أسوان ، ولفريد أبو حديد دراسة مفصلة في اللهجة القاهرية . وحاول زكي المهندس أن يتابع هذا النشاط ، وأن يغذيه وينميه . فاتجه أولاً إلى الجامعات ومعاهد الصوتيات ، لكي تعنى بدراسة اللهجات المعاصرة دراسة حقيقية ، ولكننا لم نحظ منها حتى الآن برد يعول عليه . ولجأ ثانياً إلى كتب الأدب واللغة آملاً أن يكشف فيها عن بعض اللهجات القديمة ، كنعنة تميم وقضاة . وكشكشة أسد وربيعة . وبقى حريصاً على أن يكون للهجات درس وبحث في المجمع ... برغم ما صادفها من صعاب ، وما أحوجنا في هذا المضمار إلى دراسات



في صندوق الطباعة العربية ، ورأت الاكتفاء بصورة واحدة للحرف الواحد كيفما كان موضعه في الكلمة ، وخفضت صور الهمزة وعلامات الترقيم : فهبطت بصندوق الطباعة العربية إلى ١٣٥ صورة ، واقترب كل القرب من صندوق الطباعة اللاتينية الذي تبلغ صورته ١١٥ .

ووضعت لذلك نموذجاً صادف نجاحاً ملحوظاً ، وأخذ به كثير من دور النشر وسبك الحروف . وكم كان زكى المهندس ، وهو أستاذ خط بقدر ما هو أستاذ أدب ولغة ، عوناً للجنة فيما انتهت إليه من صور وأشكال . ولا شك في أنا نقرأ اليوم أكثر مما نكتب ، ولا تزال مشكلة الكتابة في حاجة إلى معالجة وتيسير ، وليتناقنع بخط الرقعة كتابة ، ونعرف كيف نمكن أبنائنا من تجويده .

وأما لجنة الأصول فهي لجنة التجديد والتطوير ، لجنة التشريع اللغوي إن صح هذا التعبير ، وواجب المشرع أن يلحظ الظروف والملابسات ، وأن يسعى جاهداً إلى سد حاجات العصر ومقتضياته .

ولجنة الأصول من أهم لجان الجمع ، بدأت تعمل في نشاط منذ دور الانعقاد الأول ، وأنتجت بعد بحث وتمحيص ، واطرد إنتاجها دون انقطاع . واستطعنا عام

ثلاث وستين أن تخرج عمار هذا الإنتاج طوال ثلاثين سنة ، من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين . أخرجناه في مجلد بعنوان : « مجموعة القرارات العلمية » ، ويقع في أربعة أبواب : أولها « في أقيسة اللغة وأوضاعها العامة » ، وثانيها « في الترجمة والتعريب وكتابة الاعلام » ، وثالثها « في وضع المعجمات والمصطلحات » ، ورابعها « في تيسير النحو والصرف والكتابة العربية » ، ويشتمل على ما يزيد عن ٢٠٠ قرار .

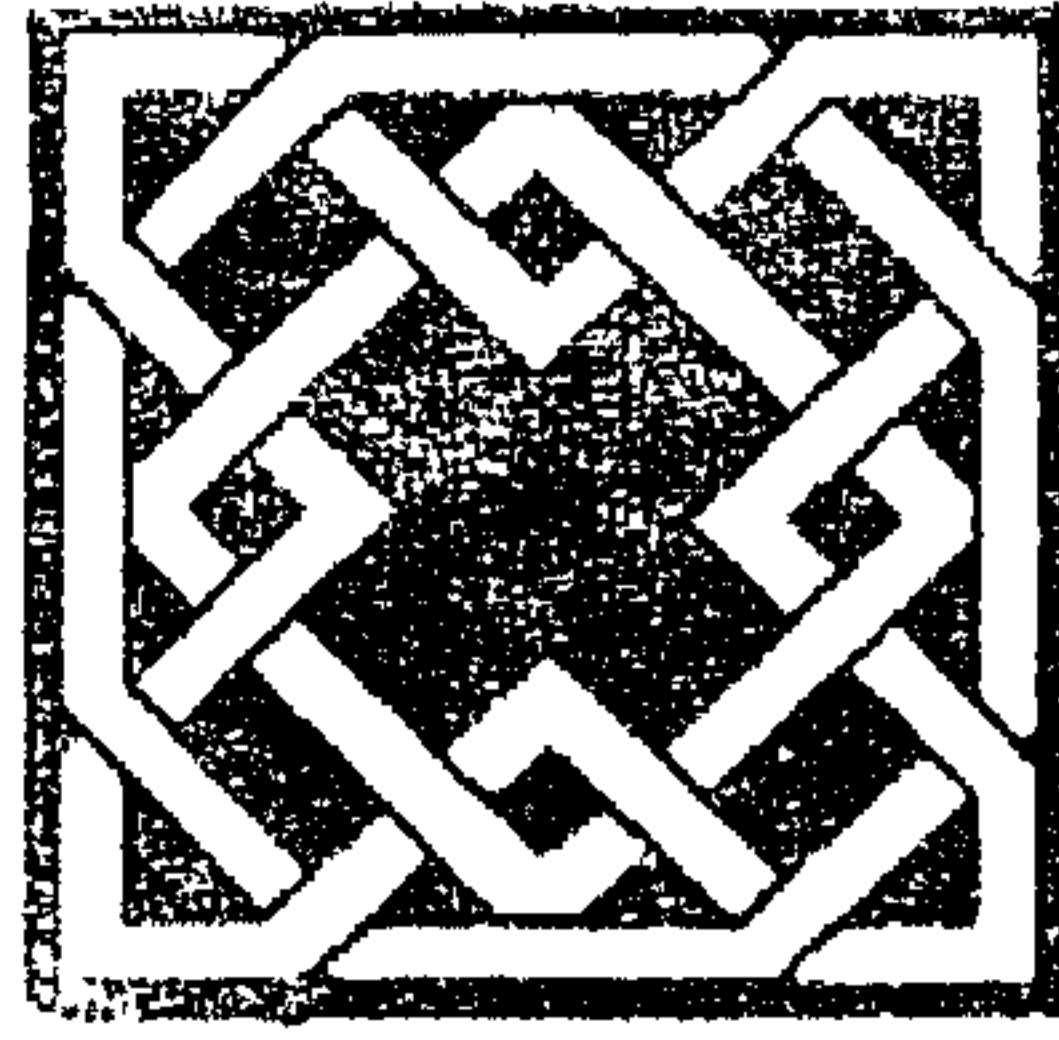
والتطوير في شد ومد دائماً بين تيارين متعارضين : تيار التيسير والتجديد ، وتيار الجمود والحفاظة ، وربما طغى أحدهما على الآخر . وللمجمعين حوارهم وجدلهم ، وقد تنزع مناقشاتهم أحياناً منزعاً نظرياً ، وتسمى عن قصد أكاديمية ، فنسى الملاءمة بين الماضي والحاضر وتعجز عن سد الحاجة ، وتبطن بالنهوض المنشود . عاش زكى المهندس ١٥ سنة أو يزيد رئيساً للجنة الأصول في هذا الجو وتحت ضغط هذا التقابل ، وقد واجهه في حضور بديهية وسرعة خاطر ، في مهادنة ومسألة ، في صبر وجلد نادرين . وكثيراً ما امتد بحث الموضوع الواحد في هذه اللجنة شهراً أو شهرين ، تقدم فيها البحوث تلو البحوث ، وتثار وجهات النظر المختلفة ، فكان المخاض عسيراً والوصول

أو تيسير وتجديد في أقيسة اللغة وأوضاعها ،  
وفي بعض الأحكام النحوية والصرفية ،  
وفي بعض الألفاظ والأساليب العربية والمعربة ؛

رحم الله زكى المهندس بين العاملين  
الأبرار ، ورحمه الله بين الزملاء الأخيار ،  
ورحمه الله بين المخلصين الأولياء ، والسلام  
عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مذكور  
رئيس المجمع

إلى قرارات غير يسير : ومع هذا استطاعت  
أن تخرج في هذه المدة مجلدين متلاحقين  
« في أصول اللغة » ظهر أولها عام ٦٩ ،  
وثانيهما عام ٧٥ ويشتملان على أعمال ١٤  
دورة من دورات المجمع ، وفيهما ما يكشف  
عما بذل في سبيلهما من جهد صادق وعمل  
دائب ، أشرف عليه زكى المهندس ورعاه .  
فيها عود على بدء ، وتدارك لبعض ما فات ،



## ●● كلمة الدكتور محمد مهدى علام

أمراً شبه مقرر ، وفقاً لما كان عليه نظام البعثات يومئذ فى اختيار أوائل الحريجين عقب تخرجهم .

ولم يكن هذا أول موقف ود وصداقة وأبوة له ، بل سبق ذلك عدة مواقف ربطت بينى وبينه منذ ألقى علينا أول درس فى التربية وعلم النفس ، فقد استمال قلوبنا جميعاً ، نحن الطلاب يومئذ ، شاب وصىء الحيا ، أنيق الملبس ، نشيط الحركة ، تتابعه نظرات الطلاب وزملائه الأساتذة الذين كانوا يفوقونه سناً ، وكان من بينهم عدد من أساتذته الذين تلقى عليهم العلم قبل سفره إلى إنجلترا .

ومن أوثق المواقف التى ربطت بينى وبينه موقفه من حركة الطلبة إبان ثورة ١٩١٩ التى كان لطلبة دار العلوم دور رائد فيها . فقد قاد الحركة فى مصر لجنة المدارس العليا ، وكان لكل مدرسة مندوب يمثلها فى تلك اللجنة التى كانت على اتصال سرى بالسكربتير العام للجنة الوفد المركزية المرحوم عبدالرحمن بك فهمى ، فى بيته الذى ما زال قائماً فى شارع قصر العيني تحتله دار الأدباء .

فى أعرق أحياء القاهرة المعزية ، منذ تسع وثمانين سنة ، ولد فقيدنا العزيز زكى المهندس لأب من أوساط وجهاء ذلك الحى ، كان يزاول العمل الهندسى فى تلك المنطقة .

وحدث أن كان لذلك الوالد صلة معرفة— إن لم تكن صداقة — بوالدى . ولم أعرف عن هذه الصلة شيئاً حتى كنت على وشك التخرج من دار العلوم .

فقد حدث أنى كنت فى فترة التمرين على التدريس بمدرسة العقادين ، وكان يزورنى للتفتيش المرحوم الأستاذ زكى المهندس . فلاحظ ما كنت عليه من اكتئاب سببه أنى كنت أعد نفسى بعد بضعة أسابيع للقيام بعبء الأسرة بعد وفاة أكبر إخوتى وعائل أسرتى ، فى حين أن أملى وأمل أساتذة المدرسة كان مرتبطاً بسفرى فى البعثة . وبعد انتهاء العمل يومئذ فى المدرسة صحبى أستاذى إلى بيتنا فى حارة الروم ، وقص على صلة والده بوالدى ، وتعهد بأن يتفق مع أخ أكبر لى أن ينهض بعبء الأسرة ، حتى لا يحال بينى وبين بعثتى التى كانت

وفي المرحلة الأولى التي كنا نعمل فيها  
علانية . بالقصائد النارية، والخطب الحماسية،  
كان المرحوم زكي المهندس يلازمنا في  
المساجد والكنائس والمحتمعات، ويصحبنا أحياناً  
الأب سرجيوس .

وإذا كنا - نحن طلاب ذلك العهد -  
قد مقتنا واحتقرنا أستاذاً كانت نصيحته  
لنا يوم حطمتنا الأبواب في ٩ من مارس ١٩١٩  
وكانت الأبواب تغلق علينا حتى منتصف  
الرابعة مساءً - كانت نصيحته لنا : « كن  
في الفتنة ذنباً ولا تكن فيها رأساً » ، فإن  
تقدم زكي المهندس الأستاذ الشاب المتوثب  
ليدعم إرادتنا ، ويصحب خطواتنا ، قد  
عكس هذه النصيحة ، فكنا في الثورة رأساً  
لا ذنباً .

وقد كنا نحتاج إلى تحرير بعض البيانات  
بالإنجليزية والفرنسية ، وكان لنا اثنان من  
أساتذتنا يقومان بذلك سرا دون أن يعلم بهما  
إلا القليل ممن يوثق بهم : وهما زكي المهندس  
للإنجليزية ، وإسماعيل بك رأفت للفرنسية .

وأستسمحكم في الاسترسال في ذكرى  
الفقيد في موقف آخر له : ففي يوم من أيام  
مايو سنة ١٩٢١ كنت أؤدي الامتحان  
التحريري ، ورأيت من شرفة القاعة التي  
كنت فيها ثلة من ضباط الشرطة يدخلون  
متجهين إلى حجرة رئيس الامتحان . ولم يكن  
ندي أقل شك في تحديد شخصية من حضروا

للقبض عليه . وأصابني رعاف، ضيقاً بأن  
يحدث هذا في أثناء الامتحان الذي لم يكن له  
دور ثان ، بل لم يكن يسمح لطالب راسب  
أن يعيد ، بل يفصل ، تبعاً للأئحة الدولوية  
في ذلك العهد .

ورأيت من الشجاعة أن أضع قلمي لأذهب  
إلى حجرة رئيس الامتحان لأسلم نفسي ،  
ولكن يدا رفيقة كانت تضع منديلاً تحت  
أنفي تتلقى فيه الدم ، وبصوت رقيق تقول لي :  
أنك لم تستدع بعد ، فاجلس وأتم إجابتك ،  
وسأستمهل الداعين حتى تفرغ من إجابتك .

كان هذا هو المرحوم زكي المهندس الذي  
شاء القدر أن يكون هو المراقب في حجرتنا  
في ذلك اليوم ، وليس مما أنا بصددده أن  
أسترسل في سرد ما تم بعد ذلك في حجرة  
المرحوم أسعد بك برادة رئيس الامتحان ،  
واتصاله برسل باشا حكمدار العاصمة ،  
ومصاحبة ضباط الشرطة لي لتفتيش منزلي .

ومما لا أزال أذكره - ويذكره بعض  
الأعضاء من جيلي - أنه في أول الثورة ،  
عقب اعتقال سعد وصحبه ونفيهم إلى مالطة ،  
تألفت لجنة عليا لموظفي الحكومة ، وقررت  
هذه اللجنة أن يضرب جميع الموظفين احتجاجاً  
على نفي سعد وصحبه . ولم يكن الإنجليز  
يتصورون أن موظفي الحكومة يضربون ،  
وهم - في تقديرهم - أهل الطاعة ، والحرص  
على مرتباتهم التي ما كانت تكفيهم إلا بشق  
الأنفوس .

ولكن المستحيل تحقق ، وأضرب جميع الموظفين في جميع أنحاء الدولة - إلا ثلاثة، كان أحدهم ناظر دار العلوم . وكانت فضيحة لم نستطع أن نحتملها نحن طلبة هذا المعهد الذى كانت له قيادة وريادة فى تلك الثورة - فقررنا أن نلقن هذا الناظر درسا فى الوطنية ، بأن يتلقى ضربة تؤدبه وهو فى طريقة فى الصباح إلى المدرسة .

وكانت هناك دراسة للطريق التى يسلكها ، واختيار للنقطة التى يهاجم فيها حيث تكون خالية من المارة . وعهد إلى أحد الطلاب أن يسطع السؤال عن الطريق من الشرطى الذى فى أول الطريق ، وإلى طالب آخر أن يقوم بنفس العمل مع الشرطى الذى فى الطرف الآخر للطريق حتى تتم عملية التأديب .

ولكن بقى أن نختار المنفذين للتأديب . وكانت كل هذه المناقشات والترتيبات تدور فى جلسات سرية يحضرها أستاذنا زكى المهندس . وقد وافق على كل خطوة إلا أن يقوم أحدنا بالتأديب. وتعهد أن يستأجر شخصين من « فتوات » الدراسة للقيام بهذا العمل ، مع تفهيمهما السبب الذى من أجله نريد أن نوذب ذلك الرجل . وكانت الروح الوطنية مشتعلة فى صدور الناس على اختلاف طبقاتهم ، فلما علم هذان الشخصان بطبيعة الوضع ، رفضا أخذ الأجر الذى كان مقدما

لهما ، كما رفضا أن يستوليا على الساعة الذهبية وسلسلتها التى كانت تتدلى من جيب ذلك المسكين ، قائلين : عيب، نحن وطنيون مثلكم ، لا نُؤجّر ولا نسرق .

وبعد أن تم التأديب تحت أعيننا ، إذ كنا نشاهد ذلك من نافذة فى بيت يطل على مكان الحادث ذهب الرجل حاسر الرأس إلى مكتبه ثم إلى بيته ، ثم استقال .

وإذا كان لى بعد أكثر من نصف قرن ، أن أعيد النظر فى ذلك الحدث فإننى أقرر إحقاقا للحق أن ذلك الرجل لم يكن خائنا ، بل كان أسيرا للنظام الفرنسى الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر، وقد تربى عليه فى فرنسا وكان وأميننا على ما كان يسميه الضبط والربط . فكان يعد الإضراب خيانة لأمانة الوظيفة التى فى عنقه . فليغفر له الله سوء تقديره وليصفح الله عن كل تجاوز صدر ممن اشتركوا بالقول أو بالفعل فى ذلك العمل . ولكننا رفعنا رؤسنا أمام زملائنا الطلبة بعد فعلتنا هذه .

ولقد ظل زكى المهندس مثلا نحتديه . وظلت صلته بى عند تخرجى وسفرى إلى إنجلترا . وقد وجدت له صورة بالقبعة وقد أرسلها إلى أهله، وكتب تحتها بيتين من الشعر كان قد حاكى فيهما زميلا أقدم هو المرحوم على الجارم .

كان على الجارم قد كتب تحت صورته ،  
وقد خلع العمامة ولبس القبعة يقول :

لبست الآن قبعة بعيدا  
عن الأوطان معتاد الشجون  
فإن هي غيرت شكلي فإني  
( متى أضع العمامة تعرفوني )

وخذنا حدوه زكى المهندس عندما سافر إلى  
إنجلترا فأرسل صورته وتحتها البيتان الآتيان :

فإن تك غيرت مني الليالي  
وحال البعد دونكم ودوني  
فهذا رسم صاحبكم ولكن  
( متى أضع العمامة تعرفوني )

وقفيت على آثارها فأرسلت صورتي  
وعليها :

رأبتم صورتي فجهلتمونى  
وكدتم ، لحظةً ، أن تنكرونى  
أنا مهدي بن علام ولكن  
( متى أضع العمامة تعرفوني )

لقد تحدث الدكتور الرئيس عن الفقيه في  
المجمع ، وسمحت لنفسى أن أتحدث عنه  
حديث الذكريات ، فلأقل كلمة - مجرد  
كلمة - لا تكاد تفيده حقه فيما بقى لي من الزمن :

لقد تخرج الفقيه من دار العلوم سنة  
١٩١٠ في فوج من النابهين الذين عرفت  
لهم اللغة والأدب والثقافة آثارهم . فقد كان  
عظيما بين عظماء ، نابها بين نابيين .

ولم يكن تفوقه على من تسهل منافستهم :  
كان منهم إبراهيم مصطفى الأستاذ بأداب  
القاهرة ، وآداب الإسكندرية ، ودار العلوم ،  
وعميدها ، وعضو هذا المجمع .

وشرف الدين خطاب رفيقه في البعثة  
وزميله في التدريس بدار العلوم وفي التفتيش .  
وعبد المحيد الشافعي العالم المؤلف والأستاذ  
في دار العلوم .

والدكتور على العناني الأستاذ بالجامعة  
المصرية في عهدها الأهلي والحكومي ، وزميل  
الفقيه في التدريس بدار العلوم وفي التفتيش .  
ومحمود السيد عبد اللطيف صاحب أول  
سفارة علمية إلى سنغافورة ، في وقت كان  
الانتقال فيه إلى طنطا يعد هجرة .

أوفد الفقيه إلى إنجلترا فدرس وتخرج من  
جامعة ردينج حاصلا على دبلوم في التربية  
وعلم النفس .

ولنا هنا وقفة للتاريخ قبل أن يأتي النسيان  
على ما بقى منها في الأذهان .

لقد قامت دراسة التربية وعلم النفس في  
مصر على أيدي رواد من خريجي دار العلوم .  
كانوا يوفدون في بعثات معظمها في إنجلترا .  
ولم يكن هناك منذ أول القرن الحالى من يحمل  
هذه الأمانة العلمية سواهم . وأستطيع أن  
أقسبهم إلى أفواج ثلاثة :

فكان الرعيل الأول ممثلا في حسن توفيق  
العدل ( الذى درس في ألمانيا ) ومحمد شريف  
سليم ( الذى درس في فرنسا ) .

وجاء من بعدهم فوج تصدره على الجارم  
ومصطفى أمين وأحمد عبده خير الدين ؟

وظلت كتب هؤلاء تدرس حتى جاء  
فوج زكى المهندس وعبد الحميد حسن ومحمد  
على مصطفى (ولولا الخياء لذكرت معهم من  
ساهم معهم فى التدريس والتأليف) ؟

ومن الإنصاف أن أقرر أنه ظهر مع  
هذا الفوج الثالث اثنان من خريجي مدرسة  
المعلمين العليا كان لهما فضل كبير فى تطوير  
التربية وعلم النفس ، هما المرحوم إسماعيل  
القباني والأستاذ أمين مرسى قنديل مد الله فى  
عمره . ولولا انصراف الزميل محمد خلف  
الله أحمد إلى الدراسات الأدبية ( مع  
استظلالها بالدراسات النفسية ) لكان الرائد  
الأول للفوج الجديد الذى انتقل إليه علم النفس  
على يد خريجي معهد التربية بعد إنشائه :

بقي أن أقول كلمة عن تلك الدبلومات التى  
كان يحصل عليها المصريون عامة وخريجو  
دار العلوم خاصة ، من جامعات إنجلترا :

لقد كانت الدراسة للحصول على هذه  
الدبلومات دراسة جادة عميقة ، تستهدف  
التثقيف العلمى لمهنة التدريس ، وقد نهل منها  
هؤلاء الدارسون ، ونقلوا ما ثقفوا إلى أبناء  
وطنهم . ولكن السؤال الذى كان يراودهم  
دائما هو : لماذا لا يسمح لهم بالحصول على  
درجات عليا غير الدبلومات ؟

وهذا هو السبب : كانت سياسة دنلوب  
والإنجليز عامة هى أن لا يحصل المصريون

على درجات جامعية أعلى مما كان يحصل عليه  
الموظفون البريطانيون فى مصر ، والذين كان  
لابسد أن يكونوا رؤساء هؤلاء المصريين بعد  
عودتهم من بعثاتهم . لم يكن منطقتهم يسمح  
أن يكون المرءوس حاصلا على مؤهل أعلى  
من مؤهل رئيسه :

وأعجب ما فى الأمر أنه بعد أن أزيح  
الكابوس البريطانى عن الحكومة ، ظلت هذه  
السياسة حقبة ، إما بحكم القصور الذاتى ،  
ولما لأن الرؤساء الذين حلوا محل الإنجليز ،  
كانوا من ذلك الفريق الذى لم يكن قد سمح  
له بالحصول على الدرجات الجامعية العالية ،  
فخشوا أن يأتى جيل بشهادات أعلى من شهاداتهم :

والحمد لله قد تغير الحال الآن .

درس فقيدنا بضع سنوات فى المدارس  
النافورية قبل أن ينتقل إلى دار العلوم . وهذه  
مأساة أخرى فى تاريخ التعليم فى مصر . فقد  
شاءت السياسة الإنجليزية أن هؤلاء الرواد  
الذين كانوا يختارون أوائل دفعهم فى التخرج ،  
بعد أن يتخصصوا فى علوم التربية ، يعودون  
إلى مصر ليدرسوا اللغة العربية سنوات تطول  
أو تقصر ، فى مدارس ثانوية أو ابتدائية ،  
أو مدارس التجارة والزراعة المتوسطة التى  
عين فيها على الجارم عقب عودته من إنجلترا .  
ثم ينقلون بعد هذه السنين لتدريس علوم  
التربية فى دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا .  
وبعد ممارستهم لذلك عدة سنوات ينقلون  
لتفتيش اللغة العربية بالوزارة .

ولقد كنا ننذر : بأن الحكومة ترسل الخريج إلى إنجلترا لينسى اللغة العربية ويتعلم مواد التربية وعلم النفس ، ثم يعود ليدرس اللغة العربية كي ينسى مواد تخصصه في إنجلترا ، فإذا تم ذلك نقل لتدريس ما نسي ، في المدارس العليا ، فإذا تم نسيانه للغة العربية نقل مفتشا لهذه اللغة .

وأيا كانت روح الفكاهة التي حركتها هذه الدورة العجيبة التي تكررت منذ أواخر القرن الماضي حتى الثلث الأول من هذا القرن ، فإن الذي حدث هو أن هؤلاء الأساتذة الأجلاء ساهموا في كل الميادين مساهمة مشكورة ، شهدت بها كتبهم وبحوثهم وتلاميذهم في المجالين .

بعد أن خلف زكى المهندس أثره الملموس في ميدان التربية وعلم النفس بدار العلوم ، نقل مفتشا بالوزارة ، وبقي عدة سنوات يوجه فئات المدرسين إلى أمثل الطرق التعليمية . ثم هفت نفسه مرة أخرى لمنصة الأستاذ فانتقل إلى معهده الذي نظمت فيه الدراسة على الأساس الجامعي ، فشغل كرسى التربية والفلسفة ، وظل يحتل هذا الكرسى حتى اختير وكيلا لكلية دار العلوم ثم عميدا لها سنة ١٩٤٥

وفي هذه الأثناء ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة فأصبحت إحدى كلياتها . وقد ساهم الفقيه في تحويل نظامها المدرسى إلى

نظام جامعي ، وشغل كرسى النقد والبلاغة . ( ألم أقل لكم إن هؤلاء الرواد تقلبوا في تخصصات عمقت معرفتهم ، ووسعت آفاقهم )

وظل عميدا حتى تقاعد في سنة ١٩٤٧ تقاعد ولكنه لم يقعد . وحين أنشأ المرحوم الإمام المراغى أقسام التخصص في الأزهر ، في شعب ، تدرس كل واحدة منها مجموعة متكاملة من المواد العلمية ، كان منها شعبة الأخلاق والتربية . وكان من حظى أن دعيت للتدريس فيها ، ثم تشرفت بأن ساهم بالتدريس فيها معى أستاذى زكى المهندس . وبقي يزاوول هذا العمل العلمى العظيم سنين عدة ، تخرج منها على يديه عشرات من أفاضل شيوخ الأزهر الذين كانوا روادا للنهضة الأزهرية . وأنا أذكر أن عميدا لكلية أصول الدين قابلنى منذ بضع سنوات ، وكنت أعرف له فضله وعلمه ، فلما رآنى أبالغ فى حفاوتى به قال لى : إنك أستاذى أنت وزكى المهندس . فقلت له : أنا درست لك ، ولست أستاذك ، إنما أستاذك وأستاذى هو زكى المهندس .

وفي هذه الرحلة الطويلة من سنة عودته من إنجلترا سنة ١٩١٤ إلى سنة تقاعده عام ١٩٤٧ كان رصيده عشرات الآلاف من الطلاب والمعلمين ، وعدة آلاف من صفحات التأليف والترجمة ، وعدة مئات من المحاضرات والندوات .



ومن أهم كتبه :

١ - أخلاق الفنى ( بالاشتراك مع زميل له )

٢ - محاضرات فى التربية

٣ - إلى المجد ( همسات فى أذن الشباب )

٤ - رجل القرن العشرين

٥ - احلام اليقظة

٦ - المراهقة

٧ - رسالة المعلم

٨ - النحو المصور .

ولهذا الكتاب الأخير ، بأجزائه الثلاثة ، دلالة خاصة على نزعة الفقيه للتجديد . فقد كان فى تحريكه عدسة المصور ؛ ليشرح قواعد النحو أقوى حجة تفهم أولئك الذين طالما تقولوا على مدرسي اللغة بأنهم يعيشون فى معركة زيد وعمرو .

والنظرة الفاحصة لهذه المؤلفات تدل على أنها تدور حول تربية الشباب ، فإن زكى المهندس لم يكن يمل الحديث عن توجيه الشباب ، حتى أن أحاديثه فى الإذاعة - وهذا ضرب آخر من ضروب نشاطه - لم تنس العنصر البشرى الذى كان يعد نفسه مسئولاً عن ثقافته .

لقد علم داخل الفصول الدراسية ، وحاضر فى مدرجات الجامعة ، وخطب من منصات الجمعيات ؛ وأذاع على متن الاثير ، وكتب آراءه فى الكتب والصحف والمجلات . إن سنتين عاماً إلا بضعة أشهر تتمثل امامى

( ١ ) الدكتور أحمد عمار عضو المجمع .

الآن وأنا أحاول أن أحيى صوراً عزيزة للأستاذية والصدّاقة ، والزمالة فى دار العاوم مدة ، وفى التفتيش حقبة ، ثم فى هذا المجمع الموقر إلى أن فرق الموت بيننا .

سينقضى وقت طويل - طويل جداً - قبل أن تجد مصر من أبنائها شخصية تجمع كل هذه السمات ، وتختلف كل هذه الآثار . أستودع أستاذاً وصديقاً وزميلاً ملأً صوته بقاعة المجمع علماً وثقافة وعفة لفظ . وأقدم أخلص الغزاء لأسرته العائلية ، ولأسرته العلمية ؛ فكلنا فيه يعزى ويعزى .

أرجو أن يعفينا القدر من مثل هذا الموقف الحزين فترة نلتقط فيها أنفاسنا من شبح الموت ، الذى يحيم علينا ، ويأبى إلا أن يفجعنا كل غام فى عزيز من زملائنا .

أتذكر يا عمار (١) : ما قلت لك منذ نحو عشرة أعوام :

تأزمت الأمور فلست تلقى  
خطيباً مستعداً للثناء  
فهلاً كف عزرائيل عنا  
أييد القدر المحرك للفناء  
أقيموا دوننه سداً وأخفوا .  
من « الأرشيف » تاريخ الولاد  
أريحونا ولو عاماً ليقى  
لنا صفبو الحياة بلا بكاء

أتمنى ألا أقف هذا الموقف مرة أخرى .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .  
المعادى ١٨ من ذى القعدة ١٣٩٦  
١٠ من نوفمبر ١٩٧٦

مهدي علام  
أمين المجمع

## ● كلمة الشعر للدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش

شُيِّعَتَ بِالآيَاتِ وَالْأَنْبَاتِ  
يَتَارِكُ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّاتِ  
صِرْفَ الْكَلَامِ بِكَى عَلَيْكَ وَنَحْوَهُ  
لَمَّا بَغَى صِرْفَ الزَّمَانِ الْعَاتِي  
كَأْسُ تَدْوِيرٍ عَلَى الشِّقَاةِ بِسْمَتِهَا  
وَرَحَى تَدْوِيرٍ فَتَحْصِدُ الْهَامَاتِ  
وَالْمَوْتَ حَقٌّ لَا مَحَالَةَ لِئِنَّمَا  
تَجْرَى الْعَيُونَ بِصَحْبَةِ الْآهَاتِ  
إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَهَا وَطَوِيلَهَا  
سَيِّئَانِ عِنْدَ مَقْوُوضِ اللَّذَاتِ  
وَالْعَمْرُ مَهْمَا طَالَ يَنْقُصُ دَائِمًا  
وَالْقَلْبُ يَدْنَى الْمَوْتَ بِالسَّدَقَاتِ  
لَيْسَ الَّذِي قَدَفَاتِ عَمْرُكَ لِئِنَّمَا  
مَا لَمْ يَفْتِ مِنْهُ إِلَى الْمَلِيقَاتِ  
وَالْمَهْدِ مِثْلَ النَّعْشِ يَحْمِلُ مَيْتًا  
ضَمَّتْهُ أَكْفَانٌ مَعَ اللَّفَاتِ  
يَاعَالِمِ الْفَصْحَى لِبَعْدِكَ لَوْعَةٌ  
إِنَّ الْفِرَاقَ لِأَكْبَرَ اللَّسُوعَاتِ  
أَنْتَ الْمَعْلَمُ وَالْأَدِيبُ كِلَاهِمَا  
أَسْتَاذُ جَيْلٍ قَدْ مَضَى وَالْآتِ  
رغم التطور ما فتحتَ محافظنا  
مستمسكًا بالزئى والعادات  
مما يدل على اقتناعك أولاً  
وشجاعة في معرض الطاقات  
صف لى الحمام وقد عهدتك صادقاً  
هل وقعته أقمى من العيلات؟  
أو أنه أدنى من الخوف الذى  
ينتاب من يسعى إلى الأفلات؟  
هل من يموت لفوره خير له  
من أن يموت على مدى ساعات؟  
أو أن لحظة موته أقمى له  
مما مضى من قبل من ويلات؟  
هل مائة المطعون أكبر وطأة  
من مائة المشنوق بالساحات؟  
أو مائة المسموم والمملدوغ  
بالحييات والمخنوق بالغازات؟  
هل كلها موت كموت مريضنا  
أو حثف من ماتوا من السكتات؟  
أو من يموت بطلقة من كفه  
أدنى من المحروق بالشعلات؟

حار الفلاسفة الأوائل كلهم  
بين الحياة وعالم الأموات  
حتى أتانا الأنبياء وبلغوا  
يوم القيامة لا محالة آت  
ياخالق الدنيا وجودك ثابت  
بالغيب والأرزاق والإنبات  
والروح من أمر الإله وعلمه  
ما أوتي الإنسان من قدرات

يسارب كثر سيئات ذنوبنا  
واغفر لنا ما كان من زلات  
لا فضل إلا بالتقى بين الورى  
بالعدل والأعمال بالنيات  
والسابقون الفاترون مقامهم  
دار الخلود وروضة الجنات

**ابراهيم ادبم الدمرداش**  
عضو المجمع

## كلمة الأسرة

### لشقيق الفقيه الأستاذ كامل المهندس

أسهم بنصيب وافر في النهضة العلمية الحديثة  
بمصر الحديثة بمصر والبلاد العربية الأخرى :

وقضلا عن الأحاديث الدينية والاجتماعية  
المتعة التي كان يحرص العدد العديد من  
الجمهور على الاستماع إليها في برامج الإذاعة  
كل صباح وحدث أن أرسلتني وزارة المعارف ،  
ومعي صديقي المرحوم الدكتور فؤاد حسنين  
الأستاذ باداب القاهرة ، إلى دير سانت كاترين  
بطور سيناء لفحص المخطوطات السامية وخاصة  
العربية هناك . وأسعدنا الحظ أن نذهب  
بصحبة ثلاثة من أئمة القانون والأدب  
والتاريخ المرحوم الدكتور عبد الرزاق أحمد  
السنهوري ( وكيل وزارة المعارف وقتئذ ) ،  
والمرحوم الأستاذ أحمد أمين والمرحوم  
الأستاذ عبد الحميد العبادي .

وما زالت إلى الآن أذكر ما دار من حوار  
بين الأساتذة الثلاثة حول دار العلوم وقد  
كانت تتنازعها الأهواء في ذلك الوقت  
ويتردد أمرها بين الإلغاء والإبقاء . فاجتمع  
رأيهم على وجوب انضمامها لجامعة القاهرة  
صيانة لها وإبقاء عليها .

وشاء القدر أن تنضم دار العلوم فيما بعد  
لجامعة القاهرة على يد فقيدنا طيب الذكر  
الأستاذ زكي المهندس ، وأن يكون هو

سيدي الجليل رئيس مجمع اللغة العربية  
الموقر-

سادتي الأجلاء أعضاء المجمع

أقدم لكم بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن  
أفراد أسرتي أجزل الشكر على ما قتم به من  
إحياء ذكرى شقيقي المرحوم الأستاذ زكي المهندس  
نائب رئيس المجمع . لقد كان الفقيه أستاذاً  
وأخاً وأباً لي ، رعاني طفلاً ، وهو لا يكبرني  
بأكثر من عشر سنوات ، ورعاني طالبا  
بالأزهر الشريف ومدرسة دار العلوم ثم  
طالبا بجامعة لندن ، وأخيراً غمرني بعطفه وأنا  
عضو هيئة التدريس بكلية دار العلوم . فأنا  
مدين للفقيه بكل ما نلته من خير في جميع  
مراحل حياتي .

وليس بين أفراد أسرتي من لم يشمله بكامل  
عنايته حقبة طويلة ، حتى تخرج منهم الكثير من  
الأساتذة وقادة الجيش والأطباء والمهندسين  
وغيرهم ، وبينهم من يشغل الآن مناصب  
رفيعة .

هذا إلى ألوف الطلاب الذين تعهدهم  
بالتربية والتهديب من أبناء وزارة المعارف  
( وزارة التعليم الآن ) ، ومدرسة دار العلوم  
( كلية دار العلوم الآن ) ، وكلية اللغة  
العربية من الجامعة الأزهرية ، ومنهم من

آخر ناظر لها في وزارة المعارف وأول عمدائها  
في عهدها الجامعي ، وأن تظل دار العلوم  
تؤدي رسالتها كسالف عهدها في خدمة  
الفصحى ونشرها ؟

وإن أنس لا أنس ما أسهم به الفقيه زهاء  
ثلاثين عاما في المنجزات العظيمة لمجمعكم  
الموقر ، تلك الأعوام التي كانت -  
على ما ذكر لي مرارا- أسعد أيام حياته برغم  
ما تخللها من متاعب الشيخوخة ؟

فليس عجيباً إذن أن يقوم مجمعكم المبجل  
بإحياء ذكراه ، وقد قضى ما يقرب من ثلث  
حياته في خدمته ، فإنكم أولو الوفاء والفضل  
كما أنكم أساطين العلم وأعلام الفن والأدب .  
ولقد كان لما أنجزتموه من المؤلفات الضخمة  
في مصطلحات العلوم والفنون ، وما قتم به  
من بحوث لغوية أصيلة قيمة وما نشر نحوه  
من معجمات أبلغ الأثر في نمو لغتنا العربية  
والاحتفاظ بها سليمة مزدهرة .

وإنه ليطيب لي ويثلج صدري أن ألمح  
بينكم إخواني لي طالما نعمت برويتهم وسعدت

بصحبتهم ، ثم فرقت بيننا ظروف الحياة كما  
تفرق بين الإخوة الأشقاء الأحياء ؟

وليس أدعى لهدوء نفسي وراحة بالي من أن  
أستمع - فيما استمعت إليه من دور خطباتكم  
وشعرائكم - إلى صديق الصبا والشباب الأديب  
الكبير الدكتور محمد مهدي علام حفظه الله ؟

ولقد كان بين أفراد أسرتي من هو  
أقدر مني على الوفاء بشكركم والرد على  
كلماتكم النبيلة الوافية ، لولا أن كبر سني كان  
شفيعا لي في أن أنال هذا الشرف العظيم .

سيدى الجليل رئيس المجمع الموقر :

سادتي الأجلاء أعضاء المجمع

أطال الله بقاءكم ممتعين بأتم صحة ورافعين  
أعلام اللغة العربية - لغة القرآن والحديث -  
خفاقة في كل مكان ، وتغمد المولى - جل  
شأنه - فقيدنا الحبيب بواسع رحمته .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كامل المهندس

## ●● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

الجمعين الأستاذ زكي المهندس رحمه الله  
رحمة واسعة ، وأسأله تعالى أن يوسع له في  
جنته ورضوانه ؟

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم ؟

سيداتي ، سادتي :

في ختام الجلسة أتقدم بخالص الشكر لكل  
الذين تفضلوا بالحضور إلى هذا المكان  
ومشاركة المجمع حفل تأبين فقیده الكبير شيخ

## زكى المهندس امام الاشكالية العظمى

للدكتور محمد عزيز الحبابى

وجدانى ومجتمعى . مع الموت ، كذلك ، نحن فى صراع دائم ، إلا ان الموت لا يجابهنا علانية ، على قارعة الوجود . فغالبا ما يفضل المراوغة والبغثة . آثاره ملموسة ، وبلا وضوح ، عينية ، وفى أوج الغموض ، تحاصرنا فى كل مكان وكل آن ، ولكن الموت يبقى هو هو ، على مر الأزمان وتغير الأمكنة ، دون مكان أو زمان . إنه العيب الثقيل الذى لا وزن له ولا أبعاد . الموت لا يموت . يزرع الفناء ولا يفنى . يقوم بعملياته الصغرى والكبرى وهو لا يلمس ولا يرى : إنه التناقض المطلق : العدم لموجود ، الوجود المتعدم . بوجوده تنعدم الموجودات . ينساب فى كل الكائنات ، وهو بلا كينونسة .

• • •

قليل من يقدر على مواجهة تحدى الموت السافر والمقنع . وما أخالنى مبالغان عدت من تلك القلة . فقيدنا . أتذكر ابتساماته الهازئة ، وعصاه يهش بها على الأشباح ، وقامته المنتظمة عموديا التى عودها على أن لا تركع أمام جبروت السنين . يفضل السير على الأقدام واثقا فى ركبته ، حامدا فى حجة الحياة . فلا يصارع الموت إلا من يتقبل توضحيات ، طوال الحياة . كانت النكته من أسلحة فقيدنا ، فى الصراع الطويل ،

منذ أن بدأ الإنسان يعى أوضاعه ، حاصرته قضية الوجود والعدم ، فأصبحت الإشكالية الأولى فى كل الفلسفات هى أن نتأمل فى الوجود والموجود ، وفى العدم والمعدم . بيد أننا لا نكاد نعثر على نسق فلسفى ينطلق من مفهوم الموت .

### فما الموت ؟

بمجرد ما توصلت ببطاقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة تنعى إلى أمتنا الفقيه الحبيب ، حتى فاجأنى ذلك السؤال ، لاحتفى . إنه لسؤال مزعج ، نظرحه ، بل يطرح نفسه علينا . ويشتد إلحاحه بقدر ما نكن من معزة أو تقدير للهالك ، وأستاذنا الجليل زكى المهندس عزيز للطفه الجم ، ولصدق صداقته ، وخفة روحه ولحلقه الرفيع ، وهو أيضا محاط بالتقدير ، لمكانته فى ميادين العلم والتعليم ، والإخلاص فى خدمة اللغة العربية .

\* \* \*

ها هو السؤال يعاودنى : ما الموت ؟ إنه الحاضر الغائب . كان منذ البداية يمرح فى قارات العدم ، ولا نتصور له نهاية . إننا نحيا تجارب الوجود فى أى فعل يصدر عن وعينا . كما نعانى الوجود كل مرة يفنى فيها واحد من نتواجد معهم . إنها معاناة ذات لونين نحياها كتجارب أنطولوجية ونفسانية ، فى مظهرين ،

« إن من البيان لسحرا » ؟ سحر النكتة سلاح ونعمة لدى الطبائع الأثرية . وإن فقيدينا لمن تلك الطينة .

نكتة كانت تأتي في صفاء البراعة ، مرحة ، متفائلة ، لا تخدش ولا تجرح .

\* \* \*

ثم مرة أخرى : مسا الموت ؟

لقد حمنا حوله دون أن نخط له حدوداً . لو قدر للموت أن يتحدث عن نفسه لأكد أنه هو نفسه لا يعرف تحديداً ولا حدوداً . بل إنه ، في حركاته الدائبة ، لا يجد أوقات فراغ ليتساءل عن هويته . إنه . . هو . . أي . . أي شيء ؟

كل إنسان يتأمل يموت وفي نفسه ازعاج من ذلك « أي » . الموت لا يفسر : وإنما نخافه ونخيف به ، إنه الزوبعة فوق رأسنا ، أبد الآبدين . إنه حوار متصل بين المرء ونفسه ، ولكنه حوار الصم البكم ، محاوره بين المعنى واللامعنى ، المعقول واللامعقول . العقلانية تتدخل في المعقولات والأفعال الإرادية ، فأني لها أن تناقش الموت-العيب الذي يأتي بلا ميعاد ، على غرة ، ودون رغبة فيه ، وبغيب حيث ينتظر المرقبون ؟ العقل يتدخل في شئوني عندما تأتي أفعال منسجمة مع وعيي لها ، عندما أريدها محققة أو مفروضة ، أما الموت فلا يخضع لإرادتي ؛ لن يستشيرني عندما ستحل فعلته بي . في

حقا . إن النكتة لا تقضى على الموت ، ولكنها تحمى من بلاء الخوف المزمع الذي تزرعه المنية في القلوب ، وتبهر به العقول الحائرة . كان زكي المهندس يحسن النكتة ، بها يتحدى الموت .

النكتة ضياء في غياهب الليل البارد الخيف الذي لا يعرف نهاية ، ليل الحقيقة المرة وهي تزرع الحيرة المطلقة ، وتسترق منا نور الهدوء والاطمئنان .

\* \* \*

غمرتني عزيزنا بلطفه عند أول مأدبة جمعته وإياه ، جاسنا إلى نفس المائدة ، فتعاطفنا ، وبقيت أعز بصداقته . حبت إليه أن يحكي لمجالسيه عن أجيال عرفها ، فإذا به لا ينقل عنها إلا الجانب الخفيف ، وبخفة دم تتناسق مع « آيس كريم » و « أم علي » ، خصوصا بعد الجلسات الصباحية بمجمع اللغة العربية بعروضها ومناقشاتها اللسمة :

امتاز المرحوم بقدرته على النكتة ، وعلى حسن صياغتها ، كما كان يحسن روايتها ، في الأوقات الملائمة ، فتوفرت فيه شروط البلاغة والبيان . إن النكتة « البليغة » تسخر من العيب ومن العابثين . كل النفوس مكبوتة من جراء شبح الموت المائل أبدا . فتأتي النكتة ، تقصف الضجر وتفجر الكبت . فنستعيد الأمل فننسى الكابوس المرعب ولو إلى حين . ولعمري ، إذا كانت النكتة البارعة ، هذا شأنها ، ألا يطبق عليها

الأم: «منها خلقناكم، وفيها نعيدكم» (قرآن كريم) :  
لكنت أملاً حيزاً من الفضاء وأمست بلا  
مكان ، ذهبت مع الموت ! الموت نديم  
لا يصحو وليس منا من يذوق سكرة  
الموت أكثر من مرة في « حياته » . سكرة  
بلا خمر ، وكحول بلا عصير الموت .

أيها السادة

الحديث عن الموت لا يميته الموت ،  
ولا يبلور معناه . فلن يعزينا في فقدان  
حبيبنا زكي المهندس إلا أن ندعو له بالرحمة ،  
وبخير الجزاء على ما أسداه للغة العربية من  
خدمات ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

محمد عزيز الحبابي

عضو المجمع المراسل من المغرب

لحظات الموت ، يصبح الكوجيطو هو :  
لم أعد قادراً على التفكير ، إذن أنا موجود  
سلبياً ، جثة تعاني حينونة الانعدام . هناك  
لحظة ممتازة ، يتعانق فيها وجودي بعدمى ،  
كل المتناقضات تتجسد ، في لحظة ممتازة  
تدخل فيها الإيجابيات والسلبيات حياً حاداً .  
موتى ليس من عملى أنا ، ولكنه من شأنى ،  
يهمنى مباشرة .

إن أعود فأقول : « أنا » ، ولا أحاطب  
غيرى بـ « أنت » ، لا تواصل ولا نداء :  
أنتقل من « متكلم » إلى « متكلم عنه » ،  
ويصير كلامى صوتاً صامتاً أبداً . أين منى  
ذلك الجهاز الذى كان يرغب ويشتهى ،  
كان يعقلن حياته ، ويريد ، ويتخيل ؟  
لقد دخل فى خبر كان ! وماذا كان ؟  
كان جهازاً موجهاً لأن يوول إلى ما هو  
الآن . عاد إلى أرض الميعاد إلى الأرض





# من أنبياء المجمع

## وفاة نائب رئيس المجمع :

استأثرت رحمة الله تعالى بروح المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع في ١٧ من شعبان سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٣ من أغسطس سنة ١٩٧٦ م . وفي هذا الجزء من المجلة كلمات حفل المجمع في تأبينه .

## خبراء جدد :

وافق مجلس المجمع على اختيار بعض الخبراء الجدد ، وهم  
السادة :  
الدكتور أحمد جامع رئيس قسم الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة عين شمس ( للجنة الاقتصاد ) .  
الدكتور فؤاد مرسى رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الاسكندرية ( للجنة الاقتصاد ) .  
الدكتور سعيد عاشور الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ( للجنة التاريخ )  
الدكتور محمد سلام مذكور رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ( للجنة القانون ) .  
الدكتور فاروق القاضي الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس ( للجنة التاريخ ) .

## صلات المجمع الثقافية :

●● قام الأستاذ بدر الدين أبو غازى عضو المجمع بتمثيل المجمع في اجتماع العمل الذى عقده المنظمة العربية للعلوم الادارية بالاسكندرية في المدة من ٢٢ الى ٢٥/٥/١٩٧٦ .

●● أرسل الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ( المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ) الى المجمع بحثا بعنوان « المشاكلة » ، وهو فصل من كتابه « المجاز وأثره في الدرس اللغوى » وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٩/٤/١٩٧٦ احالته على لجنة الاصول لدراسته وابداء رأيها فيه ، ثم عرض تقريرها على المجلس .

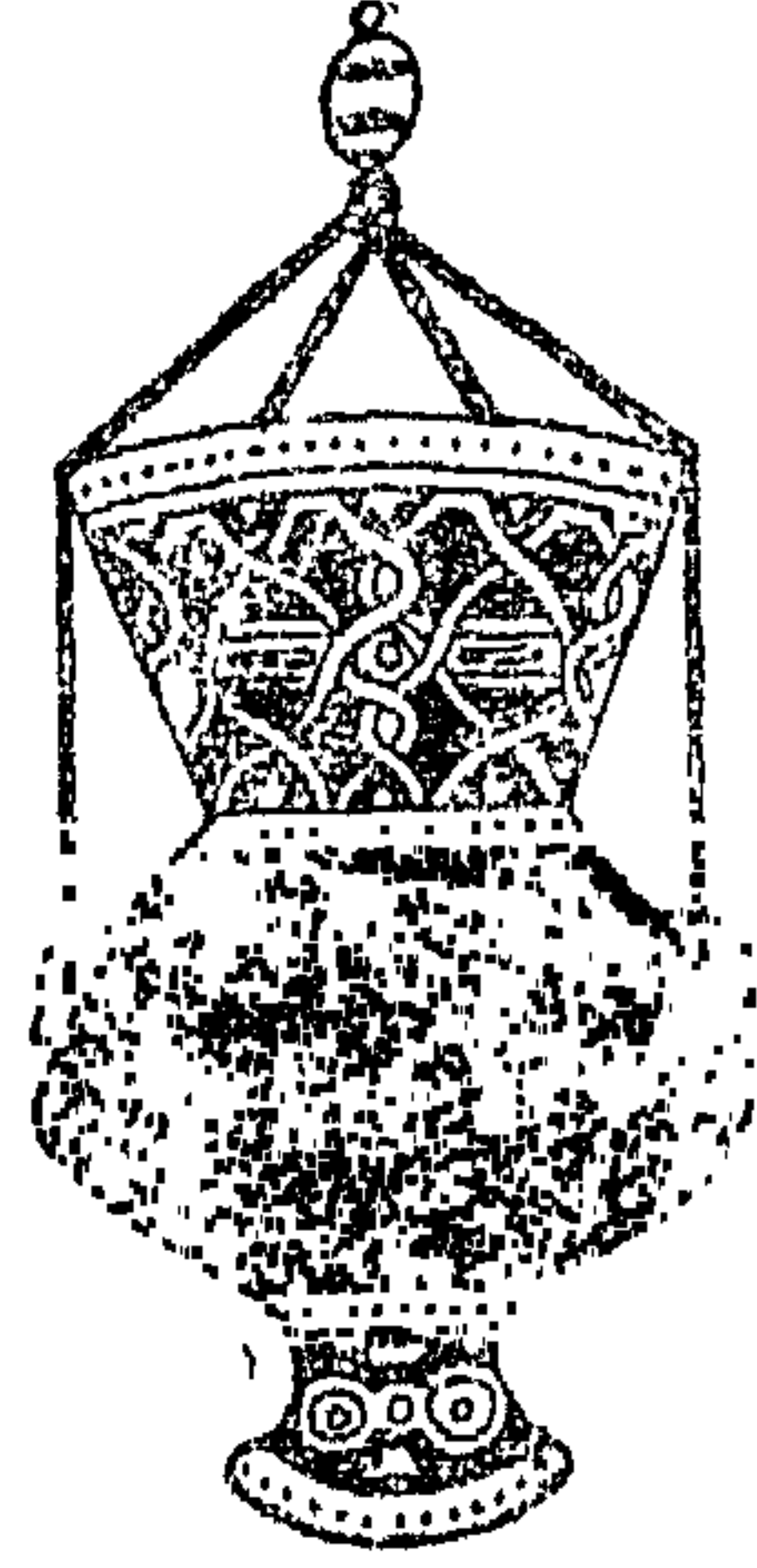
ورد المجمع من « الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية » مواد معجم اقتصادى عربى ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في

●● ١٩٧٦/٥/٣ احوالته على لجنة الاقتصاد لنظرة .وابدء رابها فيه ،  
●● مثل المجمع الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع في اجتماعات  
لجنة الآداب والعلوم التي شكلها المجلس الأعلى للجامعات الذي  
عقد في ١٩٧٦/٨/٧ .

●● ورد المجمع كتاب وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية  
تطلب فيه البحث عن مسميات جديدة للمدارس التربوية الخاصة  
بجمهورية مصر العربية ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في  
١٩٧٦/١٠/٤ احوالته على لجنة الفاظ الحضارة الحديثة لنظرة  
وعرض ما تصل اليه بشأن هذا الموضوع على المجلس .

### مسابقة المجمع الأدبية :

في مناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم سعد زغلول رأت  
لجنة الأدب بالمجمع عقد مسابقة لعام ١٩٧٧/٧٦ موضوعها :  
« سعد زغلول خطيبا وكاتبا وأثره في البيان العربي الحديث » .  
وآخر موعد لقبول الأبحاث المقدمة للمسابقة هو ١٩٧٧/٣/٣١



طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة  
**محمد حمدى السعيد**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٨/٢٠٢

الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية  
٢٠٠٠-١٩٧٨٣٤٠٩٢





